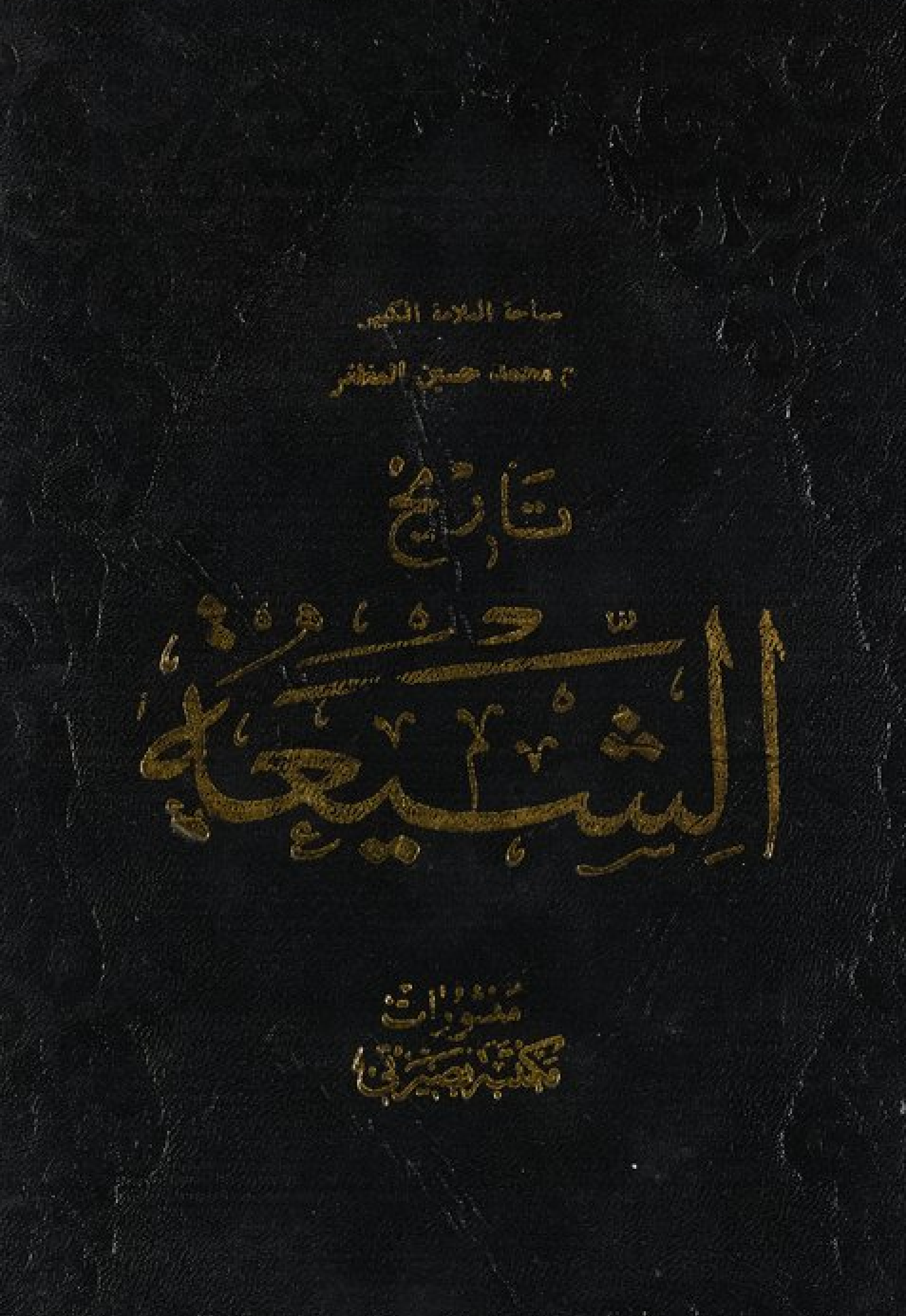
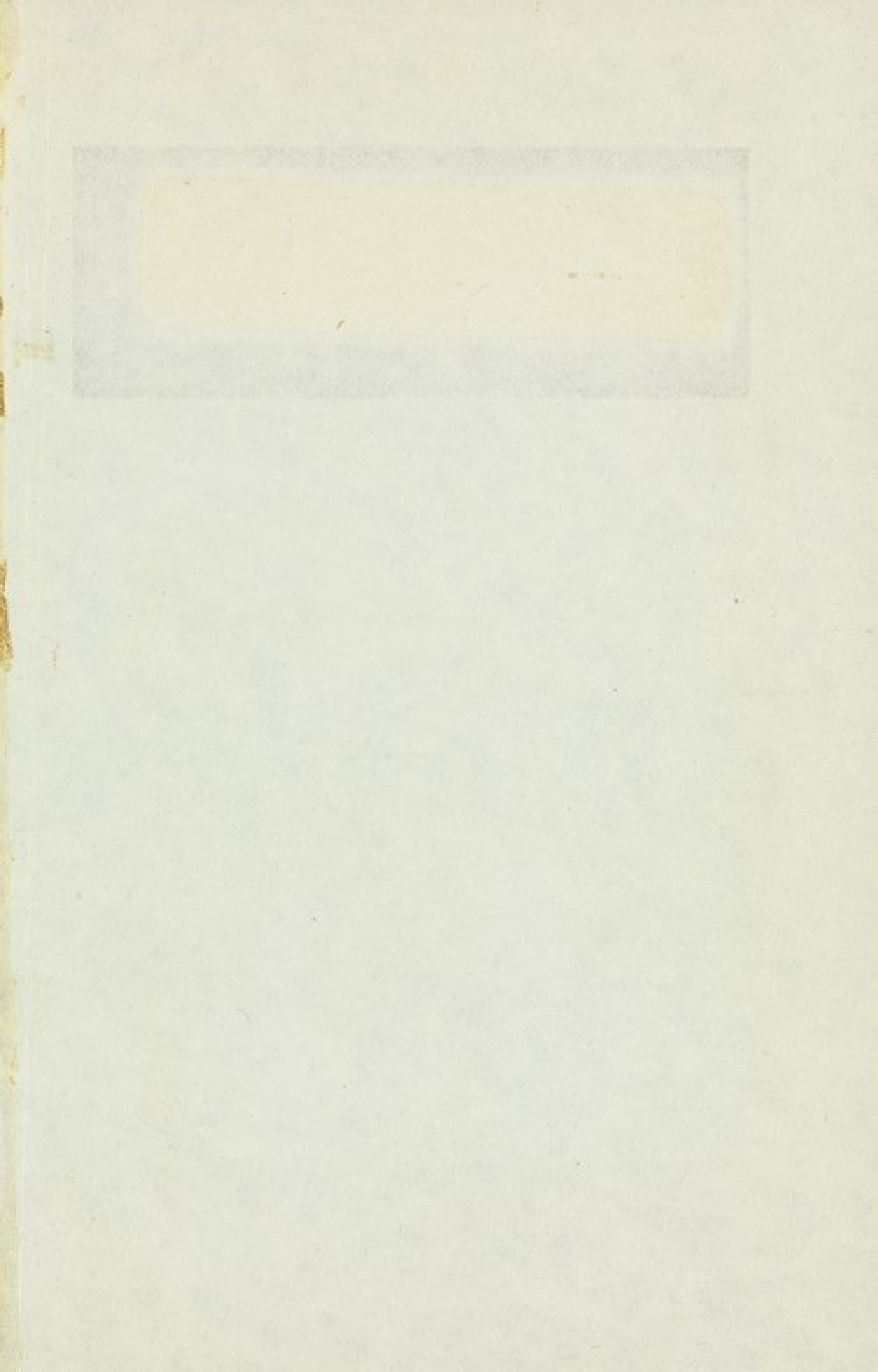
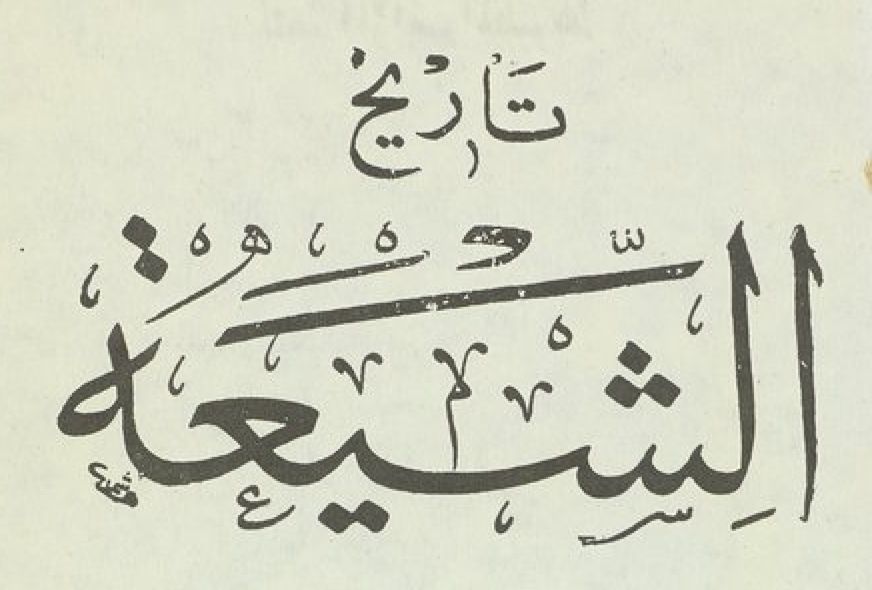

سماحة العلامة الكبير
محمد حسين المظفر
تاريخ الشيعة
منشورات
مكتبة بصيرتي







تأليف

سماحة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسين المظفري

منشورات
مكتبة بصيرتي
قم - شارع إرم

كتب المؤلف المطبوعة

١ الصادق ـ جزءان ـ
٢ ميثم التمار
٣ الشيعة والامامة
٤ الثقلان الكتاب والعترة
٥ تاريخ الشيعة ـ هذا الكتاب

كتب المؤلف غير المطبوعة

١ القرآن تعليمه وارشاده
٢ دعاء الصادق عليه السلام
٣ عصور الشيعة
٤ هشام بن الحكم
٥ مؤمن الطاق
٦ علم الامام
٧ الاسلام نشوءه وارتقاؤه
وغيرها . .

تقريظ حجة الاسلام البحاثة النقب الشيخ آقا بزرك الطهراني
صاحب كتاب (الذريعة) طاب رمسه **بعد اطلاعه على**
هذا الكتاب قبل سنوات

بسم الله الرحمن الرحيم

اقول بعد حمد الله لوليه ، والصلاة على نبيه واوصياء نبيه ،
الشيعة وما ادراك ما الشيعة ، انه قد مضت على طلوع فجرها المضيء
اربعة عشر قرنا، قد نبغت فيها عشرات المئات ، ومئات الالوف من
العلماء النحارير ، والشعراء المشاهير ، وقد شرحوا نظما ونثراً مايتعلق
بشؤون الشيعة قديما وحديثا، وألفوا لشرح معنى التشيع وتعيين شرائعه
وتعريف اعلامه وشعائره ، مالايكاد يحصى ، لكن الحق الذي يحق
ان يذعن به انه لم يتم لهم الافضل السبق والتقدم ، حيث انه لم تتم
تلك الكتب القيمة الثمينة بتحليل كثير مما اودع في هذا السفر الجليل
ولا سيما بعدما شفع بتحليل حياة الامام الصادق عليه السلام المنشور في
عصره اعلام الشيعة ، والمبثوث عنه في اقطار الارض انواع المعارف ثم اعززها
بثالث من بسط القول في كيفية علم الامام ومقدار ما حباه الله تعالى به من الفضل
والانعام ، ثم تخصيص البحث بسوانح بعض اصحابه وابوابه عليه السلام

كتابي جعفر مؤمن الطاق ، وهشام بن الحكم ، كل ذلك في رسائل
جليلة غنية عن التقريظ والاطراء ، حيث ان شهادة العيان تغني عن
اقامة البرهان ، والمطالع فيها لامحالة يوافقنا في هذا البيان ، بل يرى
انه يجري الثناء عليها مجرى مدح اللؤلؤ بالصفاء والشمس بالضياء ،
فلذلك اغضيت عن تقديم المدح والثناء ، واقتصرت بالجد في الدعاء
لحضرة المؤلف الذي ابدع براع فضله هذه الدرر الايتام وهو العلم العيلم
العلام البحاث الثاقب ، والمؤرخ الناقد الناقب ، مولانا الشيخ محمد
الحسين بن المولى الاكبر الافخر الشيخ محمد آل مظفر زاد الله تعالى
في العلماء المحققين امثاله ، وادام ايام افضاله علينا وعلى سائر المسلمين
بحق محمد وآله الغر المكرمين صلوات الله عليهم اجمعين من الآن الى
يوم الدين والحمد لله رب العالمين بدء آ وختاما ، في شوال المكرم سنة ١٣٦١

حرره الجاني

محمد محسن المدعو بآقا بزرك

الطهراني

تقريظ الطبيب الماهر والاديب الشاعر، الاستاذ الشيخ محمد الخليلي صاحب كتاب (معجم ادباء الاطباء) بعد وقوفه على هذا الكتاب واطلاعه عليه قبل عدة سنين وقد صدر سبائك ابياته بلئالىء كلماته، وارسلها ضمن كتاب الى المؤلف، وكان المقرظ يومئذ يقيم بالكوفة .

سيدي :

إن شكر المنعم واجب، وقد انعمت على ابناء جلدتك بابراز هذا السفر الجليل الى عالم الوجود ؛ وغمرتهم وانا منهم باحسانك ، فاحببت ان اقدم اليكم شكري بهذه المقطوعة ، نائبة عني ، راجيا قبولها لازلتم نبراسا نستهدي به ، واماما نقتفي اثره ، وهي :

انرت بسفرك هذا الجليل طريق الحقيقة للمنصف
واوضحت اكذوبة الناقد البعيد عن الحق والمرجف
وجادلتهم علنا بالتي فبان لهم كل سر خفي
ومذشع نور الهدى للعيون اماط دجى غيها المسدف
فيالك من كتب بارع ويالكتابك من مصحف
ظفرت بما رمت من خدمة الشريعة والحق لايختفي
فكنت المظفر في ذا النضال وكنت الوحيد بذا الموقف
ولا عجب حيث قد اخرجتك كلية النجف الاشرف

هذا ماجادت به قريحتي القريبة الغور . ولا شك انها مقبولة ان نظرتموها بعين الرضا ولكم فائق تحياتي ، ودمتم .

المخلص

محمد الخليلي

فهرست الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منّ علينا بمعرفته ، ووفقنا لتصديق نبيه (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته ، وهدانا نجد الحق من التمسك بالثقلين كتاب الله وعترته ، وصلاته وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

باعث التأليف

يزعم بعض حملة الأقلام : إن العصر الحاضر عصر العلم والنور قد أزيلت فيه حجب التمويه عن أوجه الحقائق ، فتجلت مشرقة ، وأنه قد تحرى فيما ألف سبل الحق ، ولم يتخطّ الحقيقة فيما جمع ، وما نجده إلا ضارباً على أوتار من سبقه من أبناء تلك العصور المظلمة بالعصبيات ، وناسجاً على منوالهم من تفريق الكلمة وغمط الحق عناداً .

ولئن دفع أولئك الشذاذ العصبية العمياء ، أو أعشام الاصفر الوهاج من ملوك ذلك اليوم ومتنفذيهم ، فما بال كتاب هذا اليوم تستن تلك النزعة تقليداً ، من دون أن تتورع في معرفة الأسباب

الدافعة إلى ذلك التحامل من أولئك الأولين .

فبدلا من أن يجتهد هؤلاء الكتاب سعياً في نبذ الفوارق وتوحيداً للصفوف في هذا العصر دفاعاً عن مجد الاسلام عادوا مجدين في إلقاء الحطب فوق النار المتأججة ، وإشعال القلوب حقداً وغيظاً .

ولو ساغ للقدماء أن يعتذروا بجهلهم حال التشيع مبدءاً وعقيدة عند ما سلت السلطات على الشيعة سيوف الفتك فألجأتهم التقيـة إلى الاختفاء ، فلا يسوغ هذا عذراً لأبناء اليوم ، وهذه بين أيديهم كتب الشيعة وصحفهم فى كل علم وفنّ ناشرة عن الماضي والحاضر ما يحملون من علوم ومعارف وعقائد وآداب .

وحينما كنا نرقب من أبناء النور أن يستقبلوا مذهب أهل البيت بالترحاب والقبول لاقترانه بالبرهان وتمشيه مع الكتاب والذوق والفطرة ، نجد الغشوة تحول دون النظر اليه ، بل نشاهد ونقرأ ونسمع من الغمز واللمز ما يربو على ما كان في عصر الظلمة والطمس للحقائق .

ولا نريد أن نكيل لاولئك وهؤلاء بصاعهم ـ وكيف نفعل شيئاً ننكره ـ وهذا القرآن الكريم يرشـدنا الى طريق الجدل فيقول : ـ وجادلهم بالتي هي أحسن ـ وتلك تعاليم مرشدينا محمد وآله عليهم الصلوة جميعاً تلزمنا بحسن الأدب في المناظرة وتنهانا عن كثرة الجدل وإن كنا على حق ، وتأمرنا بجميل المعاشـرة ، وبالدعوة إلى الحق بالأعمال قبل الأقوال .

بل لا أريد فى هذه الرسالة إلا أن يعلم القوم أن التشيع انحدر من عهد صاحب الرسالة لا من الفرس ولا من ابن سبأ .

ولا أحاول إلا إثبات سابقة التشيع على كل نحلة من الناحية التأريخية فحسب ، ومن ثم نستعرض تأريخ التشيع من البدء ونموه فى الآفاق والبلاد ، وسأملي عليك صحائف سجلها التأريخ آملا أن تعود بنا جميعاً إخوانا على سرر متقابلين ، ملتمساً أن يرشدني القارىء إلى نواحي الخلل والاصلاح لنتعاون على إبراز الحقيقة نقية من كل كدر .

معنى الشيعة

الشيعة فى اللغة الاتباع والأنصار والأعوان ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وأصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة ، وقد اختص هـذا اللفظ بمن تولى عليًا وبنيه عليهم السلام وأقر بامامتهم ، حتى صار ينصرف اليهم إذا أطلق عند الاستعمال من دون قرينة وإمارة .

قال ابن خلدون فى مقدمتـه ص ١٣٨ : « إعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم » .

متى اختص اسم الشيعة بالموالين

لعلك تخال أن اسم الشيعة لم يختص بأولياء أهل البيت إلا بعد عهد طويل من مجيء الاسلام، وذلك عند ما كثر أولياؤهم وانتشروا في البلاد فانتحل لهم هذا الاسم ليمتازوا عن سواهم. ولكنك لو استقريت الحديث النبوي لعلمت أن هذا الاختصاص جاء مع الاسلام في يومه وكان فرعه المثمر عند أول غرسه وإفراعه، ولدريت أن صاحب الشريعة هو واضع هذا الاسم.

وهذه لوامع من حديثه أضعها أمامك لتستنطقها عن ذلك الاختصاص، فهذا الزمخشري في (ربيع الابرار) يروي عن النبي (ص) أنه قال: يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله وأنت أخذت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا.

والحجزة بضم الحاء المهملة .. معقد الأزار، ثم قيل للازار حجزة للمجاورة، والأخذ بالحجزة هنا كناية عن شدة الاعتصام والمبالغة في الاتباع.

وفي «الصواعق المحرقة» لابن حجر (١) واخرج الطبراني عن

(١) عقيب الآية الثامنة التي اوردها في فضل اهل البيت وهي قوله تعالى «واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»

علي عليه السلام ان خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ياعلي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين ، ثم جمع على يده يريهم الاقماح .

ومن الغريب ان ابن حجر زعم : ان المراد بالشيعة هنا اهل السنة ، ولا ادري ان ذلك لترادف اللفظين ام لوحدة الفرقتين ، ام لان اهل السنة اظهر في الاتباع والموالاة لآل محمد من الشيعة ، ام لماذا ؟

وقال ابن حجر ايضا : واخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس ان هذه الآية وهي قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » وهي الآية الحادية عشرة من الايات التي اوردها في فضل اهل البيت : لما نزلت قال صلى الله عليه وآله لعلي هو انت وشيعتك ، تأتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابى مقمحين .

وقال ايضا بعد الآية العاشرة مما اورده في فضلهم ، وهي قوله سبحانه « ولسوف يعطيك ربك فترضى » : واخرج احمد في المناقب انه صلى الله عليه وآله قال لعلي : أما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا .

وقال : واخرج الطبراني انه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين ،

وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا .

وقال : وأخرج الديلمي : يا علي ان قد غفر لك ولذريتك ولشيعتك ومحبي شيعتك .

وقال : وأخرج الدارقطني يا ابا الحسن اما انك وشيعتك في الجنة .

واخرج عن ام سلمـــة قوله « ص » لعلي عليه السلام انك واصحابك في الجنة ، انك وشيعتك في الجنة .

وقال ابن الاثير في « النهاية » في « ق م ح » وفي حديث علي عليه السلام قال النبي صلى الله عليـــه وآله : ستقدم على الله انت وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابي مقمحين ، ثم جمع يده الى عنقه يريهم كيف الاقماح .

وقال السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » في قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » : اخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فاقبل علي عليه السلام فقال النبي : والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ونزلت ان الذين آمنوا ، الآية ،

وقال : واخرج ابن عدي عن ابن عباس قال : لما نزلت « ان الذين آمنوا » الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين .

وقال : واخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : ألم تسمع قول الله « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » انت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض اذا جاءت الامم للحساب تدعون غداً غراً محجلين.

وفي غاية المرام عن المغازلي بسند عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل من امتي الجنة سبعون الفاً (١) لا حساب عليهم ، ثم التفت الى علي عليه السلام فقال : هم شيعتك وأنت امامهم .

وفيه عنه ايضاً بسنده عن كثير بن زيد قال : دخل الاعمش على المنصور وهو جالس للمظالم فلما بصر به قال له : يا سليمان تصدر قال انا صدر حيث جلست ، الى ان قال في حديثه : قال حدثني رسول الله (ص) قال : اتاني جبرئيل عليه السلام آنفاً فقال : تختموا بالعقيق فانه اول حجر شهد لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولعلي بالوصية ولولده بالامامة ولشيعته بالجنة .

وفيه عن موفق بن احمد بسنده الى سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : يا علي تختم باليمين تكن من المقربين ، قال يا رسول الله : وما المقربون ؟ قال : جبرئيل وميكائيل ، قال : فبما

(١) وعدد « سبعين » يستعمل في لغة العرب للمبالغة عن الكثرة .

انختم يارسول الله ؟ قال : بالعقيق الاحمر، فانه جبل أقرّ لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولك بالوصية ولولدك بالامامة ، ولمحبيك بالجنة ، ولشيعتك وشيعة ولدك بالفردوس .

وهذا غيض من فيض مما حملته الينا الاحاديث النبوية عن تسمية الرسول الاطهر لاولياء علي واولياء أولاده بالشيعة .

وما اقصد من ايقافك على هذه الروايات ان احمل اليك البشائر التي بشر بها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله شيعته وشيعة آله ، وان كانت تلك بشائر جديرة بالحفظ والرواية ، وجدير بالشيعة ان تفخر بها عمر الدهر ، ولكن الغرض من هذا ان تقف موقف نصف من أولياء اهل البيت وتحاسب نفسك عند مواقفتهم فلا تتسرع في مهاجتهم دون جرم سوى انهم شيعة آل محمد ، فانك لو انصفت نفسك لوجدت التشيع لهم مفخرة سامية يدعو لها الكتاب والسنة ، ولوجدت أن التسرع بالغمز فيهم ظلم لهم ولك .

فمن هذه الاحاديث وأمثالها تعرف ان لفظ الشيعة استعمله صاحب الشريعة فيمن تولى عترته وآله ، فمن يومه كان هذا اللفظ اذا اطلق عند الاستعمال يفهم منه ان المعني به من والى عليا وبنيه عليهم السلام ، ويتجلى لك ان هذا الاسم له مسمى في ذلك العهد .

متى ابتدأ التشيع

لا غرو لو قلنا ، ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذي

هتف فيه المنقذ الاعظم « محمد » صلوات الله عليه وآله صارخا بكلمة « لا إله إلا الله » في شعاب مكة وجبالها ، فانه لما نزل عليه قوله (وانذر عشيرتك الاقربين) وجمع النبي (ص) بني هاشم وانذرهم قال (ص) ايكم يوازرني ليكون اخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي ، فلما لم يجبه الى ما اراد غير المرتضى قال لهم الرسول (ص) هذا اخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له واطيعوا .

فكانت الدعوة الى التشيع لابي الحسن عليه السلام من صاحب الرسالة تمشي منه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين ، ومن ثم كان ابو ذر الغفاري شيعة علي عليه السلام وهو رابع الاسلام أو سادسهم(١)

ولقد كفانا مؤنة التدليل على ما نريد محمد كرد علي في كتابه خطط الشام (٥ : ٢٥١ — ٢٥٦) قال : عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاة له ، ومثل ابي سعيد الخدري الذي يقول : امر الناس بخمس فعملوا باربع وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الاربع قال : الصلوة والزكوة وصوم شهر رمضان والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها قال : ولاية علي بن ابي طالب ،

(١) الاستيعاب .

قيل له : وإنها لمفروضة معهن ، قال : نعم هي مفروضة معهن ، ومثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت وابي ايوب الانصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة »

وقال : « واما ما ذهب اليه بعض الكتاب من أن أهل مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، فهو وهم ، وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم ، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن اقواله واعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم علم مبلغ هذا القول من الصواب ، لا ريب في ان أول ظهور الشيعة كان فى الحجاز بلد المتشيع له » وقال : « وفى دمشق يرجع عهدهم الى القرن الاول للهجرة »

إن محمد كرد علي ليس من الشيعة ولا من أنصارهم غير أنه رأى ان من الامانة ابداء هذه الحقيقة ناصعة دون ان يشوبها بغرض ودون ان يركن الى النزعات المذهبية التي اضاعت الحق وشوهت الحقيقة :

فهذا كرد علي بوجيز كلامه واستدلاله على نبوغ التشيع ايام صاحب الشريعة أغنانا عن الغني فى التدليل على هذا الامر .

انتشار التشيع

كانت بيعة الغدير آخر ما مهده رسول الحكمة والاصلاح للخلافة علي بعده ، فكانت حدثاً مفاجئاً للناس فقد نزل الغدير في غير وقت نزوله . كانت هناك دوحات ، فأمر ان يقم ما تحتهن من شوك ، وكان المسلمون عند ذاك مائة الف أو يزيدون وعند خم مفترق الطرق ، فوجدها الرسول (ص) فرصة لابلاغ الحاضرين قبل ان يفترقوا وهم الرسل لتبليغ من غاب ، فحكم كان الغيب الذين لم يحضروا ويبلغهم الامر أفهل يبقى أحد من بني الاسلام لم تبلغه هذه البيعة يومئذ .

وقد نزل عليه في ذلك المكان قبل ان يأمر باجتماع الناس قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) ولما كان الملأ الحضور بذلك العدد لا يمكن اسماعهم بغير منبر ، فصنعوا له منبراً من حدوج الابل ، والآية كما تخبرنا ان بيعة علي من الله سبحانه تنبئنا ان شأن الرسالة لا يتم بدون البيعة لعلي وبدون امامته على الناس ، وهذا جلي لمن تدبر

---

(١) روى نزول هذه الآية يوم الغدير جماعة انظر - الدر المنثور - للسيوطي - واسباب النزول - الواحدي ، وتفسير الثعلبي ، والحلية لابي نعيم ، وتفسير الرازي وما سوى هؤلاء .

الامر ، لأن الرسول يقوم بوظائف عديدة تشريعية وتنفيذية ، سياسية ودينية ، ادارية وقضائية ، الى كثير سواها ، وكلها قائمة بنفسه ، واذا فاجأه الاجل لم يستغن الناس عن المسؤول عن هذه الوظائف سوى التشريع الذي هو من خصائص النبوة وهذه الشؤون لا يقوى على النهوض بها سوى امام معصوم يستمد علمه ورأيه من الفيض الاعلى ، ومثل هذا الامام لا يعرفه ولا يعرف كفايته لهذا المقام غير من فطره ، وغير الرسول الامين على الأمة .

قام رسول الله (ص) فصعد ذلك المنبر والوقت قائظ في ضحى النهار والناس تضع فضل ثيابها فوق رؤوسهم وقاية عن الشمس وتحت ارجلهم وقاية عن حرارة الارض ، فما زال النبي يخطب من صدر الضحى الى الزوال ، فبين جهاده في الله ونصحه للناس ، واختياره لعلي اماماً عن الله تعالى ، وكان فيما قاله : ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم ، قالوا : اللهم بلى ، فقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وبهذا اصبحت لعلي منزلة الرسول (ص) من الاولوية ، وتلك منزلة الخلافة الالهية ، وعلى هذا بايعه الناس ذلك اليوم حتى قال له ابو بكر وعمر : هنيئاً لك يابن ابي طالب اصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١) .

---

(١) ذكر ارباب الفضائل والحديث والتاريخ والتفسير تهنئة عمر لامير المؤمنين واضاف اليها بعضهم تهنئة ابي بكر ، انظر ـ

وما تفرق الناس حتى نزل قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» (١) فكان بامامة علي وولايته اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الله بالاسلام دينا للامة . .

فلو كان الامر بعد الرسول لعلي عليهما وآلهما السلام ، لكان الناس كلهم شيعة علي بعد هذه البيعة وبعد تلك الآيات النازلة والروايات الواردة في فضله ، ولما ان حالت الحوائل دون انتهاء الخلافة اليه وفوجيء الناس بامر لم يحتسبوه ، فما تم الامر الا وابو بكر خليفة ، كيف ننتظر من الناس اتباع السلطان أن يبقوا على الولاء والتشيع لاهل البيت، اجل غير فئة تعد بالاصابع لم يغير ذلك الزلزال المفاجيء ثباتها على الولاء والامامة ، فاقتبع التشيع بانقباع أبي الحسن في بيته ، وما كان انتشاره بعدئذ في البلاد العريضة إلا كدبيب النمل على الصفا من دون حس أو جلبة ، فلم تبق قبيلة أو بلد إلا واتى

- الرازي في تفسير قوله : يا ايها الرسول بلغ ، الآية ، واحمد في مسنده عن البراء بن عازب ، والثعلبي ، وابن حجر في أوائل الصواعق في الشبهة الحادية عشر ، غير انه ذكر ان ابا بكر وعمر قالا له امسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

(١) انظر - الدر المنثور - والخطيب البغدادي وابن عساكر وما جمعه الطبري، وابن عقدة من طرق حديث الغدير ، والثعلبي وابن المغازلي، والحافظ الجزري الشافعي وغيرهم .

التشيع بجرانه فيها وهو هادى موديع .

المجاهرة بالتشيع

لا يرى الشيعة خلافة إلهية لغير علي وبنيه عليهم السلام فمن ثم لا تفسح السلطات بانتشاره ، ولا ترى ان يتنشق النسيم الطلق فهي تخنقه ما استطاعت ، لأن بظهوره وقوته الخوف على عروشهم .

اشغلت لذنيا عثمان وبني امية عن الحيلولة دون ظهور التشيع فوجد انصاره فسحة للدعوة اليه وايدكير الناس بيوم الغدير وفضائل المرتضى وأهل بيت النبوة عليهم السلام ، والقلوب يومئذ حاقدة على عثمان ورهطه باستئثاره بالفيء وتأميرهم واقطاعهم الضياع وايثارهم بالخمس والصفايا .

ومتى كان يتسنى لامثال أبي ذر رضي الله عنه أن يذكر الناس معلناً بولاء المرتضى ويطوف على بيوت المدينة صائحاً : أدبوا أولادكم على حب علي بن ابي طالب ومن أبى فانظروا في شأن أمه ، وعلى منواله ينسج جابر بن عبد الله الانصاري .

ومتى كان أبو ذر وغيره يطيقون انكار المنكر والفساد في الارض ، فكان ذلك منه عاملا في تسفير ابي ذر الى الشام ، فدأب في الشام على صيرته ولم يثنه الوعد ولا الوعيد عن خطته ، فكان لصراخه في الشام أثر محمود وخشي معاوية ان تنقلب عليهم الشام وتذهب

امانيه العذاب سدى، ان استمر ابو ذر على هتافه ، فاعاده الى المدينة على اخشن مركب مجدبن به السير وهو شيخ ضعيف القوى ، فتناثر لحم فخذيه ، فلما لم يجد عثمان حيلة في سكوته من تبعيد أو اغراء بالمال أو تقريع وتأنيب، سفره الى الربذة - داره قبل الاسلام - حتى مات فيها جوعا (١)

الله اكبر ماذا يفعله قول الحق بالمرء وما ذا يلاقيه من جراء الامر بالمعروف والردع عن المنكر ، ولا بدع فان من يريد ان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وطن نفسه على احتمال المكاره والتنكيل والتعذيب ، وذلك في ذات الله قليل ، حقاً انه لقليل فقد لاقى رسول الله « ص » قبله ما هو انكى وأشد والحسين بعده ما هو أوجع وأفجع ، وهكذا كل من أراد احقاق الحق وابطال الباطل ، وما خلد ذكرى أولئك الأبطال إلا تلك التضحيه الغالية ، وانهم لنا احسن قدوة ومثال ، لا سيما في هذا الوقت الذي انتشرت فيه الموبقات والضلالة ، ولكن اين العاملون .

فكان التجاهر بالتشيع ايام عثمان، ولم يطق ان يمحقه بتسفير ابي ذر وبعقاب عمار وكسر اضلاعه ولهما لمثال في الناس ، وكيف يزال وقد ثبتت قدمه راسخة ، لا سيما في المدينة ومصر والكوفة .

---

(١) ذكر حال ابي ذر وما لاقاه جميع المؤرخين وان شئت ان تقف على شيء منه فدونك شرح النهج « ٢ : ٣٧٦ »

خلافة امير المؤمنين والشيع (١)

لما انكر الناس اعمال عثمان وحرضت عليه عائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وغيرهم، ولم يرضخ لما طلبه منه الناس لم يكفوا عنه بل اجترأوا على قتله ، وبعد ان قتلوه طلبوا اميرالمؤمنين للبيعة — ومن لهم كابي الحسن راع ومصلح فامتنع عليهم ، وقال لهم: انا وزير خير لكم مني أمير ، لانه خبير بالناس ونواياهم ، وتركز حب الدنيا في نفوسهم ، وطموح فئة للخلافة ، فكيف تهدأ الحال وتلك الخواطر مختلجة في النفوس، فلم ينفع دفعه للناس عما يريدون فانثالوا عليه كعرف الفرس يهتفون به لا يريدون عنه بدلا ولا تحويلا وبعد الحاجة لم يجد بداً من الاجابة ، فبايعه الناس وبيعته يوم الغدير طوق الأعناق .

وكان الزبير وطلحة يطمعان بالخلافة وما كان تحريضهما وعائشة على عثمان إلا لذلك الامل الذي يعتقدان بلوغه ،إن قتل عثمان

---

(١) كانت بيعته عام ٣٥ ، وولادته بمكة في الكعبة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بعد ولادة النبي بثلاثين عاما، وضربه ابن ملجم ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان ،وقبض ليلة احدى وعشرين منه عام اربعين للهجرة ، فكان عمره الشريف ثلاثا وستين عاما وشهرين واياما

وبحسبان ان الناس لا تعدل من أحدهما ، غير ان المهم لديهما التوفيق بين رغائبهما، وان عائشة لمن تدعو فان لديها فصل الخصام ونيل الارب ، وحين انثال الناس على ابي الحسن شعرا بالخيبة ، ومن يستطيع ان يقف دون هوى الرأي العام ساعة ثورته ، وهما يعرفان وعائشة من هو ابو الحسن في صلابة عوده في دينه ، وانى لهما بالعطاء كيلا بلا حساب ، وبالجاه والامرة والزعامة في ايامه (١) ولو كان في وسعهم لحالوا دون انثيال الناس عليه ، وعائشة لم تكن حاضرة البلد لتعين على صرف الناس عنه لانها المطاعة في الناس ، فبايع طلحة والزبير حين لم يجدا مناصاً عن البيعة .

فلما تم الامر المرتضى نكث هؤلاء ، وقسط آخرون ، ومرقت اخرى ، ولعنزات رابعة ، ولكن ابا الحسن لا يثنيه عن عزمه اجتماع الناس عليه ، فصرخ بالحق حين وجد أعوانا ، ويكفيه من الأمة أن تجيب انداءه طائفة منهم يصلحهم ويصلح بهم .

اهتزت الشيعة انساً حين آب الحق الى وجاره ، وما احيلاها ساعة عرفوا فيها انفسهم انهم شيعة ، وارتفع كابوس الضغط عنهم ، وانتشقوا نسيم الحرية في القول والعمل ، غير انها ايام قصيرة قضوها

---

(١) انظر شرح النهج (٣ : ٦) و(٢ : ٢٩٩) والطبري (٥ : ١٥٣ و ١٨٢) يعلمانك عن نوايا القوم في ذلك الخروج على ابي الحسن ، وما كان لهم فيه من مطمع ومغزى .

بالحرب والصراع ، وان راق لهم ان يقدموا انفسهم قرابين للدين ، ولأعلاء كلمة الحق والعدل .

اين الفرس من حروب المرتضى

كانت لابي الحسن ايام خلافته حروب ثلاثة ، أولاهن « حرب الجمل » في البصرة ، وسميت حرب الجمل لأن عائشة كانت يومذاك على جمل ، وحملها الخروج من بيتها الذي أمرها الله تعالى ان تقر فيه بقوله : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية » طلحة والزبير وابنه عبد الله ومروان بن الحكم ، وصادف ذلك هوى في نفسها لانحرافها عن علي منذ عهد الرسول ، وكان لكل من هؤلاء الاربعة امنية واراد ان يجعل من عائشة ذريعة للوصول اليها ، وهؤلاء هم الذين سماهم الرسول « ص » الناكثين ، لانهم بايعوا عليا طائعين ثم نكثوا بيعته ، وخرجوا الى البصرة امامهم عائشة ، والبصرة يومئذ موافقة لعلي فاغروها وحملوها على الخلاف ، فسار اليهم ابو الحسن بالمهاجرين والانصار وباهل الكوفة فاوقع بهم بعد الانذار والاعذار ، وكان جيشه كله عربا اقحاحا ، بين عدنانية وقحطانية ، أفكانت قريش من الفرس أم الاوس والخزرج ، أم مذحج أم همدان أم طي أم كندة أم تميم أم مضر أم اشباهها من القبائل ، وهل كان زعماء جيشه غير رؤساء هذه القبائل ، أكان

صار فارسياً أم هاشم المرقال أم مالك الاشتر أم صعصعة بن صوحان أم أخوه زيد أم قيس بن سعد بن عبادة أم ابن عباس أم محمد بن أبي بكر أم حجر ابن عدي بن حاتم أم اضرابهم من اولئك القواد .

وبهذا الجند واولئك الزعماء والقواد فتح أمير المؤمنين البصرة ، وبهم حارب « القاسطين » معاوية وجنوده يوم « صفين » ، وبهم قضى على « المارقين » الخوارج يوم النهروان ، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي سمى اهل الجمل الناكثين ، ومعاوية واتباعه القاسطين ، والخوارج المارقين ، والحديث عنه في هذا الشأن جم كثير (١)

فاين الفرس في ذلك الجيش واولئك القواد ليكون الحجر الاساس للتشيع ، ولماذا صار الشيعة فرساً لأن التشيع دخل فارساً ولم يكن سواه تركياً أو هندياً لأن الترك والهنود اعتنقوا مبادءه ، بل كان سواه اجدر بانتسابه الى الفارسية ، لأن ابا حنيفة المذهب الاعظم لأهل السنة وهو فارسي قبل ان يعم التشيع الفرس ، ولو استقريت ارباب الصحاح الستة لعرفت انهم جميعاً من غير العرب ، وهذه الصحاح أس الفقه وغيره لاهل السنة ، بل واين انت عن

---

(١) انظر المستدرك للحاكم ، وكنز العمال في فضائل علي عليه السلام « ٦ : ١٥٨ و ٣٩١ » وجمله ابن ابي الحديد في الشرح « ٢ : ٣٩٠ » من المتفق عليه بين الناس كافة .

أهل التفاسير امثال النيشابوري والسيوطي والزمخشري والرازي وغيرهم ، انا لا أقصد النيل من السنة بما أشير اليه من ارتكاز مذهبهم على الاعجام فانه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى - وإن أكرمكم عند الله اتقاكم - ولكن لأذب عن الشيعة بما جعله بعض كتابها وصمة عليهم .

الشيعة ومعاوية

ما انقضت على الشيعة تلك الايام الغضة الجميلة ، المشرقة بنور الحق ، حتى فاجأهم عصر الظلم والظلمة بعصر معاوية ، فما رأت الشيعة فيه إلا الجور والاعتداء والاضطهاد ، وكأنما تأمر ليقضي عليهم، وكأنما تشيعوا ليستقبلوا بنحورهم سهام جوره ،فاضطر ابو محمد الحسن عليه السلام لموادعة معاوية بين خذلته الناس ، يقول الباقر عليه السلام كما في شرح النهج « ٣ : ١٥ » : « ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهرهم علينا ، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد اخبر الناس فتمالأت علينا قريش حتى اخرجت الامر عن معدنه واحتجت على الانصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداولتها قريش واحداً بعد آخر حتى رجعت الينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الامر في صعود كؤود حتى قتل فبويع الحسن سلام الله عليه ، وعوهد ثم غدر به واسلم ، ووثب

عليه اهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهب عسكره ، وعولجت خلاخيل امهات اولاده ، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء اهل بيته ، وهم قليل حق قليل »

وحين وادعه ابو محمد عليه السلام اشترط عليه شروطاً كثيرة منها ان يكف عن سباب من قام الاسلام بحسامه ، وتأسست بقوائمه قواعد الحكم لمعاوية وغيره ، وان لا ينال شيعته بسوء ، فلما وصل معاوية النخيلة أو دخل الكوفة واعتلى المنبر قال : ألا اني قد منيت الحسن بن علي شروطاً وكلها تحت قدمي هاتين (١) يقول ابو الفرج في المقاتل صلى معاويه الجمعة بالنخيلة ثم خطب فقال : إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا تصوموا ولا تحجوا ولا تزكوا انكم لتفعلون ذلك ، انما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون ، قال شريك في حديثه : هذا هو التهتك .

إن ابا محمد عليه السلام ليعلم ان معاوية لا يفي بشيء من الشروط ، ولكن ما اشترط عليه إلا ليتجلى للناس غدره ونكثه بالعهود.

فكأنما صالحه على ان يجتهد في سب المرتضى وتتبع شيعته ما استطاع ، وما اكتفى بسبه بنفسه حتى كتب الى عماله ان يسبوه على المنابر ودبر كل صلوة ، ولما عوتب على ذلك قال : لا والله حتى

---

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٣٦ ، وشرح النهج « ٤ : ٦ » والطبري فى حوادث عام ٤١ « ٦ : ٩٣ » وتاريخ العبري ص ١٨٦ الى كثير سواها .

يربو عليه الصغير ويهرم الكبير ، فما زال سب أمير المؤمنين سنة في دولة بني امية الى ان انقرضت ، سوى ايام الخليفة ابن عبد العزيز في بعض البلاد ، وزاد معاوية على السب أن كتب لعماله برئت الذمة ممن روى حديثاً في فضل ابي تراب (١)

وما زال متتبعاً اثر شيعته حتى انتهك منهم كل حرمة وارتكب كل محرم ، يقول المدائني كما في شرح النهج « ٣ : ١٥ » : وكان أشد الناس بلاءاً أهل الكوفة لكثرة من فيها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن أبيه وضم اليه البصرة ، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف ، لانه كان منهم ايام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الايدي والارجل وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم .

هذه بعض سيرة معاوية مع الشيعة فكان لا يجهر أحد بالولاء لابي الحسن ولآل محمد الاطهار إلا حمل خشبة الصلب على عاتقه وصبّ الحسام لعنقه بيده ، وما حيلة البعض منهم وهو جهير بالتشيع معروف فيه لا يستطيع كتمه ولا دفعه ، امثال حجر بن عدي واصحابه ، وعمرو بن الحمق الخزاعي واضرابه.

---

(١) انظر شرح النهج « ٣ : ١٥ » نقلا عن المدائني وابن عرفة المعروف بنفطويه .

وما وقف معاوية عند هذا الحد من شقائه حتى أراد أن يقتل امام الشيعة ابا محمد الحسن عليه السلام فدس اليه السم على يدي زوجته جعدة بنت الاشعث فنال بذلك منه ما اراد (١)

وحسب معاوية أن بمطاردة الشيعة والقضاء عليهم والقتل لامامهم يغالب القدر فيمحو ذكر اهل البيت ويقضي على شريعة الرسول (ص) خصمه الألد، ولكن «يأبى الله إلا ان يتم نوره»، فانه بالرغم من تلك الجهود العظيمة التي كانت لمعاوية ومن جرى على سيرته في حرب أهل البيت، كان شأن أهل البيت لا يزداد إلا رفعة وسناءاً كما تراه اليوم، فان أيام معاوية في سلطانه بلغت عشرين عاما وقضاها مجداً بالقضاء على اهل البيت وشأنهم الرفيع حتى خيل لمن لا يعرف عواقب الامور ان رعاة الدين لم يبق منهم نافخ ضرمة، وان المنكر قد

(١) انظر تاريخ ابي الفداء «١ : ١٨٣» والاستيعاب لابن عبد البر، ومروج الذهب «٢ : ٣٦» ومقاتل الطالبيين، والشرح «٤ : ٤ و ٧ و ١٨ ٤» الى غير هؤلاء وما اكتفى بالسم وحده بل خر ساجداً لما بلغه موت الحسن عليه السلام، كما ذكر ذلك الطبري والدميري وابو الفداء وابن قتيبة وابن عبد ربه، وغيرهم، ويا للعجب مما جناه معاوية كانه لم يتوصل الى الملك إلا للقضاء على الشريعة واربابها، وان الاعجب منه ان ترى له انصاراً ومدافعين حتى اليوم، وكانت ولادة الحسن في النصف من شهر رمضان لسنتين مضتا للهجرة أو لثلاث وموته في السابع من صفر عام ٥٠ للهجرة.

تقلّبت رجاله حتى لم يبق من رجال المعروف أحد يعرف ، ولكن ما مضت الايام إلاّ وانهار كل ما بناه معاوية وأسسه غيره وشاده اعقابه ، وعلا الحق مرتفعاً في حجته وآثاره ، والحق يعلو ولو بعد حين.

وهذا أمر بارز للعيان ينتبه اليه أهل البصائر في كل أوان وقد اخبروا عنه أهل العصور الاول ، يقول الشعبي لولده « وهو المتهم بالانحراف عن علي عليه السلام » : يا بني ما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا ، وما بنت الدنيا شيئاً إلا وهدمه الدين ، انظر الى علي وأولاده فان بني أمية لم يزالوا يجهدون في كتم فضائلهم واخفاء امرهم وكأنما يأخذون بضبعهم الى السماء ، وما زالوا يبذلون مساعيهم في نشر فضائل اسلافهم ، وكأنما ينشرون منهم جيفة .

ويقول عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه : يا بني عليك بالدين فان الدنيا ما بنت شيئاً إلا هدمه الدين ، واذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه ، ألا ترى علي بن ابي طالب وما يقول فيه خطباء بني امية من ذمه وعيبه وغيبته والله لكأنما يأخذون بناصيته الى السماء ، ألا تراهم كيف يندبون موتاهم ويرثيهم شعراؤهم والله لكأنما يندبون جيف الحمر (١)

ولا غرابة فان الله لا يخزي أولياءه وقد ضحوا بنفوسهم ونفيسهم في ذاته ، وكيف ينصر أعداءه وهم حرب له ولاوليائه

(١) انظر شرح النهج « ٢ : ٤١٤ »

نهضة الحسين عليه السلام (١)

إن تلك الافاعيل التي كانت لمعاوية وعتاة مردوا على النفاق ، وهاتيك التدابير التي حسبوا انها تقضي على روح الشريعة ومقام أهل البيت ، وآخر سهم في كنانة معاوية تأمير ابنه يزيد ، لابد لها من نهضة تكشف للامة الاسلامية عتوها وخروجها عن الدين وعلى الدين ، ولما بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين حان الوقت للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلام الناس جهرة بضلال بني أمية وأشياعهم وحربهم للشريعة ، ومن لهذا الشأن العظيم والامر لا يتم بدون تضحية كبرى يطبق ذكرها الآفاق وتبقى خالدة عمر الدهر لا تنسيها الحوادث ، ولا تماثلها الوقائع ليقضى مفعولها على تلك البدع والمنكرات ، غير إبي عبد الله الحسين عليه السلام .

نهض ابو عبد الله نهضة فضح بها اعمال امية ونوايا القوم مع الدين والناس ، وأظهر للعالم كله ان دين الحق الذي صدع به جده رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما يريد الدفاع عنه ويطلب احياءه

---

(١) ولد عليه السلام في الثالث من شعبان بعد ثلاث سنين من الهجرة ، وقتل في العاشر من المحرم عام ٦١ هـ

ولو باراقة دمه الزاكي ، وان يزيد ومن سبقه هم المجدون في اماتته بالاعمال والاقوال .

فمن يوم نهضته الرشيدة امتاز الحق من الباطل ، وعرفت شيعة آل محمد من اشياع بني امية ، وما زالت تتجلى نهضته الكريمة يوما بعد آخر ، وتتجلى اسرارها الزاكية لذوي الابصار والبصائر ، فان موقفه ذلك اليوم وتضحيته بنفسه ونفوس تلك الصفوة الطاهرة من آل ابي طالب ، والنخبة المنتجبة من أنصاره ، وسوق الامويين لبنات الرسالة ، وعقائل هاشم كالسبي المجلوب ، بعد السلب والضرب ، هو الذي أحيى الحق بعد الدثور ، وأظهر الدين بعد الافول ، وأعلن للعالم ان معاوية وابنه يزيد هما اللذان ضلا واضلا العباد ، وأفسدا الناس والبلاد ، فصار التشيع لآل محمد (ص) يمضي في سبيله يجتاز العقبات التي وضعت أمامه ، ويقتلع الاسلاك الشائكة التي نسجت في طريقه .

اسرار شهادته

إن المتتبع للاسباب التي حدت بالكثير من الناس على التمسك بالثقلين ، والاهتداء بنور آل البيت يجد القسم الكبير منها ناشئا عن ظهور مظلومية الحسين عليه السلام ، وارتكاب اعدائه منه مالا يسوغه دين أو مروة أو غيرة ، فلو انهم كانوا أهل دين لما عارضوه في دعوته ، فضلا عن ان يرتكبوا منه فظيع الاعمال التي يندى منها وجه

الحق والشرف والانسانية ، لأن الواقف على أسباب نهضته يعلم ان الذي حدا به على تلك النهضة هو احياء شريعة جده الرسول «ص» من الامر بالمعروف والنهي عن البدع والمنكرات التي غمرت الناس لعدم الزاجر عنها ، بل لوجود الآمر بها الحامل عليها ، فما اصدق القائل : — إن الاسلام علوي والتشيع حسيني — ، فان سيف أمير المؤمنين عليه السلام الذي ضرب به خراطيم الناس حتى قالوا : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » هو الذي نشرت به رايات النصر ، ورفعت به اعلام الفتح ، وأخراج الناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان ، وكان علي عليه السلام في كل حرب حضرها لرسول الله (ص) هو الفاتك الفاتح .

كما انه لولا قيام الحسين بتلك التضحية الكريمة لكان الدين كله امويا بسعي ملوك أمية ، وما هو إذ ذاك إلا فساد في الارض وارتكاب لكل منكر وهتك للحرمات وفسق بالاعراض وسفك للدماء ونهب للاموال ، الى غير هذا مما جاء الدين لاستئصال شأفته ، وقلع جرثومته ، وتطهير جسم المجتمع من أمراضه الفتاكة ، وهذا ابو عثمان الجاحظ يقول : وتفخر هاشم على بني أمية بانهم لم يهدموا الكعبة ، ولم يحولوا القبلة ، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة ، ولم يختموا فى اعناق الصحابة ، ولم يغيروا أوقات الصلوة ، ولم ينقشوا اكف المسلمين ، ولم يأكلوا الطعام ويشربوا على منبر رسول الله

صلى الله عليه وآله ، ولم ينهبوا الحرم ، ولم يطأوا المسلمات في دار الاسلام بالسباء (١)

وهذا بعض ما ذكره ابو عثمان وما يذكره ارباب التأريخ من اعمالهم ، ولو استقامت تلك الاعمال من دون نكر يطهرها من على وجه الارض لاصبحت عرفا بين الناس ، ومتى تعود الناس الى العمل بالشريعة وقد استقبلوا هذه البدع والموبقات ترتكب جهراً ، ولا يخشى الله في اقترافها اعلانا وسراً .

فنهضة الحسين هي التي ابانت ضلال القوم وجرأتهم على الشريعة ، وانتهاكهم لحرمات الدين ، وخروجهم عنه بل عليه اقوالا واعمالا ، فكان بزوغ بدر آل البيت بعد أن أفل أو كاد من اسرار شهادته التي ما زال الكثير منها مجهولا ، وما تجلى إلا شطر منها حتى كاد أن يلمسها بيده حتى الغربي ، وعسى أن يكشف لنا المستقبل شطراً آخر محجوبا حتى اليوم عن البصائر والابصار .

نهضة وانصار أمية

ان الذي يرشدك الى ان شجرة التشيع كان نموها وافراعها مما استقته من تلك الدماء الطاهرة ، هو ان انصار الامويين تكاد ان تتقطع قلوبهم غيظا من هاتيك النهضة الحسينية ، وما زالوا ينسجون الحجب بشتى الاساليب فيضعونها على شمس تلك التضحية ،

---

(١) شرح النهج الحديدي « ٣ : ٤٢٩ »

زعماً منهم ان عين الشمس تحجب بالغربال ، وهيهات الذي دبروه من تمويه وخداع ، فان انوار تلك الشهادة قد استضاء منها الافق الاسلامي ، ومزقت ظلام تلك الاضاليل الاموية ، ونبهت الحواس الى الفوائد الملموسة من ذلك القربان ، وخسران أمية في ما جنته ، وان هزتهم نشوة الظفر اياما معدودة ، وما زال انصار أمية مجدين في كتمان الحق ظناً منهم ان الباطل يعلو بالاراجيف وتستر عيوبه نسائج الاوهام واسلاك الهباء ، ولا يفضحه قمر الحق الطالع ، وما دعاهم الى بخس الحق لتلك النهضة الشريفة إلا ما شاهدوه ولمسوه لها من الآثار وهي انتشار التشيع ونموه حينا بعد آخر ، وافتضاح سلفهم بما جنوه على انفسهم ، واكتسبته ايديهم ، وكفى بافتضاحهم اعترافهم بالفضيحة ، فهذا عبيدالله بن زياد طالب عمر بن سعد بالكتاب الذي كتبه له في قتل الحسين ، فقال : مضيت لامرك وضاع الكتاب ، قال لتجيئن به قال ضاع : قال : والله لتجيئن به ، قال : ترك والله يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً اليهن بالمدينة ، اما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها ابي سعد بن ابي وقاص كنت قد اديت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله وددت انه ليس من بني زياد رجل إلا وفي انفه خزامة (١) الى يوم القيامة وان حسيناً لم يقتل ، قال : فوالله ما انكر عليه ذلك عبيد الله (٢)

---

(١) احسب انه كناية عن الذل .

(٢) انظر الطبري « ٦ : ٢٦٨ » في حوادث عام ٦١ ، وابن الاثير « ٤ : ٤٠ » في حوادث هذا العام .

وأنى لهم اليوم بستر تلك التضحية وقـــد ملأت البلاد طولا وعرضاً ذكراها والاشادة بها على المنابر ، وهذه الصحف والكتب ما زالت تندب ذلك القربان وتبكي تلك الفاجعة الموجعة ، في كل زمان ومكان .

ولماذا تذهب يميناً وشمالا وهـذه عاصمة امية ـ الشام ـ التي اتخذت يوم قتل الحسين عيـداً واستقبلت الرؤس والسبي بالدفوف والطبول وبقيت اياما وعليها منشورة معالم الزينـة والفرح اصبحت والمـآتم تقام فيها نادبة للحسين باكية عليه لاعنة من اجترح منـه ذلك الذنب العظيم ، وهذا اسم الحسين مكتوب على مسجدها الاعظم وقد وضع ثوب السواد شعار الحزن على موضع صلب الرأس من ذلك المسجد ، وهاتيك القبور من أهل البيت وما اكثرها في ذلك البلد ـ دمشق ـ معمورة بالقباب وبالزائرين ، وقد فرشت بانفس السجاد واضيئت باجمل المصابيح ، واين قبر معاوية ويزيد من عاصمتهم الشام واين الزائر لهما من اشياعهم ومن سائر الناس .

هذا هو شأن الحق واهله لا تميته الايام ولا يظفر به الباطل واشياعه ، ولا ينخدع ببهرجة الدنيا وارباب‍ـــا إلا من نسي الله فانساه ذكره ، فانى لامية وانصارها ان تطاول الحق فتمحي شخصه الكريم من الوجود .

كان دأب أهل البيت بعد حادثة كربلاء نشر ما حل بقتلى الطف ، وبما جرى على النسوة والصبية من فزع ودهشة وسلب وضرب وسبي ، فان زين العابدين عليه السلام قضى سني حياته كلها (١) بالبكاء على أبيه ، فانه ماقدم له طعام أو شراب إلا ومزجه بدموع عينيه ، وعلى هذا المنوال نسج الأئمة من أولاده ، بل مازالوا يعقدون مآتم العزاء للبكاء واستماع شعر الرثاء ، ولربما ضربوا الاستار وجعلوا خلفها بنات الرسالة ليستمعن شجي المراثي فيبكين على صرعى الطف وسبي العقائل بل كان شعارهم حث المؤمنين على نصب مآتم الحزن للبكاء على ذلك الحدث الجلل ، وعلى زيارته ولو على الخشب اشارة منهم الى الصلب ، وقد لبى المؤمنون تلك الدعوة فمازالت مآتمهم قائمة ، وزياراتهم دائمة ، ولقد لاقوا من أجل ذلك فنون الاذى والتنكيل ايام بني امية وشطراً من دولة بني العباس خصوصاً في عهد المتوكل ، حتى ادركوا الامل فصارت المآتم تقام علناً والزيارة تعمل جهرة الى ان بلغت الى ما تشاهده اليوم.

وما زال أئمة اهل البيت يأمرون بنشر الدعوة الحسينية بكل

(١) اشهر الاقوال انه قتل بالسم في محرم من عام ٩٥ فتكون حياته بعد ابيه خمساً وثلاثين سنة ، كما ان المشهور ان عمره الشريف يوم قتل ابيه اثنان وعشرون عاما .

وسائل النشر ، وقد سبقهم الى ذلك جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله فقد بكى ولده الحسين عليه السلام وحض على البكاء عليه ، وحث على نصرته عند نهوضه وعلى زيارته بعد قتله ، والحسين بعد في الاحياء وسمع أنس بن الحارث بن نبيه رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان ابني هذا يعني الحسين عليه السلام يقتل بارض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره فخرج أنس الى كربلاء فقتل مع الحسين عليه السلام (١) ، وقال ابن عباس : أوحى الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وآله إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين الفاً وإني قاتل بابن ابنتك سبعين الفاً (٢) والاحاديث عنه في هذا الشأن كثيرة (٣) .

أراك على علم باسرار تلك الاوامر واقامة هاتيك الشعائر ، فانهم حاولوا بتلك وهذه لفت الانظار الى المصائب التي جرت على قتيل الظلم ، وصريع الجور ، وبذاك اعلاء كلمة الشهادتين ، وتنفيذ احكام الشريعة ، فانه ما ضحى بنفسه ونفيسه إلا لأجل ذلك، واحسبك خبيراً بنجاح تلك التضحية منه وهاتيك الدعوة منهم .

---

(١) انظر في ذلك ترجمته من الاستيعاب والاصابة .

(٢) مستدرك الحاكم « ٣ : ١٧٦ »

(٣) انظر العقد الفريد « ٢ : ٢١٩ » والصواعق ص ١١٥ وكنز العمال « ٥ : ٢٢٣ » وكثيراً سواها من كتب الحديث والفضائل والتأريخ .

ولو لم يكن إلا انعطاف الناس على ما فجع به ذلك القتيل ، وبغضهم لمن اجترأ عليه بذلك الفعل الاشنع لكان أجراً يستحقه الاشفاق على المظلوم وان كان من غير ابناء جلدته ودينه ، والشنآن للظالم وان كان منه قبيلة ودينا ، ومن ثم نجد الامم وان لم تكن مسلمة تنعطف على تلك التضحية وتقدر تلك البسالة والاقدام من سيد الشهداء ، وتعد الجرأة على قتله وهو بتلك الحال شناعة وخزيا لا يغسل عاره تطاول السنين والاعوام .

فنجاح هاتيك الشهادة ليس بكثرة الاولياء من المسلمين للحسين « ع » وتكثر الشيعة لاهل البيت في كل بلاد خيم عليها الاسلام فحسب ، بل بالتقدير من العالم كله الذي اطلع على تلك الحادثة لذلك الابي الباسل الذي صرعه سيف الظلم والعدوان ، فان التأريخ لم يقرئهم والعيان لم يرهم حربا تقابل فيها الحق والباطل فتغلب الباطل وانتقم من الحق انتقاما تستنكره الوحوش الكواسر والامم الجاهلية التي لم تعرف الدين أو العاطفة أو النظام ، فكيف بامة تنتسب الى دين الرحمة والعطف دين العدل والحق ، وكان الانتقام نفسه ممن يدعوهم الى العمل بذلك الدين واحكامه وهم بعد يزعمون انهم يستظلون برواق ذلك الدين ، ويعترفون بان ذلك القتيل داعية الحق وابن صاحب الشريعة .

الشيعة وابن زياد

ولما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وظفر بمسلم بن عقيل رسول الحسين وداعيته اخذ يقتل من يظن ولاءه لأمير المؤمنين عليه السلام، ويحبس من يتهمه به ، حتى ملأ السجون منهم خشية ان يتسللوا لنصرة الحسين عليه السلام ، ومن ثم نجد قلة في انصاره مع كثرة الشيعة بالكوفة ، ولقد كان في حبسه اثنا عشر الفاً كما قيل ، وما اكثر الوجوه والزعماء فيهم ، أمثال المختار وسليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وابراهيم بن مالك الاشتر .

وبعد أن خرجوا من حبسه نهض منهم اربعة آلاف برأسهم سليمان بن صرد وجاؤا لقبر الحسين عليه السلام فنعوه وبكوه واشتدوا لحرب الامويين حتى فني اكثرهم ولم يحجزهم عن المقاومة تفاني اكثرهم حتى ظهر المختار بالكوفة فالتحقوا به .

وصلب ابن زياد جماعة من الشيعة كان في طليعتهم العبد الصالح ميثم التمار (١) وقد أمر به فقطعت يداه ورجلاه ، وبقي وهو بتلك الحال يحدث الناس بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام كأنه خطيب على أعواد قام به فاستلوا لسانه وقطعوه ، ثم بقروا بطنه فمات رحمة الله عليه ، وهذا الفعل القاسي الفظيع نزر مما ارتكبه ابن زياد

(١) دونت احواله وعلومه في رسالة اخرجتها مطابع النجف.

من الشيعة ، ولو لم يكن له إلا فاجعة الطف وقتل الحسين ورهطه وصحبه لكفى به حدثا تهتز له السموات والارضون عظما وجزعا .

يقول الباقر عليه السلام ، كما في شرح النهج « ٣ : ١٥ » :
ثم لم نزل اهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، الى أن قال عليه السلام وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الأيدي والارجل على الظنة ، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام .

فهذا الباقر عليه السلام ـ وهو الصادق الامين ـ كيف يحدثنا بشجي اللحن عما جرى عليهم وعلى شيعتهم من المحن وعظيم البلاء أيام ابن زياد ومن قبله كما سيحدثنا عما جرى عليهم زمن من بعده ، والتأريخ اصدق شاهد لحديثه .

الشيعة ايام المختار

لما عاجل الهلاك يزيد وتضعضعت من بعده امارة الامويين اياما ، بقيت الشيعة في الكوفة تتطلب زعيما يلم شملها ، ويشفي غيظ صدورها ، فما لبثوا أن وثب بهم المختار وثبة الاسد الغضبان بعد

الربض الطويل ، فالتفت الشيعة حوله ، وساروا تحت ركابه ، وجعل على الجند ابراهيم بن مالك الاشتر فاوقع بعسكر الشام ومزقه شر ممزق ، وقتل قائده ابن زياد ، وتلك أمنية اهل البيت والشيعة عامة، وبعث برأسه الى زين العابدين فسجد لله شكراً، وعند ذاك خلعن الهاشميات ثياب الحزن على الحسين عليه السلام .

ولما انخذل جيش الشام قويت شوكة المختار والشيعة وصار يستأصل قتلة الحسين عليه السلام وما ابقى احداً منهم يعرف إلا ان يكون قد هرب من بين يديه ،فمن ثم تحامل عليه من ملك قلبه حب الامويين وقتلة السبط الشهيد فصار يدنس غايته النزيهة التي وثب من اجلها وهي الطلب بدم سيد الشهداء ، فرموه تارة بانه اراد الوقيعة بالعروبة فكأنه لم يكن من العرب، فوجد الفرصة للانتقام من الاسلام والعرب ، واخرى انه تطلب بتلك النهضة الزعامة ، ولا أدري لماذا استقصى اولئك القتلة وما اكتفى بقتل شطر منهم وتأمين الباقين لينضموا الى لوائه ، هذه هي سياسة الملك والامرة فان الاستقصاء يملأ قلوب واتربه حقداً عليه ، فيحملهم على الوثبة عليه عند الفرصة . إن طالب الرياسة مثل معاوية الذي موه نهضته في حربه لأمير المؤمنين بالطلب لدم عثمان ، ولما آل الأمر اليه لم يتعرض احداً من قاتليه بسوء فاغضى اغضاء متجاهل بهم فكأنما لم تكن تلك الحرب الضروس من أجل الطلب بدم عثمان، حتى طالبته ابنة عثمان بالانتقام فاعتذر .

ولو كان المختار غير صحيح القصد في وثبته لما روى الكثير من المؤرخين نهضته ـ وشعارها الطلب بالثار ـ فهذا ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢ : ٢٣٠) يقول : ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة وعمر بن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم اجمعين، وامر الحسينية وهم الشيعة ان يطوفوا في أزقة المدينة ـ الكوفة ـ بالليل ويقولوا : ياثارات الحسين .

وقال ابو الفداء في حوادث عام ٦٦ « ١ : ١٩٤ » وفي هذه السنة خرج المختار بالكوفة طالباً بثأر الحسين واجتمع اليه جمع كثير واستولى على الكوفة وبايعه الناس بها على كتاب الله وسنة رسوله « ص » والطلب بدم اهل البيت ، وتجرد المختار لقتال قتلة الحسين .

وبمثل هذا ذكر الكثير من أرباب التأريخ سبب قيامه ، ولعل هذه الغاية الشريفة من نهوضه بغضه لكثير من الاول فدسوا الاحاديث في قدحه ، ونسبوا له كل شناعة في الرأي والمذهب .

وما ذنب المختـــار إلا انه طهر الارض من فئة حاربت الله والرسول والاسلام بحربها للسبط الشهيد وجرأتها على اهراق دمه ، وانتقم لاهل البيت ، فكيف يهون عليهم ان ينتقم لاهل البيت ، سبحانك اللهم وغفرانك أهذا النصف والعدل من الانسان .

الشيعة ايام السجاد عليه السلام (١)

ظهر ابن الزبير بمكة واستتب له الامر في الجزيرة تسع سنين ، فاشتغل الامويون بابن الزبير وابن الزبير بالامويين ، وزين العابدين في عزلة عن هذا التطاحن الدنيوي ، وانصرف شطر من الناس الى العلم وشطر الى السياسة ، واصبح لكل من امري السياسة والعلم شأن في البلاد ، وتكاد ان تنفصل كل طائفة عن الاخرى ، وابتدأ في هذا العهد ارتكاز العلم على القواعد والاصول، وابتدأت المناظرات والمحاججات ، والمذاهب والطرائق ، وكان في هذا العصر الفقهاء السبعة في المدينة ، الذين يرجع الناس اليهم في الفقه وكانوا يفتون على آراء أهل السنة واصولهم ، فكان في هؤلاء شيعيان هما القاسم ابن محمد بن ابي بكر وكان من حواري زين العابدين ، وسعيد بن المسيب وقد رباه أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانا في الظاهر على رأي أهل السنة ، ومن ثم تعرف ان التقية كانت دريئة الشيعة قبل عهد الصادق عليه السلام .

وكانت الشيعة ترجع الى زين العابدين في ذلك الانعزال والوحدة ونصبه للمأتم الدائم على أبيه (ع) ، وتلك هي السياسة

---

(١) ولد في الخامس من شعبان عام ٣٨ هـ وقبض بسم الوليد بن عبد الملك بالمدينة في محرم من عام ٩٥ ودفن بالبقيع مع عمه الحسن عليهما السلام .

الآلهية التي اختطها ابو محمد عليه السلام لنفسه خدمة للشريعة ، فان الناس أشغلها التضارب على الملك فوجدها فرصة لا بداء مظلومية سيد الشهداء ، فكان بكاؤه المستمر على شهيد الظلم اكبر ذريعة لاحقاق الحق وابطال شمائر دول الجور ، وانصرافه عن السياسة واهلها نهزة لتوارد الناس عليه دون ان يؤخذوا بذلك .

اذهلت حادثة الطف الناس كلهم وما كان يحتسبون ان تلك الفئة الغاشمة الاموية يبلغ بها العتو الى ما كان ، ولا الناس في الطاعة لهم والارتكاب من آل الرسول « ص » الى ما وقع ، فندم شطر من أولئك المحاربين وطلبوا من زين العابدين النهوض بهم الى الانتقام من بني امية فابى عليهم اشد الاباء ، وأسف من تخلف من الشيعة عن الالتحاق بالحسين وعن القتل بين يديه وما علموا ان الناس يبلغون منه ذلك الفعل الاشنع ، وأصبحوا على حزن عميق بين نادم وآسف، وهذا أحد العوامل على انتقاض الناس على يزيد ووقوع حادثة الحرة ، فان كارثة كربلاء لم تبق هوى لا كثر الناس في آل أبي سفيان،هذا فوق ما كان عليه يزيد من الخلاعة والتهتك والطيش.

فالشيعة بالعراقين والحرمين في هذه الفترة هادئة الاعصاب لم يتفرغ ابن الزبير لمناوئتهم حتى بعد استيلاء مصعب على الكوفة وقتل المختار وان كانت نزعة ابن الزبير شنآن أهل البيت ومحاربتهم في خططه وخطبه .

الشيعة زمن الحجاج

ما مضت تلك الايلات القصيرة التي استقل فيها آل الزبير بالجزيرة إلا وعاد الحكم لآل مروان من بني أمية بعد ان قضوا على آل الزبير ، ولما بسط عبد الملك نفوذه على البلاد وقامت دعائم سلطانه التفت الى أهل البيت وشيعتهم ، ولم تطب نفسه لأن يكونوا على تلك العزلة والوداعة ، وكان سيد آل البيت وامام الشيعة يومئذ زين العابدين فحمله الى الشام ليغض من مقامه ، وينقص من قدره ، ولكن لم يزدد الامام بذلك إلا عزاً وكرامة لما ظهرت له من الفضائل والمعارف ، وكانت الكوفة مغرس دوحة التشيع فحاول ان يجتثها من على الأرض ، وأي ساعد اقوى من ساعد الحجاج وله قلب قد من حديد لا يعرف الرقة واللين ، وأي رجل أبيع لدينه بالثمن الاوكس - لو كان ثمة دين - من الحجاج ، وان فعله بالبيت الحرام ليسلم قصر الملك لعبد الملك أخسر صفقة .

وهنا يخبرنا الباقر عليه السلام عن عيان ومشاهدة عما كان من الحجاج مع الشيعة ، كما يحكيه شارح النهج « ٣ : ١٥ » يقول عليه السلام : ثم جاء الحجاج فقتلهم - يعني الشيعة - كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى انّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من ان يقال له شيعة علي عليه السلام .

ويقول المدائني كما في الشرح «٣ : ١٥» : وولي عبد الملك ابن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب الناس اليه ببغض علي عليه السلام وموالاة اعدائه وموالاة من يدعي قوم من الناس انهم أيضاً اعداؤه ، فاكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم واكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له .

وماذا يذكر الكاتب عن الحجاج وأعماله فلقد سود صحائف من التاريخ لا تنسى عمر الدهر ونربى باقلامنا عن ذكرها وكيف ننشر تلك الفضائح على صحائف بيض تريد الفضيلة بما ترويه وتسطره ، ولو كانت أعماله القاسية مجهولة ولو لبعض الناس لآثرنا للفضيلة استطراد شطر منها رجاء ان ينتهجها من له امرة وسلطان عندما يعرف ان المرء حديث بعده وان التاريخ يحفظ عليه الجميل والقبيح ، ولكن الناس كلهم يعلمون ما ارتكبه ذلك الفظ الغليظ من الكعبة وممن اتخذ الكعبة قبلة دون ان يميز بين شيعي أو سني أو حروري ، وبين حجازي أو عراقي أو تهامي .

الشيعة أيام الباقر عليه السلام (١)

ما وجد الشيعة زمن محمد الباقر عليه السلام تضييقاً شديداً من بني أمية كما وجدوه فيما سبق على عصره ، فكانوا يشدون الرحال اليه للارتشاف من مناهل معارفه وعلومه ، وفي أيامه كثرت الرواة والرواية عنه وكانت الرواية عنه اكثر من آبائه السابقين عليهم السلام فانتشر الحديث الباقري فى كل قطر ، حتى ان جابر الجعفي وهو من ثقات رواته واعاظم نقلة الحديث ، روى سبعين الف حديث عنه فحسب ، وكان من حملة علوم أهل البيت ، وعلمهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان كما في نص الحديث عنهم يقول جابر كما فى الحديث عنه : عندي خمسون الف حديث ما حدثت منها شيئاً كلها عن النبي (ص) من طريق أهل البيت ، وروى ايضاً محمد بن مسلم عن الباقر خاصة ثلاثين الف حديث ، فما اعظمكم من رجال كيف كانت أوعيتكم صالحة لتحمل تلك المقادير العظيمة من علم أهل البيت ذلك العلم الصعب المستصعب ، ولا بدع فان الناس معادن .

---

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ٥٧ هـ وكان بالطف وهو ابن أربع وقبض بسم هشام بن الحكم على يد عامله بالمدينة فى السابع من ذى الحجة عام ١١٤ ، أو ١١٧ ودفن بالبقيع مع عمه وأبيه عليهم السلام .

ونبغ في زمنه من رجال الحديث علماء كان المعول على حديثهم بعد حين وكانوا المقدمين عند الامام الصادق عليه السلام ، يعطف عليهم ويرفق بهم وجاءت عنه فيهم مدائح جليلة أمثال جابر ومحمد ابن مسلم وزرارة وحمران ابني اعين وابن ابي يعفور وبريد العجلي وسدير الصيرفي والاعمش وابي بصير ومعروف بن خربوذ وكثير سواهم ، كما نبغ فطاحل من الشعراء بقيت آثارهم خالدة حتى اليوم أمثال الكميت .

الشيعة ايام الصادق عليه السلام (١)

مني الامام الصادق عليه السلام بمعاصرة الدولتين المروانية والعباسية ، وشاهد منهما معاً ضروب الاذى والتضييق ، فكم ازعجوه من دار الهجرة يحمل الى فرعون أيامه من دون جرم سوى انه صاحب الخلافة والامامة حقاً ، فحمل مرة الى الشام مع أبيه الباقر عليه السلام ايام بني مروان ، والى العراق عدة مرات في عهد بني العباس أبناء عمه ، مرة في عهد السفاح الى الحيرة ، ومرات في عهد المنصور الى الحيرة والى الكوفة والى بغداد .

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ٨٠ أو ٨٣ من الهجرة ، وقبض بالمدينة بسم المنصور على يد عامله على المدينة في الخامس والعشرين من شوال وقيل في رجب من عام ١٤٨ هـ وقد ساعدني التوفيق فكتبت في احواله كتابا اخرجته مطابع النجف بجزئيه .

وأحسن أيام مرت على الشيعة في عصره في الفترة التي امتزجت من أخريات دولة بني مروان وأوليات دولة بني العباس ، في اشتغال أولئك بقتل بعضهم لبعض وبانتقاض البلاد عليهم ، وهؤلاء بالحرب مع المروانيين مرة وبتطهير البلاد منهم واستتباب الامن أخرى ، فانتهز الشيعة هذه الفرصة - والوقت فرص - للارتواء من مناهل علمه وعرفانه ، فشدوا الرحال اليه من كل حدب وصوب لأخذ أحكام الدين والمعارف عنه ، فروي الحديث عنه في كل علم وفن ، كما تشهد به كتب الشيعة ، ولم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب ، بل روت عنه سائر الفرق كما تفصح بذلك كتب الحديث والرجال من الشيعة وغيرهم ، وقد احصى ابن عقدة والشيخ الطوسي طاب ثراه في كتاب رجاله ، والمحقق رحمه الله في المعتبر ، وغيرهم من روى عنه من الشيعة ومن غيرهم ، فكانوا أربعة آلاف ، وكان اكثر الاصول الاربعمائة مروية عنه ، وهذه الاصول هي الاساس لكتب الحديث الاربعة: الكافي لثقة الاسلام الكليني(١)

---

(١) قبض محمد بن يعقوب الكليني عام ٣٢٨ أو ٣٢٩ في شعبان عام تناثر النجوم وهي سنة وفاة علي بن محمد السمري رضي الله عنه الذي انقطعت السفارة بموته ووقعت الغيبة الكبرى وكتابه الكافي من اهم كتب الشيعة .

ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (١) والتهذيب والاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي طيب الله مراقدهم (٢)

وصارت الشيعة في غضون هذه الفترة تنشر الحديث ، وتجهر بولاء أهل البيت عليهم السلام ، وربما عددهم في مختلف الجهات على مئآت الألوف ، ولما قامت دعائم السلطان للمنصور وعرف كثرة الشيعة في الآفاق ، وتجاهرهم بالولاء لآل محمد عليه وعليهم السلام ضيق على مصدر معارفهم وإمام عصرهم ـ الصادق ـ عليه السلام ، حين علم انه يعسر عليه استئصال الشيعة لكثرتهم وانتشارهم في البلاد ، فاراد ان يقطع الاصل ، وبه يكون جفاف الفرع ، فكم حمله الى العراق وأوقفه بين يديه ، يريد بذلك استنقاصه امام الناس ، وكم خاطبه بما يقصر القلم عن سطره ، وما كفاه ما ارتكبه منه من تلك الاذايا والمكاره والمواقف التي يهتز لها العرش عظما ، دون ان دس

---

(١) هو محمد بن علي بن بابويه القمي نزيل الري ، ورد بغداد عام ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن وله ثلثمائة مؤلف مات بالري رحمه الله عام ٣٨١ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥ وقدم العراق عام ٤٠٨ وانتقل الى النجف عام ٤٤٨ ومات فيها ليلة الاثنين ٢٢ من المحرم عام ٤٦٠ ودفن في داره وهي اليوم مسجد وله مؤلفات كثيرة وكلها مهمة جليلة .

اليه السم على يد عامله على المدينة ، فمات روحي فداه قتيلا بسم المنصور (١)

وما اقتصر المنصور في فظيع أعماله على ما اجترحه من سيد العلويين ـ الصادق ـ بل من الشفرة العلويين كافة ، فصبغ أرض الهاشمية من دمائهم الطاهرة ، واكثر الفجائع في بغداد من اهلاك تلك الفتية الفتية ، فخافته الشيعة فانكمشت في بيوتها ، وتسترت بالتقية خشية من صارم عقابه ، اتراه يكف عن علوي بعد أن اجترأ على سيدهم ، أو يعف عن شيعي بعد أن قضى على امامهم .

الشيعة ايام الكاظم «ع» (٢)

قضى الامام موسى الكاظم عليه السلام ايام امامته (٣) بين سجنين ، سجن داره بعيداً عن الناس خوفا من بني العباس ، وسجن بني العباس الشديد الظلمة والظلم ، حتى ان الراوي اذا روى الحديث عنه لا يسنده اليه بصريح اسمه ، بل بكناه مرة كابي ابراهيم

(١) اتفقت الشيعة على ذلك وذكر ذلك كثير من مؤلفي السنة، انظر « اسعاف الراغبين » و ـ نور الابصار ـ و ـ تذكرة الخواص ـ و ـ الصواعق المحرقة ـ وغيرها .

(٢) ولد عام ١٢٨ ، أو ١٢٩ ، وقبض لخمس خلون أو بقين من رجب عام ١٨٣ ودفن بمقابر قريش حيث قبره اليوم .

(٣) جاءته الامامة عام وفاة أبيه سنة ١٤٨ فكانت ايام امامته خمساً وثلاثين سنة .

وأبي الحسن، وبألقابه أخرى كالعبد الصالح والعالم وأمثالهما، وبالاشارة اليه تارة كقوله عن الرجل ، إذ قلما نجد اسمه الشريف صريحاً في حديث ، لشدة التقية في أيامه ، ولكثرة التضييق عليه ممن عاصره من العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي ، وما تربع الرشيد على دست الملك إلا وزجه في اطباق السجون ، وبقي سلام الله عليه يحمل الى السجن مرة ويطلق منه اخرى اربع عشرة سنة وهي مدة أيامه مع الرشيد .

وبهذه الاعمال القاسية أرهبوا العلوية واخافوا الشيعة ، وكانت تطمح عيون الجميع الى امامهم السجين، ولم يجد عليه السلام منجى للطالبيين، وخلاصاً للشيعيين ، اصوب من استسلامه للحكم العباسي القاسي ، وما كفى الرشيد ما ارتكبه من الامام حتى دس اليه السم وهو في حبس السندي بن شاهك ، فمات روحي فداه في السجن قتيل الجور والاعتساف .

وذر الملح على الجرح انه لم يسمح لاوليائه بتشييعه ، بل امر فحمله الحمالون فوضعوه على الجسر ، ونكأ القرحة بالنداء عليه : هذا امام الرافضة . تلك اعمال لا تعلو من العباسيين لهب الحسد ، ولا تنقص من شأن الامام ، وانما تكشف لنا عن قسوتهم ساعة الانتقام ، وذهولهم عن سياسة الاقليات ، وغفلتهم عن شحن القلوب عليهم حقداً وغيظاً ، والنار تقدح بالزناد ، وما كانت النار خامدة

وانما الجمر تحت الرماد ، على ان الامام لا ذنب له عندهم سوى انه صاحب المقام حقاً .

ولما شاهد سليمان بن جعفر عم الرشيد ما يصنع السندي بجنازة الامام أمر فاخذوها من أيدي الشرطة ووضعها في الجانب الغربي ، وأمر مناديه : فنادى بالناس لحضور الجنازة وتشييعها ، واكثر الشيعة في بغداد تقيم في الجانب الغربي وكانت محلة الكرخ على سعتها كلها شيعة ، فهرع الناس فحملوه على الاعناق حتى اوصلوه الى تربته الطاهرة من مقابر قريش ، وكانت قلوب الشيعة تغلي كالمراجل غيظاً على ما يصنعه الرشيد ولولا ما كان من سليمان لاوشكت الفتنة ان تقع وان يأخذوا الجنازة قهراً إلا ان يكون الرشيد أميناً بضغطه وشدته من وثبة الشيعة حتى وان كثر الضغط والضرب عليهم ، ولعل انتباه سليمان الى الخطر حمله على ذلك الصنع حتى مشى حافياً حاسراً خلف جنازة الامام ، فان في ذلك ابراداً للغلل واطفاء للهب واخماداً للنائرة لو جاز اشتعالها ، أو لعل الرشيد أوعز اليه سراً ان يعمل ذلك بعد ما يقضي اربه ، وعسى ان يكون فعل سليمان غيرة على ابن عمه واستياءاً من ذلك الفعل الاشنع .

إن كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وسواها من بلاد العراق لجديرة بان تقف حاجزاً دون ارهاق السلطات لهم وانزال السوء بهم متوالياً ، ولكن هل كانت تلك الضربات المتتابعة على رؤسهم وشدة

الضغط عليهم اذهبت بقوام ، أو لأن التقية حملتهم على الاستسلام للقسوة ، أو لأن عددهم بلا عدة ، أو لأن الامام لا يرضى لهم الثورة لعلمه بانها لا تصل بهم الى الغاية ، أو لأنهم بغير سائس وزعيم ينهض بهم فيقتحم بهم الاهوال ؟ أحسب ان خلوهم من الرئيس الناهض هو الذي أسلمهم الى ذلك الخضوع ، ومن ثم نجد العراقين والحرمين واليمن قد تمردت على الحكم العباسي أيام المأمون عندما وجد الناس زعماء من العلويين يثبون بهم في وجوه بني العباس ، ويحلون عن عواتقهم نير ذلك الاستعباد .

الشيعة أيام الرضا عليه السلام (١)

إن السياسة الآلهية للائمة الاطهار عليهم السلام مع العباسيين قضت بمسالمتهم ، والتصبر على احكامهم الجائرة ، لغاية اذاعة الحق ولا يتم ذلك إلا إسراراً دون ان تشعر بذلك السلطات ، ولا رحمة لهم عند بني العباس لو شعروا منهم بتلك الدعوة .

ولولا تلك المسالمة لقضي عليهم وعلى شيعتهم قبل ان تظهر منزلتهم وكراماتهم من فضائل وعلوم ومعارف ، تلك التي نبهت ذوي البصائر الى انهم خزان علم الرسالة ، وأهل بيت النبوة .

---

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ١٥٣ ، أو ١٤٨ ، وقبض بطوس فى السابع عشر من صفر عام ٢٠٣ قتيلا بسم المأمون ، ودفن فيها حيث قبره اليوم يقصد من كل حدب وصوب .

وبهذه السياسة الآلهية ، وتلك الكرامات الباهرة ، كثر أولياء أهل البيت ، وبتلك المسالمة حقنت دماؤهم بعض الشيء كما حفظت نفوس شيعتهم قدر الامكان .

انبسط التشيع على البلاد ، وطمح كثير من الطالبين للنهضة بل وثب محمد بن ابراهيم من أولاد الحسن عليه السلام بالكوفة واستفحل امره حتى دعي له بالبصرة ومكة ، وابراهيم بن موسى ابن جعفر عليهما السلام باليمن واستولى على اليمن كله ، وكان فى مكة الحسين بن الحسن الافطس ، وبعد موت محمد بن ابراهيم وداعيتهم ابي السرايا بالكوفة بايع الحسين محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وسماه أمير المؤمنين ، بل لا تجد قطراً إلا وفيه علوي يمني نفسه أو يمنيه الناس بالوثبة .

بل امتدت جذور التشيع حتى الى البلاط الملكي فكان الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون شيعياً وطاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون الذي فتح له بغداد وقتل أخاه الأمين شيعياً ، وكثير سواهما ، حتى ان المأمون خشي عاقبة هذين فقتل الفضل وولى طاهراً امارة هرات ، وفعل ذلك مع أولاد طاهر فانهم بعد القيادة يوليهم امارة هرات ، وكانت الطاهرية كلها تتشيع كما يقول ابن الأثير « ٧ : ٤٠ » فى حوادث عام ٢٥٠ ، وقال فى حرب سليمان بن عبدالله الطاهري مع الحسن بن زيد الناهض بطبرستان : (ثم سليمان

من قتاله لشدته في التشيع)

وبلغ من شأن طاهر ان كان له حرم ببغداد يأمن من دخله وان يخاطب دعبل المأمون من أجل ما كان لطاهر من الفتح بقوله :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
فكيف لا يخافه المأمون .

إن المأمون من رجال الدهاء والسياسة فلما رأى انتشار التشيع في الآفاق ووثبات العلويين في اطراف البلاد ، وسريان التشيع الى بلاطه ، خشي من تغلب هذه النزعة العلوية على سلطانه ، فرأى ان يكيد لهذه الوثبات التي ظهر بها بعض العلويين ، والكامنة في نفوس الآخرين .

إن الرضا عليه السلام ذلك اليوم إمام الشيعة وسيد آل أبي طالب فبعث اليه يستقدمه ، واظهر انه يريد أن يتنازل له عن العرش ، وجعل الامر له في الحل والترحال واختيار الطريق ، فجاء على طريق البصرة فالاهواز فنيشابور ، وجعل طريقه عدة شهور ، ظهرت له في خلالها الكرامات الدالة على إمامته ، وكانت له من الآثار ما بعضها ماثل الى اليوم .

فلما دخل خراسان واجتمع به المأمون اظهر المأمون للامام انه يريد ان يتنازل له عن الخلافة لانه وجده احق بها لفضله ، فقال له الامام : ان كانت الخلافة حقاً لك من الله فليس لك ان تخلعها

عنك وتوليها غيرك وان لم تكن لك فكيف تهب ما ليس لك ، فقال اذن تقبل ولاية العهد ، فابى عليه الامام أشد الاباء ، فقال له المأمون: ما استقدمناك باختيارك فلا نعهد اليك باختيارك ، فوالله ان لم تفعل ضربت عنقك ، فلم يجد الامام بداً من الاستسلام ، غير انه اشترط على المأمون ان لا يتداخل في شؤن الدولة أبداً ، فقبل المأمون منه ذلك ، وأمر فبايع الناس الرضا عليه السلام بولاية العهد ، وضرب السكة باسمه واجرى المراسيم الباهرة ، ووفدت الشعراء للتهنئة واجزل لهم العطاء ، وكتب الى البلاد كلها باخذ البيعة بالولاية للرضا عليه السلام (١)

نجح المأمون بهذا التدبير من العهد للرضا (ع) فهدأت بذلك نفوس الشيعة ومنت انفسها بان الامر سيعود لوليه إمام الامة ، وقرت شقشقة العلويين، واطمأنت قلوب اوليائهم من القواد والوزراء غير أهل الرأي والسياسة .

إن الامام الرضا اخبر المأمون بما يكيده بهذه البيعة فاغتاظ لذلك المأمون وقال : ما زلت تقابلني بما اكره . إن الفطن من ارباب السياسة لا تخفى عليه تلك المكيدة ذلك اليوم فكيف بالرضا ، ولكن

---

(١) كان ذلك في عام قدومه من المدينة وهو عام ٢٠١ وزوجه بابنته ام حبيبة فى عام ٢٠٢ وقتله بالسم في الشهر الثاني من عام ٢٠٣

ذلك التدبير يجهل مغزاه سواد الناس ، واذا هدأت فورتهم فيمن ينهض الزعيم الثائر .

ولما بلغ الخبر العباسيين ببغداد ساءهم فعل المأمون وجهلوا مايرمي اليه فاجتمعوا على خلعه والبيعة لعمه ابراهيم بن المهدي الشهير بالغناء ، وعندما بلغ ما أراده المأمون من الكيد وسم الرضا كتب الى بني العباس ببغداد : ان الذي انكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال وان الرجل قد مات .

وكان المأمون يحضر للرضا عليه السلام العلماء ليناظروه ، وهكذا كان يعمل مع ابنه الجواد عليه السلام ، يظهر بذلك انه يريد ان يعلم الناس ما لهما من فضل ، ولكنه يدس السم في العسل ، لانه كان يرجو أن يعثرا ولو مرة في جواب مسئلة ليجعله ذريعة لحط من كرامتهما وانقاصهما امام الناس والشيعة ، وبذلك يرجو أن ينصرفوا عن ولائهما والحب لهما ، إلا انهما كانا لا يزدادان إلا سناءاً ومكانة وظهر للناس انهما معدن العلم وأهل الخلافة وغصنان من شجرة النبوة الباسقة .

كان المأمون يريد ان ينقص الرضا بتلك المناظرات ويحط من قدره بولاية العهد ويري الناس ان الدنيا زاهدة فيه وانه لو كان زاهداً فيها لما قبل العهد الولاية فصار الأمر على خلاف ما يحتسبه المأمون فان المحاججات رفعت شأو الرضا العلمي وتطلع الناس اليوم

الذي يستلم فيه مقاليد الامور .

نجح المأمون في تدبيره السابق وفشل في تدبيره اللاحق ، وخشي ان يستفحل الامر و يصبح اكثر الناس شيعة للرضا فيكون ملكه عرضة للخطر فاحتال عليه بالسم ودسه اليه في عنب فقضى عليه سميا بطوس ودفن بها في قبة هرون أمام قبره فاندرس قبر هرون وظهر قبر الرضا وصار مقصداً لزوار الشيعة من أطراف البلاد وشاسع الامصار .

وفي عهد الرضا نشطت الشيعة وجاهروا بالولاء وعات كلمتهم ، لا سيما أن المأمون كان جهيراً به يجمع ارباب الكلام و يناظرهم في خلافة أمير المؤمنين ، ويقطع حججهم بصارم براهينه ، ولكنه بعد ان سم الرضا وهدأت اجراس العلوية والشيعة اوصد ذلك الباب كأن لم يكن ذلك الحجاج وتلك الحجج .

الشيعة ايام الجواد عليه السلام (١)

مات ابو الحسن الرضا عليه السلام وابو جعفر الجواد عليه السلام ابن سبع فتماتت الشيعة عليه يسنقون من سائغ غيره شأنهم مع آبائه ،

---

(١) كانت ولادته في العاشر من رجب عام ١٩٥ كما قيل ، وقض مسموما في ذي القعدة أو ذي الحجة من عام ٢٢٠ فيكون عمره يوم وفاته ٢٥ عاما ودفن الى جنب جده الكاظم عليهما السلام .

وما حال صغر السن دون ارتشافهم من غامر علمه ، لأن الامامة الآلهية لا فرق فيها بين ابن سبع أو سبعين ما دامت منابعها تستمد من العلاّم جل شأنه ، كما هو شأن النبوة ، فهذا عيسى كلم الناس وهو في المهد ، وهذا يحيى اخذ الكتاب بقوة وآتاه الله الحكم وهو صبي .

إن المأمون لا يجهل ذلك الشأن من الامام ولا رأي الشيعة فيه فاقتضت سياسته ان يرفع مكانة ابي جعفر عليه السلام ويعظم شأنه ، كما تظاهر قبل هذا مع أبيه ابي الحسن عليه السلام فاستدعاه من المدينة مكرما الى بغداد واظهر له من العناية ما استفز بني العباس حتى خافوا ان يعهد اليه كما عهد الى أبيه من قبل ، ولكنهم جهلوا ما يقصده وراء ذلك الاكرام ، وجهلوا ان السياسة ألوان وان لكل عهد عملا ولونا ، فاستمروا فى ملامته واستمر في كيده حتى زوجه بابنته أم الفضل وهي التي قتلته بالسم باشارة من المعتصم ، فكأنه ادخرها للجواد لمثل هذا اليوم .

كثر الحاح بني العباس على المأمون على ان يصرفوه عن تزويجه بابنته وعن رفع مقامه وهو لا يعبأ بهم فقالوا : دعه حتى يتأدب فانه صبي فاحضر له العلماء والفقهاء ليناظروه فيظهر له من الفضل ما يقطع ألسنتهم ، فكان من الجواد مع يحيى بن اكثم ماهو مسطور فى كتب التأريخ والحديث والفضائل ، وما هو قاطع للحجة ولذارب الألسنة

من بني العباس ، وما بلغ ابو جعفر ذلك اليوم العاشرة .

ولا أدري كيف بلغ الجهل ببني العباس الى ذلك الحد ، فقد سبق من المأمون مع الرضا عليه السلام ومنهم في لومه ما دل على نجاحه في سياسته وكيده ، وخطأهم في تأنيبه ، فكيف عادوا الى تفنيده حين عاد الى اظهار الاعزاز لابي جعفر عليه السلام ، ولا أدري كيف لم ينتبهوا الى مراميه في اعماله ولها امثال سابقة ، وكيف يأملون ان يكشف لهم عن نواياه في فمله ، والسياسة إن ظهرت للعيان استفزت من يراد به الكيد ، ونبهت مشاعره ، واذا اخذ الحيطة لنفسه كيف تعمل فيه تلك المكيدة ، واذا ظهر للعلوية والشيعة القصد من مراميه في اجلاله لأبي جعفر عليه السلام لم يحفلوا بما يصنع فلا يثبطهم عن الوثبة في وجهه .

عاد الجواد عليه السلام الى المدينة وبقي بها مقصداً لاوليائه الى ان اعتلى المعتصم منصة الحكم عام ٢١٨ ، فاستدعى الجواد ومعه زوجته أم الفضل وقد علم بانحرافها عن ابي جعفر فارادها ذريعة لنفوذ تدبيره في ابي جعفر ، ولم يكن المعتصم شقيق المأمون في دهائه ولا رضيع لبانه في سياسته ، ومن ثم انتقضت عليه كثير من البلاد وخلعوا ربقة الطاعة واستقلوا بالامر ، فكان لقرب غوره يضيق على الجواد مرة ، ويوسع عليه اخرى ، ويحبسه مرة ويطلقه تارة .

وكان يجمع له العلماء ليحاججوه زعماً منه ان يجد له زلة يؤاخذه

فيها أو يسقط مقامه بها، وزور عليه مرة كتباً تتضمن الدعوة ليمنه، فلا يكون مغبة ذلك إلا إعلاء شأن أبي جعفر واظهار الكرامة والفضل له، فكان المعتصم لا يزداد لذلك إلا حنقاً وغيظاً، ولا يقوى على كتمان ما يسره من الحسد والحقد، فحبسه مرة وما اخرجه من السجن حتى دبر الامر في قتله، وذلك ان قدم لزوجته ابنة المأمون سماً وحملها على ان تدفعه للامام فاجابته الى ما اراد، فمات قتيلا بسم المعتصم، وعندما شاهدت أثر السم قد بان في بدن الامام تركته وحيداً في الدار، حتى قضى نحبه، واحتشدت الشيعة على الدار واستخرجوا جنازته والسيوف على عواتقهم وقد تعاقدوا على الموت لأن المعتصم حاول ان يمنعهم عن تشييعه.

ونعرف من مثل هذه الحادثة كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وقوتهم على المراس، ومن كثرة الرواة منهم نعرف كثرة العلم فيهم، ومن كثرة الحجاج والجدال لا سيما في الامامة نعرف قوة الحجة عندهم، وقوة الكفاح عن المذهب، وانضاح امرهم.

الشيعة زمن الهادي «ع» (١)

قضى الجواد نحبه والهادي ابن ست أو ثمان كما جاءت الامامة أباه وهو ابن سبع، فكان موئل الشيعة ومرجعهم ومنهل ورّاد العلم ومرتع رواده، فنهلوا من مشرعته، ورتعوا الخصب من ربيعه، كما كان حالهم مع آبائه الغر، وهذا أمر يسترعي الانتباه، ويستلفت الانظار، أيحسن ابن هذه السنّ من الناس القراءة والكتابة دون ان يكون له شيء من معرفة أو علم، فكيف يكون جامعة العلوم لا يسئل عن شيء إلا والجواب لديه حاضر، ولا يبتدىء في البيان عن مسئلة إلا وابهر العقول فيما يبديه، أيجوز هذا في غير من ألهمه الله العلم والعرفان، ولو كان على غير تلك الحال من العلم الآلهي لما انقادت اليه خاضعة شيوخ الفضل والعلم، وأخذت عنه أخذ مأموم عن إمام، ورأت فيه انه الحجة من الله والمعصوم عن الرجس والعالم بكل شيء، ولو لم يكن كما رأوه وشاهدوه لكذبت الحوادث والامتحانات ذلك الرأي والعقيدة فيه .

بقي الهادي في المدينة والشيعة نافرة اليه للتفقه في الدين واغتنام محاسن الاخلاق حتى سنة ٢٣٦ وكانت ناصية الحكم يومئذ بيد

---

(١) ولد بالمدينة في رجب أو ذي الحجة من عام ٢١٢ أو ٢١٤، وقبض مسموما بسامراء في رجب أو جمادى الآخرة من عام ٢٥٤، ودفن في داره حيث قبره اليوم .

المتوكل وهو شديد البغض لعلي ولاهل بيته عليهم السلام وزاد في الطين بلة انه احيط بندماء قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي ، منهم علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامه وعمرو بن فرخ الرخجي وأبو السمط من ولد مروان بن ابي حفصة من موالي بني أمية وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن اترجه ، وكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بابعادهم والاعراض عنهم والاساءة اليهم ، ثم حسنوا له الوقيعة في اسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما هو معروف .

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٢٣٦ (٧ : ١٨) وابن جرير (١١ : ٤٤) وصاحب فوات الوفيات (١ : ١٣٣) فعله بقبر الحسين عليه السلام من الهدم والحرث والبذر والسقي ومنع الناس من زيارته الى غير ذلك مما هو مشهور عنه ، وقال صاحب الفوات : وكان معروفا بالنصب فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان وهجاه دعبل وغيره. وفي ذلك يقول ابن السكيت وقيل هي للبسامي .

تالله ان كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتته بنو أبيه بمثله   فغدا لعمرك قبره مهدوما
اسفوا على ألا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما

وما اقتصر على ما فعله بقبر الحسين عليه السلام من الاساءة

لأهل البيت وأوليائهم ، بل جدّ في النيل من العلوية نسباً ومذهباً ، واستقدم ابا الحسن الهاديَ عليه السلام من المدينة الى سامراء في عام ٢٣٦ وأبقاه في سامراء يتعاهده بالاذى والسوء كما يتعاهد المحب حبيبه بالتحف والطرف ، وقد وجد أعداء آل محمد انحراف المتوكل عنهم ذريعة للاساءة الى ابي الحسن عليه السلام فسعوا به الى المتوكل واخبروه ان في منزله سلاحا و كتباً وغيرها من شيعته فوجه اليه ليلا من هجم عليه الدار على غرة فوجدوه في بيت وحده وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى متوجهاً الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فاخذ على ما وجد وحمل الى المتوكل (١)

وما كان ذلك باول سعي ولا أول هجوم على داره من المتوكل، وكلما أغراه اولئك النواصب خف به بغضه الى الاجابة لسعيهم وان وجد كذب ما قالوه .

فكان المتوكل دائباً على ذلك الاذى وتلك الاساءة لأبي الحسن من دون رحمة ولا هوادة الى ان قتله ابنه المنتصر انتقاما لأمير المؤمنين لما شاهده منه ومن الفتح بن خاقان وجلسائه من المس بكرامة المرتضى والاستخفاف بحرمته .

---

(١) أنظر تأريخ ابي الفداء « ٣ : ٤٧ »، ومروج الذهب « ٢ : ٢٦٥ ».

وما زال الهادي مقيماً في سامراء الى ان مات مسموماً بها بسم المعتز العباسي عام ٢٥٤ فكانت مدة اقامته فيها ١٨ عاما يتجرع غصص الآلام من بني العباس من ملك لآخر وكان اكثر ايامه سجين الدار لا يصل اليه شيعته إلا اختلاساً على كثرة الشيعة في هذا العهد وكثرة احتياجهم الى رؤية الامام واخذ معالم الدين عنه، وكان جل استفاداتهم منه بتوسط رجال معدودين من قوامه يترددون عليه وربما قصدوا الشيعة في بلادهم.

وفي هذا العصر كان صوت التشيع جهيراً، وعلماؤه تناضل وتناظر، وكثرت التآليف في كل علم، واتسمت في الاخلاق والكلام خاصة.

الشيعة ايام العسكري «ع»[1]

جاء الحسن العسكري عليه السلام من المدينة مع أبيه الهادي عليه السلام يوم استقدمه المتوكل، وما زال مع أبيه الى ان التحق ابوه بالرفيق الاعلى، وبقي هو مدة امامته القصيرة في سامراء،

---

(١) ولد في ربيع الآخر عام ٢٣١، أو ٢٣٢، وقبض في سامراء لثمان خلون من ربيع الاول على الاشهر عام ٢٦٠ ودفن مع أبيه في دارهما فكانت ايام امامته ست سنين وعمره ٢٨ أو ٢٩ عاما فهو اصغر الائمة بعد الجواد عمراً.

وقضى ايام حياته التي في سامراء في نكد وأذى ، فكان شريك أبيه الهادي فيما اصابه ، وانفرد بعد أبيه فيما قصده به العباسيون من سوء ، وكان حالهم معه من الاساءة والغض من مقامه والتضييق عليه والسجن كحالهم مع أبيه، دون أن يلاقي منهم فسحة اوإرفاقا .

والشيعة في أيامه كحالها مع أبيه ، وأصبحت ـ قم ـ في عهده وعهد أبيه من قبل عاصمة كبرى من عواصم العلم الشيعية ، وفيها من رواتها مالا عدّ له ، ومن المؤلفين في الحديث وفنون العلم جم غفير .

وكان في سامراء وما جاورها من الشيعة عدد لا يستهان به ، وفي بغداد خلق كثير ، وكانت المدائن يومئذ عامرة، والتشيع فيها القدح المعلى ، وما زالت المواصلات بينهم وبين الامام متوالية ، ولعل سلمان الفارسي أول من وضع فيها حجر التشيع ، وبنى عليه حذيفة ابن اليمان ، ولا تسل عن الكوفة في ذلك اليوم بل وفيما قبله ومابعده ، فانها من اكبر مدن الشيعة في الولاء ، وسنبحث انشاء الله تعالى عن كثير من البلاد التي دخلها التشيع ، ومن أين استقت ذلك المبدأ ، ودبت اليها تلك الروح .

وما زال العباسيون على حالهم مع الامام العسكري عليه السلام الى ان اغتاله المعتمد العباسي بالسم ، وما زال الشيعة على ذلك الشأن الى ان قبض الامام عليه السلام .

الشيعة في الغيبة الصغرى

كان مولد الامام المهدي عجل الله فرجه يوم الجمعة في النصف من شعبان عام ٢٥٥ (١) وكان الامام العسكري عليه السلام يخاف عليه ويحتفظ به ، ولا يسمح لكل أحد بمشاهدته ، وما رآه أيام أبيه إلا النزر من الشيعة ، وكيف لا يهمه المحافظة عليه وهو آخرهم وبه

---

(١) ذكر ولادته عدة من أهل السنة انظر ابن خلكان في ترجمته ، وابن حجر في (الصواعق) ص ١٠٠ و ١١٤ ، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ص ٨٩ طبعة ايران ، وينابيع المودة ، و « الفصول المهمة » لابن الصباغ المالكي في الفصل الثاني عشر و « كفاية الطالب » لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي مخطوط ، و « البيان في اخبار صاحب الزمان » لمحمد المذكور مطبوع ، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٠٤ و « اليواقيت » لعبد الوهاب الشعراني في المبحث الخامس والستين وكتابه بمنزلة الشرح للفتوحات المكية لمحي الدين بن عرب و « سبائك الذهب » ص ٧٦ للسويدي البغدادي و « عمدة الطالب » ص ١٨٦ وابن الاثير « ٧ : ٩٠ » وتاريخ ابي الفداء « ٢ : ٥٢ » الى كثير سواهم وقد ذكر العلامة المبرور الشيخ مرزا حسين النوري في كتابه « كشف الاستار » كثيراً من اهل السنة ممن ذكر ولادته وحياته ووجوده ونقل عن بعضهم انه اجتمع به وروى عنه .

احياء الشيعة وبه يملاء الله الارض قسطاً وعدلا ، وكيف لا يخشى عليه وبنو العباس يرتقبون ولادته ليقضوا عليه ، فكانت غيبته الصغرى من يوم مولده ، وهذا لا يختلف فيه اثنان من الشيعة ، وأشار اليه بعض أهل السنة أيضاً مثل ابن الصباغ المالكي في كتابه « الفصول المهمة » في الفصل الحادي عشر في اخريات ترجمة الامام العسكري ، قال : وخلف ابو محمد الحسن من الولد ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق ، وكان قد اخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وخوف السلطان وتطلبه للشيعة وحبسهم والقبض عليهم.

ولما قضى ابو محمد الحسن عليه السلام ، جد المعتمد العباسي في العثور على الامام المهدي حتى حبس جواري العسكري وجعل عليهن الرصد خشية ان يكون عند احداهن حمل من الامام ، فاخفاه الله عنه وعن اعدائه ليوم يريد به أن يطهر الارض من الجور والطغيان والشرك ، ويستبدل عنها العدل والامن والايمان .

وبعد ابيه العسكري عليهما السلام جعل بينه وبين الشيعة سفراء أربعة وهم عثمان بن سعيد العمري وكان من وكلاء جده وأبيه ، وابنه محمد ، وكان من وكلاء أبيه أيضاً ، والحسين بن روح ، وعلي بن محمد السمري (١) وتنتقل السفارة لاحدهم بعد موت الآخر ،

---

(١) كان عثمان بن سعيد من قوام العسكريين ووكلائهما ويلقب بالسمان كما يلقب بالعمري وخرج التوقيع من الحجة

فكانت لمحمد بعد أبيه ، ثم للحسين بعد محمد ، ثم لعلي السمري بعد الحسين ، وبعد موت السمري عام ٣٢٩ انقطعت السفارة ، وكان مسكنهم جميعاً ببغداد وبها مواضع قبورهم ، وهي اليوم معروفة وتزار ، وكان هؤلاء السفراء وسطاء بين الشيعة والامام لحمل اسئلتهم اليه وأخذ الجواب منه بتوقيعه اليهم ، والسفير هو استاذ التدريس في وقته ، يحمل الى وراد العلم علوم الامام الغائب ، ومن بعدهم انقطع الوصول اليه والاخذ عنه رأساً ، وانحصر أخذ الاحكام بالاجتهاد .

وكان للامام عليه السلام في هذه الغيبة الصغرى وكلاء كثيرون في بغداد وغيرها غير ان السفارة مختصة بهؤلاء الاربعة المعروفين بالنواب ، كما ادعى جماعة الوكالة والنيابة عنه جاء التوقيع منه بتكذيبهم والبراءة منهم ، انظر غيبة الشيخ الطوسي ص (٢٥٨-٢٧٢)

وفي أيام الغيبة الصغرى كان التشيع كنور على علم لا سيما في

- بسفارته ولم تطل ايامه ، ثم خرج التوقيع بسفارة ابنه محمد وكان من قبل وكيلا لأبي محمد العسكري وكانت وفاته في أواخر جمادى الاولى عام ٣٠٤ أو ٣٠٥ ثم خرج التوقيع أيام حياة محمد بسفارة الحسين من بعده وهو من بني نوبخت وكانت وفاته في شعبان عام ٣٢٦ ، وفي ايام الحسين خرج التوقيع بسفارة السمري من بعده ، ولما توفى السمري عام ٣٢٩ لم يخرج التوقيع بسفارة احد بل ذكر الشيخ في كتاب الغيبة ص ٢٥٧ ان توقيعاً خرج على يد السمري يعزي فيه الشيعة بموته ويذكر فيه انقطاع السفارة بعده ووقوع الغيبة الكبرى .

العراق وايران ، وكانت بغداد وقم مهبط طلاب العلم ، وفيها اساتذة الدراسة ورجال التأليف .

الشيعة في الغيبة الكبرى

انتهت الغيبة الصغرى بموت السمري رضوان الله عليه عام ٣٢٩ ، وبعدها وقعت الغيبة الكبرى ، وعنها يخرج عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، والفارق بين الغيبتين أن الصغرى توفق لمشاهدته والاجتماع به خواص مواليه ، وفي هذه الكبرى التي نحن فيها لا يتوفق لذلك إلا خواص الخواص ، وفقنا الله تعالى لمشاهدة تلك الطلعة الرشيدة ، والغرة الحميدة ، وجعلنا من انصاره واعوانه في غيبته وعند ظهوره ، إنه سميع مجيب .

وما نريد ان نذكره عن الشيعة واطوارها من بدء الغيبة الكبرى الى اليوم نأتي به في طي الذكر لمشاهير البلدان ، ولربما اشرنا الى شيء من تاريخ التشيع من قبل الغيبة عند ذكر القطر أو البلد وكيف دخله التشيع ، لئلا يأتي الكلام مبتوراً .

الشيعة في العراق

كانت لعلي عليه السلام شيعة في العراق قبل ان تأتيه الخلافة منقادة ، وقبل ان يجعل الكوفة عاصمة خلافته ، لأن الكوفة مصرها

الجند الفاتح لكسرى ، والمستلب منه ملكه وبلاده ، ومن هنا تسمى الكوفة ـ كوفة الجند ـ والجند الفاتح جاء من الحجاز فهو يعلم من هو أمير المؤمنين قبل ان يتوطن العراق ، لاسيما وكان في امارة الجند والبلاد امثال ابن مسعود وعمار ، وفي هذا العهد تمصرت البصرة .

وعند ما استقام أمير المؤمنين في العراق بعد وقعة الجمل كان ذلك من أقوى الاسباب لنشر الولاء له فيه لاسيما الكوفة عاصمة خلافته ، ومن ثم اجتهدمعاوية وعماله وآل مروان في استئصال التشيع منها لانها كانت مغرس نواته .

ونهضة الحسين عليه السلام هي التي أوثقت عرى التشيع في العراق والكوفة . إن الكوفة وان تكن هي التي قتلت الحسين عليه السلام إلا أنها هي التي انتصرت له وثارت بدمه وقتلت قاتليه ، لأن الشيعة كانوا في سجن ابن زياد وبعد اطلاقهم نهض بهم المختار ، ومهما جدّ الامويون في اقتلاع جذور التشيع من العراق والكوفة كانت بالرغم من حيلهم وحولهم في ذلك تبسق تلك الجذور وتفرع شجرته .

ومهما اجتهدوا في جعل العراق امويا كانت تلك الجهود فاشلة ، وكانت الروح السائدة عليه هاشمية وعلوية خاصة ، إلا في البصرة في عهود قليلة ، ومن ثم اذا دم الامويين في العراق غائلة مددوه بجند الشام ، وما كانت لتنجح دعوة العباسيين في الكوفة والعراق لولم يكن شعارهم الطلب بدم الحسين ودماء أهل البيت والدعوة للرضا

من آل محمد صلى الله عليه وعليهم السلام ، ولو كانت الدعوة صريحة لهم لكان افضل ادنى اليها ، وما كانت لتتم البيعة لهم لولم يفاجأ ابو سلمة الخلال بالبيعة للسفاح فغلبوه على امره دون مهلة وهو بطل الثورة والدعوة وما كان يحسب ان يضمر العباسيون الامر حسواً في ارتغاء ، وصانعوه بعد البيعة أولا لكي يتم لهم الامر فاستوزره السفاح ثم قضوا عليه عندما وجدوه علوي النزعة لا يتحول عن رأيه ، وعندما قضى العباسيون على الدولة الاموية حولوا هممهم وهمومهم الى الروح الثورة العلوية في العراق والجزيرة ، فصاروا يسعون عليها بشتى الوسائل ، وافواها القضاء على العلويين انفسهم من لهم ذلك الولاء ، ومع تلك المكائد الجمة والحذر الشديد والفتك الذريع في العلوية كانت وثبات العلويين في العراق والجزيرة وايران متوالية والتشيع يسير سير المتئد خوف العقبات المعترضة في الطريق امامه هنا وهناك .

وحين رأى العباسيون ان التشيع يتسع نطاقه ولا تقضى عليه تلك المكائد والتدابير القاسية اضطر بعض ملوكهم الى مصانعة العلويين والشيعة برفع القباب على ضرائح علي وبنيه في العراق ، والسماح بشد الرحال لتلك المشاهد المقدسة للزيارة والجوار ، بل ربما قصدها بعض ملوك العباسية زائراً ، واصبحت في أيامهم مشاهد أهل البيت معمورة بالمجاورين والزائرين وصارت المآتم تقام لقتيل الطف في عهدهم ، بل وفي عاصمة سلطانهم بغداد .

وساعد على نمو التشيع وانتشاره في العراق أن تكونت من الشيعة فيه سلطنات ودول وامارات كسلطنة آل بويه ، وامارة بني مزيد في الحلة والنيل ، وبني شاهين في البطائح ، وبني حمدان وآل المسيب في الموصل ونصيبين ، وكدولة بعض المغول امثال محمد خدا بنده وابنه ابي سعيد ، واما محمود غازان فقد قيل بتشيعه وهناك امارات عليه إلا انه لم يصارح به ، وكالدولة الجلائرية التي أسسها الشيخ حسن الجلائري أحد قواد المغول وابن اخت محمود غازان ومحمد خدا بنده ، وكانت بغداد عاصمة ملكه ، وكالدولة الصفوية التي ناصرت التشيع ونشرته في البلاد بشتى الطرق ، فكأنما هي دولة دينية تأسست لنشر مذهب اهل البيت، وأيد مذهب التشيع أيضاً ان انعقدت عدة وزارات من رجاله ، فقد استوزر السفاح أول ملوك بني العباس ابا سلمة الخلال الكوفي الهمداني داعية أهل البيت وقتله على التشيع ، واستوزر المنصور محمد بن الاشعث الخزاعي ، واستوزر المهدي اباعبدالله يعقوب بن داود وحبسه لتشيعه، واستوزر الرشيد علي بن يقطين ، وجعفر بن الاشعث الخزاعي ، والمأمون : الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمعه بين القلم والسيف وقتله عندما احس بميله الى الرضا عليه السلام ، واستوزر من بعده اخاه الحسن بن سهل ، واستوزر المعتز والمهتدي : ابا الفضل جعفر بن محمود الاسكافي ، واستوزر المقتدي : ابا شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمداني

وعزله لتشيعه ، واستوزر المستظهر : ابا المعالي هبة الدين بن محمد بن المطلب وعزله لتشيعه ثم اعاده على ان لا يخرج من مذهب أهل السنة ثم تغير عليه وعزله ، واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر : مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقداد رضوان الله عليه ، واستوزر المستعصم آخر ملوك بني العباس : ابا طالب محمد بن احمد العلقمي الاسدي واقره هولاكو على الوزارة ، ولما مات رحمه الله استوزر : ولده أبا الفضل عز الدين ، الى ما سوى هؤلاء .

واما الامارات والقيادات والكتابة والخزانة فما اكثرها ، امثال امارة آل قشتمر وآل ابي فراس الشيباني ، وآل دبيس كما اشرنا اليهم ، وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعي وقيــــادة أولاده كابنه عبد الله ، ومحمد بن عبد الله وغيرهما ، وتوليهم امارة هراة ، وكان عبد الله بن سنان خازنا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، وكان من ثقات الرواة لابي عبد الله الصادق عليه السلام ، الى ما يعسر استقصاؤه .

وكفاك برهانا على ان التشيع كان ضاربا اطنابه على بسيطة العراق ما كان من نقابة الطالبيين في بغداد ، فما اكثر ما كان يتولاها الشيعة ، أمثال الشريف الرضي وأبيه وابنه وأخيه المرتضى ، وقد تولوا المظالم أيضاً ، وتولى الشريف الرضي وابوه أيضاً امارة الحاج ، كما تولاها ثلاث عشرة حجة حسام الدين ابو فراس جعفر

ابن ابي فراس الشيباني .

وتولى آل طاووس نقابة الطالبيين في العراق عامة ، تولاها منهم السيدان العلمان رضي الدين وغياث الدين عبد الكريم (١) كما تولى الاوقاف في العراق وغيرها مما كان تحت حكم المغول الخواجا نصير الملة والدين الطوسي طاب ثراه ، وعندما قبض عليها اقام ببغداد وتصفح الاوقاف وأدر اخباز الفقهاء والمدرسين ، وقرر القواعد في الوقف واصلحها بعد اختلالها (٢) ومن بعده تولاها ابنه احمد فخر الدين ، ولما وليها حذف الحصة الديوانيـة في الوقوف ووفرت على اربابهـا (٣)

بل نسب التشيع الى بعض ملوك بني العباس أنفسهم كالمأمون والمنتصر ولم يثبت ذلك ، نعم انما صح انتساب التشيـع الى الناصر لدين الله فحسب (٤) وآثاره صريحـة في التشيع وهي كثيرة

---

(١) انظر ـ الحوادث الجامعة ـ فى حوادث عام ٦٦١ وما ذكره فيهـا من تولي السيد رضي الدين بن طاووس نقـابة الطالبين بالعراق ، وذكر ان وفاته عام ٦٦٤ ، وفى حوادث عام ٦٩٣ قال : وفيها توفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس.

(٢) انظر تاريخ ـ مختصر الدول ـ للعبري ص ٥٠٠ ، و ـ الحوادث الجامعة ـ فى حوادث عام ٦٧٢ .

(٣) انظر « الحوادث الجامعة » في حوادث عام ٦٨٣ .

(٤) ولد عام ٥٥٢ ، ومات عام ٦٢٢ . فتكون مدة سلطانه سبعا واربعين سنة .

سبداً ، ومن تلك الآثار الخالدة الى اليوم العمارة في سرداب الغيبة في سامراء ، وعند الانتهاء من السرداب صفة وعليها باب من خشب الساج بديعة النقش وقــد استدارت حوله كتابة محفورة في ذلك الخشب الساجي متواصلة بالنقوش فيه ، والكتابة بحروف واسعة جلية يقرأها كل أحد وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . قل لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ، هذا ما أمر به له سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ، الذي طبق البلاد عدله ، وعم العباد رأفته وفضله ، قرن الله أوامره الشريفة باستمرار النجح والنشر وناطها بالتأييد والنصر ، وجعل لايامه المخلدة حداً لا يكبو جواده ، ولآرائه الممجدة سعداً لا يخبو زناده ، في عز تخضع له الاقدار فيطيعه عواصيها وملك تخشع له الملوك فيملكه نواصيها ، بتولي المملوك محمد بن عبد الحسين بن سعد الموسوي ، الذي يرجو الحياة في أيامه المخلدة ، ويتمنى انفاق عمره في الدعاء لدولته المؤبدة ، استجاب الله ادعيته وبلغه في ايامه الشريفة امنيته ، من سنة ست وستمائة الهلالية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليما .

وكتب بخط كوفي جميل في وسط الصفة في مستديرها على

الجدار وذلك الخط محفور من خشب الساج أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي ولي الله ، فاطمة ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين، محمد بن علي ، جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ، محمد بن علي، علي بن محمد ، الحسن بن علي، القائم بالحق، عليهم السلام، هذا عمل علي بن محمد ولي آل محمد رحمه الله ..

وليس ببدع تشيع الناصر لدين الله واعلانه بالتشيع ، وانما العجب بقاء هذا الاثر البديع حتى اليوم - وهو من خشب - مع تطاول السنين واختلاف الايدي عليه ، وتعاقب الدول المتحاربة .

ومن دلائل تشيعه ان جعل المشاهد المقدسة أمناً لمن لاذ بها ، فكان الناس يلتجئون اليها فى حاجاتهم ومهماتهم وجرائمهم ، فيقضي لهم الحوائج ، ويسعفهم فيما أهمهم ، ويعفو عن جرائمهم .

ومن آثار تشيعه ما ذكره ابن الفوطي فى الحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٧٢ ص ٣٨٠ بعد ان ذكر وفاة الفيلسوف العظيم الخواجا نصير الدين الطوسي وانه دفن في مشهد الامام موسى بن جعفر عليهما السلام قال : دفن في سرداب قديم البناء خال من دفن ، قيل انه قد عمل للخليفة الناصر لدين الله .

ولظهوره فى التشيع صار الناس يتقربون اليه باعلان التشيع ، كما كتب اليه ابو الحسن علي بن صلاح الدين يوسف الأيوبي يشكو محـ

أبا بكر وأخاه عثمان ، حيث غدرا به ، ونكثا عهد أبيه .

مولاي إن ابا بكر وصاحبه عثمان قد اخذا بالغصب حق علي
وهو الذي كان قد ولاّه والده عليهما فاستقام الامر حين ولي
فخالفاه وحلا عقد بيعته والامر بينهما والنص فيه جلي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقى من الاول

فاجابه الناصر :

وافى كتابك يا بن يوسف معلنا بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غداً علي حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

وهذه بعض آثاره الناطقة بصراحته في التشيع .

وما انتشر التشيع فى العراق دون أن يلاقي النكبات والنكايات فى اكثر ادواره فمن ايام بني أمية وقد أشرنا فيما سبق الى شيء من أعمالهم مع الشيعة ، الى أيام بني العباس ، غير أنها تختلف فيها شدة وضعفاً ، ولو استنطقت التاريخ لاجابك عن بعض تلك النوازل بالتشيع ، ويكفيك أن تقرأ من تاريخ ابي الفداء ماجرى فى حوادث عام ٣٦٢ فقد قال : وفي هذه السنة احترق الكرخ - وهي محلة شيعية محضة - احتراقا عظيما ، وذكر سبب ذلك الى ان قال فركب الوزير ابو الفضل لاخذ الجناة وارسل حاجبا له يسمى صافياً في جمع لقتال العامة بالكرخ ، وكان شديد التعصب على الشيعة ، فالقى النار في عدة

اما كن من الكرخ فاحترق احتراقا عظيما ، وكان عدة من احترق سبعة عشر الف انسان ، وثلثمائة دكان وكثيراً من الدور ، وثلاثة وثلاثين مسجداً ، ومن الاموال مالا يحصى .

ويغنيك من ابن الاثير ان تستعرض ما جرى في عام ٤٠١ و ٤٠٦ و ٤٠٨ ، و ٤٤٣ ، و ٤٤٤ ، الى كثير سواها حتى قال عن حوادث عام ٤٤٣ : وجرى من الامر الفظيع مالم يجر مثله في الدنيا.

ولو قرأت من كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) لابن الجوزي (ج ٨) ما جرى من الحوادث في عام ٤٤١ وما بعده لعرفت كيف كانت الحال التي تجري الدموع دما ، وتفتت الاكباد ألما ، ولقرأت ما جرى على الشيعة من القتل والنهب وعلى مساجدها من الهدم ، وعلى مشاهدها من الاساءة ، وعلى علمائها من الاهانة حتى ذكر في حوادث عام ٤٤٨ قتل ابي عبد الله الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق وصلبه على باب دكانه بدعوى انه يتظاهر بالغلو في الرفض، وهرب ابي جعفر الطوسي ، ونهب داره ص١٧٢ وذكر في حوادث عام ٤٤٩ في صفر ان دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ كبست ،وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام واخرج الى الكرخ مع ثلاثة مجانيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديما يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة فاحرق الجميع ، الى غير ذلك من الحوادث المؤسفة ، ولو استقريت

« الحوادث الجامعة » لابن الفوطي على صغره ، لدلك على عدة حوادث وقعت في بغداد ، ومنع المتعصم على ضعف سلطانه : شيعة أهل البيت من قراءة مقتل الحسين عليه السلام في محلة « الكرخ » و « المختارة » وسائر المحلات الشيعية من جانبي بغداد ، انظر حوادث عام ٦٤١ و ٦٤٨ و ٦٥٣ الى غيرها مما سبق ولحق .

ولا تسل عما صنعه العثمانيون بالشيعة يوم اغتصبوا العراق من الصفوية في المرة الثانية عام ١٠٤٧ من قتل ونهب واعتداء على الابرياء وتعذيب لهم واحراق الكتب ، ولو سألت التاريخ عما شاهده الشيعة في العراق من رجال السلطات في عهود الظلمة والظلم : لاجابك وهو يشرق بالريق من الالم ويسجل لك الحال بمداد الدم ، وما ذلك العهد ببعيد ، وقد ادركنا بعض أيامه ، وجرى بعض من تركوه من حثالتهم عالة على العراق على تلك السيرة .

ونتم البحث عن الشيعة في العراق بذكر الكثير من بلاده الشهيرة كما ستقرأ :

الكوفة

تأسست الكوفة عام ١٧ هـ ، ومن زمن طويل والكوفة تعد اكبر حاضرة في العراق ، ومرت عليها ادوار شتى في العمران من الارتفاع والانحطاط ، وهكذا كان شأن التشيع فيها ، فتراه مرة يكاد ان

بجثم على المدينة كلها كما كان ذلك ايام أمير المؤمنين عليه السلام وايام أخر ، وتارة يسل عليه اعداؤه سيف الانتقام فيتضاءل أمره ويستتر بين الغرف والبيوت كما كان ذلك ايام زياد وابنه والحجاج وامثالهم من امراء الجور والاعتساف ، وهي على اختلاف حال التشيع فيها من افراع شجرته مرة وذبولها اخرى تعد من امهات المدن الشيعية .

وكانت أوائل الغيبة الكبرى بلدة عامرة ، غير أنها لم تكن بتلك السعة والحضارة اللتين كانتا على عهد المنصور وما قبله ، واستقل بها التشيع في القرون الوسطى من ايام بني العباس أي بعد القرن الثالث والرابع من الهجرة وذلك عندما اصبحت النجف وكربلاء بلدين عامرين محاطين بالقبائل الشيعية المخيمة على ضفاف الفرات . ومازالت الكوفة قائمة وفيها يخفق علم التشيع الى ان حبس عنها الماء - تيمورلنك - فعافها أهلها فخربت .

ولما دنا منها المجرى العام لماء الفرات عادت الى بعض عمارتها على ضفة النهر منذ عهد قريب ، وهي اليوم شيعية خالصة ، كما خلصت للتشيع قبل خرابها .

بغداد

حول المنصور عاصمة ملكه من الكوفة الى الهاشمية (١) ومنها الى بغداد ، وكانت العمارة والحضارة تسيران خلف الركاب الملكي، شأن سائر البلاد التي تكون عاصمة الملك ، سوى انهما لم ينتقلا عن بغداد الى سامراء يوم انتقل العرش اليها ، وان اصبحت سامراء من أهم العواصم العراقية .

انتقل المنصور الى بغداد بحاشيته وجيشه وانتقل الناس معه فتمصرت وناطحت قصورها السحاب ، واتسع جانباها بالقصور والابنية الفخمة باسرع وقت ، وكم يا ترى كان في دائرته وحاشيته وفي الجند والناس من الشيعة ، فما وضع المنصور الحجر الاساسي لبغداد إلا وقامت دعامة التشيع فيها ، واستمر يتسع شأنه في كل قطر ومصر تغرس فيه نواته ، وما مضى عهد طويل على تمصير بغداد إلا وصارت بعض محلاتها خالصة في التشيع لا يشاركه فيها أحد من غيرهم كمحلة الكرخ ، وما جاء القرن الرابع إلا والتشيع رفيع المنار في بغداد ، رغم

---

(١) وبها كانت سجونه لبني الحسن حتى قضى اكثرهم بالسجن ، ولحبس الناس عنهم وعدم الخبرة بحالهم لايدرى كيف قضوا فيها ، اكان قتلا وعلى أي اصنافه ، ام جوعا ، ام حتف انوفهم .

مقاومة الدولة العباسية له ولأئمته من أهل البيت ، وما نبغت سلطنة آل بويه بفارس في هذا القرن ، وقبضت على صولجان الحكم ببغداد إلا وتعاضد فيها العلم والعلم وتناصر في خدمـــــة مذهب أهل البيت السيف والقلم ، فقد اجتمع في بغداد على ذيوعه وتقويته نوابغ العلماء وسلاطين آل بويه ، وكانت بغداد آنذاك عاصمة العراق في تدريس الفقه الجعفري وعلم الكلام وغيرهما من العلوم الخاصه بمذهب آل محمد والعلوم العامة لأهل الاسلام ، فقد نبغ فيها من علماء الشيعة رجال تعقد عليهم الخناصر امثال ابن قولويه والشيخ المفيد والشريفان والشيخ الطوسي ، هذا سوى من كان في اخريات عهد الأئمة ونواب الغيبة ومثل الكليني رضوان الله عليهم جميعاً ، وكانت رئاسة التدريس تنتقل من واحد لآخر من اولئك الافذاذ جهابذة العلم ، ولهم الأيادي المشكورة في خدمة الدين ومذهب أهل البيت ، فقد اجتمع لديهم وسائل عديدة لنشر لواء التشيع ، من الشرف والصلاح ، والتضلع في كل علم ، والتأليف فيــــه ، وتقاطر طلاب العلوم على حوزاتهم التدريسية ، ومعاضدة آل بويه للكثير منهم .

واما آل بويه فقـد كانت خدماتهم على لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله لا يأتي عليها العد ، شجعوا هواة العلم ورجاله من جهات اجمع ، اعزازاً وتبجيلا ، وسخاءاً لهم بوافر الاموال ، ونشر الكتب والمكافاة بالجزيل على تأليفها ، الى غير ذلك .

ورفعوا القبـــاب على الضرائح المقدسة ، وبنوا حولها الدور والمساكن ، وحثوا الناس على استيطانها ، واجروا المياه اليها ، واسعفوا الساكنين حولها بالرواتب والهبات ، فصارت الشيعة في أيامهم تتسابق مشاة وركبانا لزيارة تلك القبور من أئمة أهل البيت ، وتتوارد لمجاورة تلك المراقد من كل حدب وصوب .

واقاموا المآتم لقتيل الطف حتى ان معز الدولة آل بويه أمر الناس في العاشر من المحرم ان يغلقوا دكاكينهم ، ويبطلوا البيع والشراء ، وان يظهروا النياحة ، ففعل الناس ذلك حتى خرجت النساء ناشرات الشعور مسوّدات الوجوه ، انظر الكامل لابن الأثير في حوادث عام ٣٥٢ .

وكانوا في يوم الغدير ـ الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله علياً اماماً ومولى لكل مؤمن ومؤمنة ـ يصنعون فيه ما لا يصنعونه في عيد سواه من اظهار الجذل والفرح ونشر أعلام الزينة ، وصنع الاطعمة الطيبة وبسطها للرائح والغادي ولبس الثياب الفاخرة ، والاكثار من الانفاق والهبات، الى ما سوى ذلك من اعلاء شأن هذا اليوم ، وتبعهم على ذلك الشيعة في بغداد وسائر البلاد ، والفاطميون في مصر ، فكان اليوم العاشر من المحرم يوم بكاء وجزع ، والثامن عشر من ذي الحجة يوم سرور وحبور ، الى أمثال ذلك مما نوّه له آل بويه من اقامة

الشعائر الدينية ، وترويج مذهب أهل البيت .

وبعد أيامهم بعام حدثت فتنة عظمى بين الشيعة والسنة ببغداد انتقل على أثرها شيخ الطائفة الطوسي بحوزته العلمية الى النجف الأشرف عام ٤٤٨ إذ لم تعد بغداد صالحة لمقامه فيها ، ولم ينبغ بعده ببغداد من علماء الشيعة مثله رجل عظيم الشأن في العلم والفضل ، ولم تعد عاصمة للتدريس كما كانت في أيامه ومن قبل عهده .

وما زالت بغداد بعد البويهيين بين مد وجزر من ناحية التشيع ، لان الحكم ما زال عنانه بايدي أعدائه من بني العباس ورجال دولتهم ، وما زالت سياسة ملكهم مذهبية تحارب أهل البيت وأولياءهم ، سوى ما كان من عهد (الناصر لدين الله) ولو لم تكن البواعث لنشر التشيع جمة لكان مقهوراً لسياستهم أبداً ، واستقامت سياستهم على ذلك النهج حتى على عهد المستعصم مع استفحال أمر التشيع في عهده وضعف سلطان بني العباس في أيامه الى أن جاءها (هولاكو) فجرف تلك الدولة وعادت أثراً بعد عين ، وبقي التشيع ثابت الاساس رفيع البناء - وما تشاؤن إلا ان يشاء الله -

وصار التشيع بعد أيام العباسية يقوى في العدة والعدد والمذهب في بغداد ، فانه لم تحكم العراق بعد العباسيين الى عهد العثمانيين دولة تحارب التشيع ، اما المغول فهم بين من اطلق حرية الاديان والمذاهب كافة ، كهولاكو نفسه وهذا وحده خليق بظهور التشيع وانتشاره ،

وبين من أسلم وتشيع مثل نيقولاوس بن ارغون بن بغا بن هولاكو وتسمى بمحمد خدابنده ومثل ابنه ابي سعيد بهادر خان ، وبين من اسلم ونسبوا اليه التشيع وان لم يصارح به مثل غازان المسمى بمحمود اخي محمد خدابنده ، وبين من لم يطل عهده ليعلم حاله مثل تكودار بن هولاكو المسمى باحمد وهو أول من ملك بعد هولاكو .

واما الدولة الجلائرية الايلخانية التي حكمت العراق بعد المغول فهي شيعية بحتة ، ولها آثار مهمة في التشيع ، ورأس هـذه الدولة الشيخ حسن الجلائري ، وكان وآباؤه من امراء المغول وأمه ابنـة ارغون اخت محمود ومحمد وله آثار قيمة في المشهدين العلوي والحسيني من بناء الدور والمنازل وغيرها ، واما ابنه الملك أويس فهو الذي بنى الحرم الحسيني القائم اليوم وكان عام ٧٦٧، وتولى الحكم عام ٧٥٧، ومات عام ٧٧٦ ، وفي ايامه بنى الخواجا - مرجان - المدرسة المرجانية وجعل في وسطها مسجداً كبيراً والى اليوم قائم ويعرف بجامع مرجان واستقل مرجان ببغداد - وكان والياً عليها - لما سار الملك أويس لاسترجاع آذربيجان وكانت تحت سلطانه وقد عصت عليه فترك وجهه وعاد واستنقذ بغداد من مرجان وقبض عليه وحبسه ، ثم هم بقتله فتشفع فيه علماء بغداد واشرافها وكان محبوبا لديهم فعفا عنه وأطلقه من السجن ثم أرجعه الى محله من ولاية بغداد وبقي في منصبه هذا الى ان مات عام ٧٧٥ .

واما الدولة الصفوية فهي الدولة العلوية الشيعية التي خلد التأريخ خدماتها المذهبية وآثارها في اقامة الشعائر الاسلامية ، وتعزيز المراقد المقدسة وعلماء الدين ورجال الاصلاح .

وأول من استولى على العراق من الصفوية هو الشاه اسماعيل أول ملوكها وكان في عام ٩١٠ واحتله العثمانيون من الصفوية لأول مرة عام ٩٤١ ايام الشاه طهماسب الاول ابن الشاه اسماعيل وايام السلطان سليمان القانوني ، ثم استرجعه الشاه عباس الاول عام ١٠٣٢ ، ثم استلبه العثمانيون للمرة الثانية عام ١٠٤٥ ايام الشاه صفي والسلطان مراد خان الرابع .

ولا تسل عما لقيته الشيعة من ذريع الفتك عندما استلبه العثمانيون في هذه المرة ، وهذه النكبة الكبرى احدى النكبات الفظيعة التي شاهدها الشيعة في ادوار حياتهم من جراء المذهب وما اكثرها .

ولما خلص العراق للعثمانيين بعد الصلح بينهم وبين الصفويين استمروا على سياسة التضييق على الشيعة ومقاومة مذهب آل البيت في العراق وغيره ، على ان العثمانيين عاهدوا الصفوية في الصلح باطلاق الحرية للشيعة في العراق وحماية المشاهد المقدسة ولم يكن العثمانيون من تلقاء انفسهم شديدي التعصب على الشيعة، وانما كان ما يقع منهم باغراء مناوئيهم من العراقيين وغيرهم بل ربما كان من هؤلاء رأساً عندما تكون لهم امرة وسلطة ، أو يكون لهم شأن وجاه

عند الحكومة ، واستترت الشيعة بحصون التقية طيلة الحكم العثماني ، ولولا اعتصام الشيعة بايران لكانت السلطة التركية باغراء اولئك المتعصبين عذابا صبا عليهم .

كان المذهب الرسمي لحكومة تركيا حنفيا وبه يقضون في العراق على الشيعة وغيرهم ، فكانت مقاومتهم للمذهب الجعفري في البلاد الوسطى والجنوبية منه سرية في اكثر الزمن وعلنية في بعض الاحايين ولولا ان هذه البلاد كلها شيعية لكان لسياستهم أثر كبير على التشيع بعد السنين الطوال ، ومن ثم قضوا أو كادوا يقضون عليه في شمال العراق لقلة الشيعة فيه وعدم تواصلهم مع اخوانهم في الجنوب ، وما عرف الشيعة هناك أنهم شيعة إلا بعد ارتفاع السلطة العثمانية فوجدهم رجال العلم الذين طرقوا تلك البلاد لا شيعة ولا غلاة ولا سنة ، قد أخذوا من كل مذهب بطرف وما عاد. بعضهم الى التشيع إلا بعد جهاد وجهود على انه ما استقر على التشيع الصحيح إلا ناشئتهم دون الشيوخ الذين فتحوا اعينهم على ذلك العهد القاسي الجائر الذي حتم عليهم التحول عن مذهب اهل البيت ، دون ان يكون عندهم علماء مرشدون يقبضون عليهم بيد من حديد .

وكان العثمانيون انفسهم ـ مع تلك المقاومة للشيعة من امرائهم الاتراك الصميمين ـ يصانعون الشيعة أو قل يحترمون بعض الاحترام أهل البيت ، فقد يجرون تعميرات في العتبات المقدسة ، ويزورها

بعض ولانهم من الاتراك ، وفيهم بعض الصوفية ، والصوفية هم الذين يزعمون انهم يمتون بالطريقة الى بعض اهل البيت يحترمون المشاهد الكريمة احتراما عظيما وكنا نرى بعض الزائرين منهم المسمين بـ (البكتاشية) الذين ينزلون بالتكايا المعدة لهم في العتبات المحترمة والتي لها أوقاف وجرايات من الدولة لضيافتهم وعلى رؤسهم طرابيش لها اثنتى عشرة زاوية وكان ذلك في العهود السابقة علامة الانتساب الى الأئمة الاثني عشر ، وهؤلاء على انتسابهم في الطريقة لاهل البيت كانوا محترمين لدى حكومة آل عثمان وهل ذلك لتصوفهم أو لانهم اتراك مثلهم ، وعلى أى حال يتجلى لنا من هذا أو غيره ان آل عثمان بطبعهم لا يحقدون على الشيعة ولا يقاومون مذهب اهل البيت بصرامة ، وانما كانت تلك المقاومات والدعايات ضد التشيع وضد مصدره أهل البيت بسبب المغرين لهم أو من المغرين انفسهم ، ولذلك نجد ان تلك الروح لم تمت عندما انجلى الاتراك عن العراق وبقي فيه حثالة من موظفيهم وما كانوا غير عرب أو عربا مستتركين، ولا نجد فيهم تركا مستعربين الاهم إلا نفراً قليلا لم يجدوا لهم ملجأ في تركيا ، ولو أردنا ان نشرح حال الشيعة على عهد آل عثمان وما لاقوه من سوء ونكاية لطال بنا القول وخرجنا عن الايجاز المقصود .

ولما قضت بريطانيا على آل عثمان في العراق وانتقل حكمه الى

الشرفاء واشتركت في ادارة البلاد رجال من الشيعة تقشعت رويداً رويداً تلك الظلمة القاتمة من خنق الحرية لمذهب آل محمد عليه وعليهم السلام من سماء بغداد وسواها من مدن العراق .

الحلة

أسسها سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي (١) قال ياقوت

---

(١) بنو مزيد ولاة النيل ، ومزيد الاسدي جدهم ، وربما يقال لهم : بنو دبيس نسبة الى جدهم القريب دبيس بن علي بن مزيد ، واول من تولى النيل منهم ابو الحسن علي بن مزيد الاسدي ، ولاه عليه سلطان الدولة البويهي عام ٤٠٣ وخلع عليه ، كما ذكر ذلك ابن الاثير في حوادث هذه السنة ، وولي منهم سبعة نفر كان آخرهم علي بن دبيس وقد مات عام ٥٤٥ وبموته انقرضت امارتهم بعد ان استقامت ١٤٢ عاما ، وكانت امارتهم لا تتجاوز النيل ولكن سيف الدولة هذا باني الحلة السيفية علا شأنه وعظم قدره حتى فتح البصرة واستولى على الكوفة وامتد سلطانه الى هيت وتكريت ، وفي ايام نور الدولة دبيس حدثت فتنة عظيمة ببغداد بين الشيعة والسنة في عام ٤٤٣ حتى قال ابن الاثير (٩ : ٢١٥) في الحديث عنها . وجرى من الامر الفظيع مالم يجر مثله في الدنيا ، وقال . ولما انتهى خبر احراق المشهد ـ مشهد الامامين الكاظمين ـ الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه ـ

الحموي في معجم البلدان في (الحلة) : « وكانت منازل آبائه - أي سيف الدولة - الدور من النيل، فلما قوي أمره واشتد ازره وكثرت أمواله ، لاشتغال الملوك السلجوقية بركياروق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه بن الب أرسلان بما تواتر بينهم من الحروب انتقل الى الجامعين موضع في غربي الفرات ، ليبعد عن الطالب ، وذلك في محرم سنة ٤٩٥ ، وكانت اجمة تأوي اليها السباع ، فنزل باهله وعسكره ، وبنى بها المساكن الجليلة ، والدور الفاخرة ، وتأنق اصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ وقد قصدها التجار ، فصارت أفخر بلاد العراق واحسنها مدة حياة سيف الدولة فلما قتل (١) بقيت على عمارتها فهي الى اليوم قصبة تلك الكورة »

فالحلة شيعية من يوم تأسيسها ، واستقامت على التشيع الى اليوم، وكانت مهبط ذوي العلم والادب ، وعظم شأنها في تدريس الفقه

- واهل بيته وسائر اعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في اعماله خطبة الامام للقائم بامر الله فعوتب في ذلك فاعتذر بان اهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا .

(١) قتل في المعركة التي جرت بينه وبين محمد ملك شاه ، لما اجار سيف الدولة سرخاب بن كيخسرو الديلمي عام ٥٠١ وامتنع من تسليمه لمحمد ملك شاه .

الجعفري وسائر علوم الدين حتى صارت عاصمة التدريس في علم أهل البيت في العراق زمناً طويلا ، وخرجت من اعلام الفقهاء والعلماء عدداً لا يأتي عليه الحصر ، وفيهم امثال ابن ادريس وابن نما وآل طاووس وهم عدد جم ، وآل سعيد ومنهم المحقق والعلامة وابوه وابنه ، الى غير هؤلاء مما يكل عن عدهم لسان القلم ، وقبور الكثير منهم باقية في البلد وما زالت معمورة حتى اليوم (١)

ولما احاط هولاكو ببغداد جاءه وفد من الحلة والمشهدين العلوي والحسيني مؤلف من اكابر الفقهاء والعلويين مع مجد الدين محمد بن طاووس الموسوي ، وسألوه حقن دمائهم ، فاجابهم الى ماطلبوه منه ، فسلمت الحلة والنيل والمشهدان المقدسان مما ابتليت به بغداد ، كما هو مذكور في عمدة الطالب والحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٥٦ وفي غيرهما .

وبقيت الحلة منهلا لوراد العلم الى ما بعد الالف الهجري ، وبعد هـــذا لم ينضب ذلك البلد الطيب من ينبوع العلم ، ولم يجدب من رياض الادب ، فقد اثمر من الشعراء ما يعجز اليراع عن استقصائهم ، حتى ليخال ان الشعر قد مازج تربتها فنمت عليه غرس طباعهم ، وفيهم الكثير من شعراء أهل البيت المجيدين كالشفهيني وابن عرندس

(١) قد توفقت لزيارة الكثير من هذه القبور في أول ذي القعدة من عام ١٣٦٣ بعد تأليف هذا الكتاب باحد عشر عاما .

والكوازين وابن القيم والسيد مهدي وابن اخيه السيد حيدر الشهير صاحب الديوان والعقد المفصل وامثال هؤلاء ممن تقدم وتأخر

كربلاء

بلد الكرب والبلاء ، التي جرى على ترابها الدم الطاهر من نحر سيد الشهداء عليه السلام ، ومن نحور الصفوة من آل ابي طالب ، والخلص من أنصاره ، وفيها سلبت بنات الرسالة ، ومنها اسرن .

كانت كربلاء قبل حادثة الطف وبعدها الى أمد غير قصير منزل بني أسد العلويين مذهبــا ، والى اليوم يوجد منهم قوم في ضواحيها ، وهم الذين توفقوا لمساعدة زين العابدين عليه السلام على مواراة تلك الجثث الطواهر ، وصاروا ادلاء على تلك القبور .

واقيمت الابنية حول تلك الضرائح المقدسة على عهد الامويين ، غير ان الرشيد العباسي هدم ذلك البناء ، وقطع سدرة كانت عند القبر الطاهر يهتدي بها الزائرون الى ضريح سيد الشهداء عليه السلام ويستظلون تحتها ، روى الشيخ الطوسي طاب ثراه في أماليه في المجلس الحادي عشر مسنداً عن يحيى بن المغيرة الرازي قال : كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق فسأله جرير عن خبر الناس فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام وأمر أن تقطع السدرة التي فيه فقطعت قال : فرفع جرير

يديه فقال : الله اكبر جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله علية وآله قال : لعن الله قاطع السدرة ثلاثا ، فلم نقف على معناه حتى الآن ، لأن القصد لقطعها تغيير مصرع الحسين عليه السلام حتى لا يقف الناس على قبره .

فاعيد البناء أيام المأمون ومن بعده (١) وبنيت حول قبر الحسين عليه السلام الدور والمنازل ، ولكن المتوكل أبى إلا هدم هاتيك العمارات التي اقيمت على قبر الحسين وقبور الشهداء ، وهدم المنازل والدور التي حولها ، وقد أشرنا الى ذلك فيما سبق فاعيدت أيام ابنه المنتصر وقدعاكس سيرة ابيه مع العلويين(٢) واشادها الداعي محمد بن

(١) كما ذكر ذلك العلامة الشريف السيد حسن الصدر في كتابه الوجيز ـ نزهة أهل الحرمين ـ

(٢) قال ابن الاثير « ٧ : ٣٦ » في حوادث عام ٢٤٨ وأمر ـ اي المنتصر ـ بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام وآمن العلويين وكانوا خائفين ايام ابيه واطلق وقوفهم ، وامر برد فدك الى ولد الحسن والحسين عليهما السلام وقال . وذكر ان المنتصر لما ولي الخلافة اول ما احدثه ان عزل صالح بن علي عن المدينة . واستعمل عليها علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد . قال علي : لما دخلت اودعه قال لي : إني اوجهك الى لحمي ودمي ومد ساعده وقال . الى هذا اوجهك فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم . يعني آل ابي طالب .

وذكر « ٧ : ١٨ » ان المنتصر انكر على ابيه المتوكل ـ

زيد العلوي صاحب طبرستان ، وقيل اخوه الحسن ، واقامها على اجمل هيئة واضخم بناء آل بويه ، كما اشادوا جميع مراقد الأئمة الاطهار في العراق وما زالت تشاد هاتيك المراقد الطاهرة يوما بعد آخر ، وتتنافس في عمارتها الملوك والسلاطين من الجلائرية والصفوية ونادر شاه والزندية والقاجارية والعثمانية ، ولحكومتنا الحاضرة يد عاملة قوية في الاشادة والترميم راجين ان تكون يدها بيضاء في خدمة الدين والاسلام والبلاد .

فاصبحت هذه الضرائح القدسية من الاشادة على مالا مزيد عليه ، وعلى ما تراه بام عينيك من الفخامة والضخامة والاتقان .

واصيبت كربلاء البلد المقدس بعدة وقائع فظيعة منها واقعة الوهابي عام ١٢١٦ هـ ، وقد بالغ في حصارها ، حتى دخلها فاتحا بعد قتال عنيف ، فارتكب من فظائع الاعمال مالا يبلغه الوصف ، واسرف في القتل ، فلم يرحم كبيراً لكبره ، ولا صغيراً لصغره ، وقيل : انه قتل في ليلة واحدة عشرة آلاف نسمة ، ثم نهب خزائن القبر الشريف

ـ حينما شاهد عبادة المخنث يمثل علي بن ابي طالب وهو يرقص فقال المتوكل :

« غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرامه »

وهذا وغيره حمل المنتصر على قتل ابيه المتوكل والفتح بن خاقان . وقال ابن الاثير : ان المنتصر ذكر للفقهاء اعمال ابيه المستهجنة ليحملهم على اباحة قتله ثم كان منه ما اوقعه من القتل .

التي ملأها ملوك الهند والفرس بنفائس الجواهر ، وبعد حين زارها بعض ملوك الهند فبنى عليها سوراً منيعاً واقام عليه الابراج ، ونصب فيها آلات الدفاع .

وذكر الشعراء هذه الحادثة الممضة المحزنة ، ومنهم الشاعر المفلق الحاج محمد رضا الازري رحمة الله عليه وقد نظم فيها قصائد ثلاث وكلهن غرر ، مطلع احداهن ، وهي يحتج بها على ابن السعود بحجج قاطعة .

ألم يأن ان يصغي الى الحق غافل   وبذلك نهج الاستقامة مائل

وهي تشتمل على ٩٥ بيتاً ، ومطلع الاخرى :

خطب على الطف قد غشى بطوفان   فحل عن جانبيه كل بنيان

وهي تشتمل على ١٠٢ وأرخ في بيت الختام هذه الحادثة فقال:

وقال في يومها الادهى مؤرخها   في كربلاء دهانا رزؤها الثاني

وأما الثالثة فهي تشتمل على ٦٥ بيتاً ، وكل شطر منها تاريخ ، وهي من غرر الشعر على أنها تضمنت مالا يقوى عليه شاعر ، ومطلعها:

اريحا فقد لاحت طلائع كربلا   لنقبر أشلاء ونسعد مرملا

وفي ختامها يقول :

ونادى به ناعي الصلاح مؤرخا   لقد عاردتنا اليوم ارزاء كربلا

ومنها واقعة عام ١٢٤١ يوم ثارت على دولة آل عثمان ، وكان الوالي ببغداد يومئذ داود باشا فقصدها ولكنه عاد خاسراً ، ثم عاد

منها ومنع اليها الميرة وبعد حصار شديد ظفر بها .

ومنها حادثة عام ١٢٥٨ ، وقد امتنع اهلها عن اداء الضرائب وكان الوالي نجيب باشا ، فارسل لاخضاعها سعد الله باشا ، ولما شاهد مناعتها لاذ بالخديعة فارسل اليها منشوراً يتضمن عفو الحكومة عنهم ، فلما نزلوا عن الابراج والحصون وفتحوا له الابواب أمر الجيش فهجموا وسلطوا المدافع على جهة السور الشرقية فهدمتها القنابل ، حتى دخل بجيشه صحن العباس عليه السلام وقتل من لاذ بالقبر الشريف كما قيل .

وكانت واقعة العثمانيين معهم عام ١٣٣٥ لا تقل فظاعة عن هذه الحوادث السالفة لولم يستول الماء على الاماكن التي تحصن فيها الجنود ، فاضطروا الخروج منها .

ودامت كربلاء برهة عاصمة التدريس في العراق لمذهب أهل البيت الى اوائل القرن الثالث عشر ، وتخرج منها من فحول العلماء الكثير أمثال الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق ، والاستاذ الاكبر الاغا محمد باقر البهبهاني صاحب شرح المفاتيح والتعاليق المفيدة على كتاب (مدارك الاحكام) ورجال المرزا محمد وغيرها ، والسيد مير علي الطباطبائي صاحب الرياض ، وابنه السيد محمد المجاهد ، وغيرهم ثم انتقل التدريس منها الى النجف الاشرف على عهد العلامة الكبير صاحب الكرامات السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي تلميذ الاغا البهبهاني

النجف الاشرف

مرقد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واراه بنوه ليلا في بقعته الطاهرة من النجف اخفاءاً لقبره علماً منهم ان الدولة ستكون لبني أمية ، ولا يؤمن من اساءتهم لمرقده ، كما لا يؤمن من الخوارج عليه ، وكان أولاده عالمين بموضعه فقد زاره زين العابدين سراً وابنه الباقر من بعده على عهد بني مروان ، ولما جاء الحكم العباسي وجلبوا الصادق عليه السلام عدة مرات الى العراق صار يدل صفوة أصحابه على موضع القبر فكان في كل مرة يزور فيها المرقد المقدس يصحب معه بعضهم ، وكان على القبر دكة قد هدمها السيل فامر الصادق (ع) صفوان الجمال فاعاد بناءها ، فصارت الشيعة من ذلك اليوم تقصده للزيارة بعد ان عرفه جماعة من رجال الصادق وبدلالتهم اهتدى الناس الى القبر .

وأول من رفع عليه قبة هرون الرشيد ، ولا أدري لماذا هدم قبة السبط الشهيد عليه السلام وبنى مثلها على قبر ابيه ، ثم اشاد البناء عليه الداعي محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، وقبل اخوه الحسن ، ثم جاء آل بويه فعمروه عمارة جليلة هي الغاية في الفخامة والاتقان

في ذلك الوقت (١) واجزلوا الصلات والرواتب لسكان ذلك المرقد المقدس ، وصارت النجف عاصمة التدريس للفقه الجعفري وجميع علوم الدين بعد عهدهم يوم انتقل اليها من بغداد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي بحوزته العلمية عام ٤٤٨ ، واجرى له ولتلامذته نفقات وافية ، ثم انتقل التدريس منها الى الحلة فكربلاء ، ثم عاد اليها فالتقى بكلاكله فيها فهي الى اليوم العاصمة في تدريس علوم الدين على مذهب أهل البيت ، وخرجت فطاحل من العلماء لا يبلغهم العد والحصر .

والنجف تأسست شيعية يسكنها اولياء أمير المؤمنين عليه السلام رغبة في جوار ذلك المرقد العظيم ، وهي من بدء تأسيسها الى اليوم مصدر من مصادر التشيع ، وما استطاعت ايدي السياسة المتعاقبة التي حكمت العراق ان تحول دون المرجعية له والهجرة اليه ، وتحمل المجاورون شدائد على في بعض الازمنة من العطش ومن غزرات بعض البدو حتى اطمأنت بهم الدار وازدهرت البلدة .

وسلمت هي والحلة وكربلاء من عادية هولاكو وجنوده ، كما سلمت من فتك آل السعود وعدوانهم ، ولم تسلم كربلاء من وحشيتهم وقسوتهم .

(١) وبنى ابو محمد الحسن بن سهلان سوراً على مشهد امير المؤمنين عليه السلام ايام آل بويه عام ٤٠٠ انظر تأريخ ابي الفداء ج ٣ : ١٣٩ »

غزاها السعوديون مرتين كانت الاولى عام ١٢١٦ بعدماظفروا بكربلاء ، وخافتهم النجف خوفا شديداً لعلمهم بما اجروه بكربلاء من فظائع فصمدوا لهم وداموا على الحصار برهة فعادت هجماتهم القوية خاسئة بعدما تركوا القتلى الكثيرة .

وكانت الثانية عام ١٢٢١ وقد هاجموا النجف ليلة التاسع من صفر قبل الصبح بساعة واهلها غافلون لم يسبقهم علم بهذا الهجوم ، فتسلق بعض الغزاة السور وكادوا ان ينزلوا الى داخل البلد لولا ان ينتبه لهم اهل البلد ويصلوهم النار حامية ، فرجعوا ادراجهم منهزمين وتركوا وراءهم من القتلى العدد الجم .

وسلمت من العثمانيين يوم شاركت كربلاء في العصيان،وماسلمت من عدوانهم إلا بعد ان سالمت .

ونجت فى أوائل الحرب العامة دون اختيها كربلاء والحلة بل دون اكثر المدن العراقية من عادية الاتراك وسوء سلوكهم ، وقد وثبت لمقاومتهم في فجر اليوم السابع من رجب عام ١٣٣٣ حين لم تصبر على مضض الضيم ، وعوادي الظلم فظفرت بالجيش التركي واخرجته من البلد دون ان يحدث فيها ما يكدر صفو الاهلين ، واما الحلة وكربلاء فقد جاريا النجف فى اخراج الترك بعد المقاومة ولكنهم عادوا اليهما وما خرجوا منهما إلا بعد ازهاق وارهاق ونهب وسلب وصلب لا سيما الحلة فقد لاقت مالم تلاقه بلاد عراقية سواها .

نعم شاهدت النجف شيئاً من الحصار والضنك يوم قاومت شرذمة منها الانكليز ، وقتلوا حاكمها السياسي والطبيب وبعض الجنود عام ١٣٣٦ ، فحاصرها الانكليز ما يناهز الاربعين يوما ، فما كفوا عن الحصار حتى قبضوا على رجال الحركة ، فصلبوا أحدعشر نفراً ، وأبعدوا الباقين الى جزيرة (هنجام) وكانت منفى لمن يغضب عليه الانكليز من العراقيين ، ثم أرجعوهم بعد حين ، وكان عددهم ثمانين أو حولها .

وهكذا شاهدت بعض الحصار والضيق في الثورة العامة عام ١٣٣٨ هـ و ١٩٢٠ م وهذه النوازل التي شاهدتها النجف من الطوارىء التي قلما تسلم منها بلاد في العالم ، بل ربما كانت أقل من سواها أذى من بلاد العراق دون بلاد العالم ، وبعض مالاقوه كان من جراء العداء المذهبي أمثال هجمات آل سعود ، التي عادت بالخيبة والخسران .

والنجف منذ قرن ونصف مرجع التقليد لاكثر الشيعة في اطراف البلاد ، واليها الهجرة من الهند وايران وافغانستان وسوريا وقفقاسيا - من قبل - وغيرهـــا لتحصيل علم أهل البيت الطاهر ، ومرت عليها أيام طويلة قبل حرب ١٣٣٢ وطلاب العلوم فيها يربون على عشرة آلاف ، وعن هؤلاء وسواهم من طلبة العلوم في العتبات المقدسة وايران يأخذ العالم الشيعي معالم دينه ومعارفه ، والمنبر الحسيني الاثر الجليل في تعريف الشيعة تاريخ الاسلام وأهل البيت ونشر

الاخلاق والفضيلة ، ومن ثم نجد اكثر السواد من الشيعة لا يجهلون الاحكام ويعرفون سيرة الرسول واحوال عترته وما جرى عليه من المصائب والنوائب ، وقد يقوى كثير منهم على المناظرة والمحاججة في الامامة وسواها بفضل ذلك التعليم والارشاد من ابناء العلم ، والبيان من خطباء المنبر .

وكانت تركيا تحاول الحيلولة دون نشر هاتيك التعاليم وذلك البيان ، بمساعي مناوئي الشيعة ، لئلا يفقه الناس من هم أهل البيت ، أو لأن يبقى الشيعة جهلاء فيسهل اقناعهم عن العدول عن مذهب أهل البيت ، ومهما أجتهدت بالقوة مرة وبالبيان اخرى لتنفيذ تلك السياسة عادت خاسئة ، لرسوخ تلك المبادىء في صدور أولئك السواد من الشيعة .

ولولا ماسنه الملوك من الشغار لحزاوردة الدعاة لمذهب أهل البيت لرأيت مذهب أهل البيت اكثر ذيوعاً منه اليوم ، وذر الملح على الجرح تلك الاقلام والاعواد المستأجرة التي مازالت ولا تزال تنسب لاولياء هذا المذهب البدع الباطلة والمقالات الفاسدة في العراق وغيره .

وكيف لا يقبل الناس على اعتناق مذهب العترة والعترة أحد الثقلين الذين أمر سيد الرسل بالتمسك بهما ، والعترة هي التي جمعت من الفضائل والفواضل ما لايدانيهم فيها أحد من الناس ، فمن علم الى زهد الى دين الى اخلاق الى مكارم لا تحصى .

الكاظمين

مرقد الامامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام وكانت تعرف بمقبرة قريش قبل أن يقبرا فيها ، واتخذت مقبرة بعد سكنى بغداد ، وتمصرت بعد أن تشرفت بجسديهما الطاهرين ، وصارت مسكناً للشيعة شأن البلاد المقدسة التي يرغب الشيعة بسكناها لجوار ضرائح الأئمة من أهل البيت ، لأنهم يرون ان في مجاورة وزيارة تلك المشاهد الكريمة فضلا عند الله تعالى ، وجاءت من طرقهم أحاديث جمة تدلهم على ذلك الفضل .

وسكنها الشيعة ايام بني العباس وتمصرت من ذلك العهد ، كما هو الشأن في غيرها من مراقد الائمة من أهل البيت ، وقد منيت كما مني سواها من مدن العراق الشيعية بشيء من زلازل السياسة المذهبية زمن بني العباس وآل عثمان ، غير ان الشيعة في بغداد كانوا أشد محنة وبلاءاً من شيعة الكاظمية ، وكثيراً ما نعلم من تلك المعارك الدموية المذهبية في بغداد ايام العباسيين والعثمانيين على قربها من بغداد .

نعم حادثة عام ٤٤٣ التي وقعت بين الشيعة والسنة ببغداد والتي قال عنها ابن الاثير : وجرى من الامر الفظيع مالم يجر مثله في الدنيا، تطاير شررها العظيم حتى بلغ الكاظمية فاحرق قبر الامامين عليهما السلام

فكأنما أبت الناس إلا ان تهتدي بالرشيد والمتوكل في الجرأة على القباب الرفيعة لاهل البيت .

وقد منع العباسيون الشيعة في محلات بغداد الشيعية كمحلة الكرخ والمختارة وغيرهما عن قراءة مقتل الحسين عليه السلام واظهار شعائر الحزن عليه ، وقد يحدث الشغب والاضطراب من جراء ذلك المنع إلا انهم قد يرخصون ذلك في مشهد الامامين عليهما السلام ، كما فعل ذلك المستعصم آخر ملوكهم ، انظر الحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٤١ ، و٦٤٨ ، و٦٥٣ ، و كانت لها امثال أيام الملوك من اسلافه ، كما جرى على تلك السيرة آل عثمان في بعض السنين .

ومازالت ولم تزل شأن غيرها من البلاد المقدسة مورداً من موارد العلم الجعفري ، ونبغ فيها من العلماء الجم الغفير ، ممن كان منهلا لعلوم أهل البيت ، ومصدراً لاهل الفضل ، ومقصداً لطلاب العلم ، أمثال الشيخ أسد الله التستري صاحب المقابيس والمؤلفات الكثيرة التي اتلفها نز الماء في داره بالكاظمية ، ولم يسلم منها إلا المقابيس وشيء قليل سواها ، والسيد محسن الاعرجي صاحب المحصول ، والسيد عبد الله شبر صاحب المؤلفات الكثيرة ، والشيخ محمد حسن آل يسين ، الى كثير سواهم ممن سبق ولحق ، وقد شاهدت عدة من أجلة العلماء الذين خرجهم هذا البلد الاقدس امثال السيد حسن الصدر والشيخ مهدي الخالصي قدس الله ارواح الجميع .

واكل من هؤلاء الاعلام ذرية من أهل العلم اصبحت أسراً واسعة تحتفظ بكرامتها وهي ما تزال تقطن بلد الكاظمية .

وقد قطن الكاظمية من آل مظفر في أوائل القرن الماضي عالم جليل القدر شديد الورع وهو الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد الحسين ابن مظفر واستقام بها الى ان توفاه الله ودفن في الرواق الكاظمي وله آثار تنسب اليه حتى اليوم .

وهي غير ناضبة من الادب، وقد نبغ فيها شعراء عديدون امثال الشيخ جابر الطائر الصيت وعبد المحسن الكاظمي الذي قطن مصر وسارت الركبان مغنية بشعره وافتخرت الصحف بنشره وفيها اليوم حركة ادبية محمودة .

سامراء

اسسها المعتصم العباسي عام ٢٢٠ وجعلها عاصمة ملكه وانتقل اليها بحاشيته وجيشه ، وانت جد خبير بأن التشيع يسير مع الاسلام اينما سار فكم كان بين الجند والقواد والامراء والكتاب من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت عليهم السلام ، وظهر التشيع جلياً بعد أن اقام الامامان فيها ، وشاهد الناس مالهما من علم وسجايا حميدة ، ومزايا دلت على انهما فرعان من شجرة النبوة ووارثان لذلك العلم الآلهي ، على الرغم من مناوأة العباسيين لهما ، واجتهادهم

في منع الناس من الاجتماع بها واجتماعها بالناس ، ولكن الشمس تفيض على العالم اشعة تنمي الضرع والزرع وان حالت السحب دون ذلك الشعاع .

ويشهد لظهور التشيع في سامراء ذلك اليوم ما ذكره اليعقوبي في تاريخه « ٣ : ٢٢٥ » عن حوادث عام ٢٥٤ ووفاة الهادي عليه السلام فيها قال : « فصلي عليه في الشارع المعروف بشارع ابي احمد فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجتهم فرد النعش الى داره فدفن فيها » . وهكذا ذكر غيره عند وفاة ولده ابي محمد الحسن عليه السلام .

وما زال التشيع فيها راسخ القدم الى ان حاربه الايوبي في تلك الجهات ، واقتفى اثره بعد أمد بعيد - السلطان سليم العثماني - وجرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده ، ولولم يكن إلا مراد الرابع محاربا للشيعة في هذه المناطق البعيدة عن المجتمع الشيعي لكفى في اخفاء التشيع وهرب الظاهرين من رجاله ، ولقد نزح عنها ثلة من الناس هربا بارواحهم وكان منهم سدنة ذلك الحرم المقدس .

ولما قطن فيها العلامة الكبير زعيم اهل الدين في عصره السيد

ميرزا حسن الشيرازي (١) استعاد التشيع فيها نشاطه ، وهاجر اليها كثير من ابناء العلم وارباب المكاسب ، وحينما تضاءل قبل هذا فيها التشيع زمناً طويلا كان آخذاً بحظ وافر في قبائلها الجنوبية القاطنة على ضفتي دجلة ، وفي القرى والرساتيق الشرقية الجنوبية التي بينها وبين بغداد .

وما زالت بعد ارتحال السيد الشيرازي عليه الرحمة مهبطاً لبعض اهل العلم ولم تخل في عهد من عهودها الى اليوم من رجال لهم قيمتهم العلمية والاجتماعية ، ويسكنها اليوم جماعة من الشيعة من أهل الحرف والعمل .

وسامراء من البلاد المقدسة التي يؤمها الشيعة لزيارة مرقدي الامامين الهادي وابنه الحسن العسكري عليهما السلام ، ومنها يزار المهدي المنتظر عجل الله فرجه لأن فيها مولده ومنشأه ومنها مغيبه ، يزار من سرداب دارهم ، وفي السرداب آثار قيمة احدثها – الناصر لدين الله – العباسي أشرنا اليها عند ذكره .

---

(١) كانت وفاته في اخريات شعبان عام ١٣١٢ وحمل نعشه الى النجف على الاكتاف ، وكل بلد يمر عليه النعش يشيعه منه خلق كثير فما دخل النجف الا وحول النعش جم لا يحصى ، وخرجت النجف برمتها لاستقبال النعش وتشييعه ، فكان يوم وروده يوما عظيما مشهوداً قلما يكون مثله .

الموصل وشمال العراق

كان شمال العراق وبلد الموصل كغيرهما من مدن العراق التي انتشر فيها التشيع ، وبعض الآثار الخالدة تدلك على تلك الروح النامية في هذه البلاد ، ونجد اليوم في المتحف العراقي محرابا حوله أسماء الائمة الاثني عشر حمل من تلك الناحية ، وكان نقباء الموصل وكركوك من عهد العباسيين والى اليوم من العلويين نسبا وولاءا ، قال في ـ الحوادث الجامعة ـ في حوادث عام ٦٧٤ ص ٣٨٦ : « ان ركن الدين ابن النقيب محي الدين محمد بن حيدر نقيب الموصل سقط بفرسه الى دجلة ببغداد وكان مجتازاً على الجسر فاصعد الى مشهد علي عليه السلام فدفن هناك وكان شابا حسن الخلقة عمره سبع عشرة سنة ورثاه شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ بقصيدة طويلة ذكر عدة ابيات منها ، ونحن نذكر بيتين منها وهما :

يا ماء ما انصفت آل محمد   وعلى كمال الدين كنت المجترى
في الطف لم تسعد أباه بقطرة   واليوم قد اغرقته في ابحر

ولولم يكن لنا برهان على تشيع هؤلاء النقباء إلا حمل هذا الشاب الى مرقد جده امير المؤمنين الذي لا يحمل الجنائز الى جواره سوى الشيعة ، وإلا هذا الشعر الذي رثي به لكفانا عن كل برهان .

وكانت في الموصل ونصيبين امارتان شيعيتان تكونت احداها

تلو الاخرى ، اما الاولى فهي امارة آل حمدان ، وأول أمير منهم ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة وناصر الدولة ، ووليها من بعده اخوه سعيد بن حمدان والد ابي فراس الشاعر المعروف وقتله ابن اخيه ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ، وتربع على دست الامارة من بعده ، واستفحل امره حتى لقبه المتقي العباسي : امير الامراء ، وبلغ من شأنه أن الف له الشيخ المفيد طاب ثراه رسالة في الامامة ، وتولى من بعده أبنه عدة الدولة غضنفر (١) وبه انقرضت امارتهم من الموصل وما والاها .

واما الامارة الثانية فهي امارة آل المسيب ، وكانوا ايام بني حمدان امراء نصيبين واخذوا الموصل حربا فاقرهم بهاء الدولة البويهي ، وعظم شأنهم ايام شرف الدولة ابي المكارم مسلم بن قريش حتى أضاف اليه ديار ربيعة ومضر وحلب ، وحاصر دمشق ، وطمع في امتلاك بغداد ، وكان يصرف جزية اليهود والنصارى الذين في جميع بلاده على الطالبيين وهي كثيرة ، واستقامت امارتهم الى أواخر القرن الخامس .

ولكن صلاح الدين الايوبي الذي حارب التشيع اينما امتد سلطانه ومن بعده سلالته هم الذين ضربوه في شمال العراق ، واعقبهم بالضرب المبرح سليم الثاني العثماني ، الذي ذاق الشيعة في ايامه

(١) قتل عام ٣٦٩

انواع الاذايا والشدائد ، وشاهدوا فى وقتـــه ضروب النوائب والمصائب (١) وعلى نهجه سار مراد الرابع .

والى اليوم يعرف الكثير من الموصليين آباراً في الموصل ملئت من قتلى الشيعـة ، وقبوراً اخرى من القتلى ، وآخرين اردم عليهم البناء ، وهذه الآبار والقبور تقصد للزيارة والنذر .

فمن هؤلاء واولئك تضاءل التشيع في شمال العراق ، وبقيت منه بقية أبت لها سياسة آل عثمان أن تأخذ بنصيبها من الحرية فى المذهب بل حملتهم على الرضوخ للمذهب الحنفي ، وحالت بينهم وبين المرشدين من رجال الشيعة ، فعادوا عارين من المعارف الدينية ، ولا يعرفون من التشيع غير اسمه .

ولما انقشعت غيوم ذلك الزمن المظلم وجدوا فسحـة للاتصال بابناء مذهبهم من الشيعة وتطوع لارشادهم ثلة من رجال العلم والايمان ، ولا تسل عما لاقته هذه الفئة المتطوعة من قسوة بعض أرباب الحكم فى تلك البلاد ، من حثالة الاتراك الذين تركوهم عالة على العراق ، وهمزة قطع بين الشيعة وأهل السنـة ، وما خفت وطأتهم عن اولئك

«١» نقل فى مجلة العرفان « ٣ : ٧٨٦ » عن فريد بك صاحب تاريخ الدولة العثمانية ص ٧٤ ، قال امر السلطان سليم بحصر عدد من الشيعة المنتشرين فى الولايات المجاورة لبلاد العجم بطريقة سرية ، ثم امر بقتلهم جميعاً فقتلوا ، ويقال ان عددهم كان يبلغ الاربعين الفا .

المساكين ولا عدلوا عن خطتهم الهوجاء إلا بعد القتيا والتي ، وبعد ان احتج رجال من الشيعة على تلك السياسة البالية المفرقة ، وقدخف عنهم ذلك الكابوس الثقيل ، وانتشقوا شيئاً من نسيم الحرية الطلق ، واظهر شطر من الشيعة في الموصل تشيعهم وكانوا متسترين وراء حجاب التقية ، وبقي حتى اليوم الشطر الاوفر منهم رازحاً تحت تلك القيود الثقيلة لا يجهرون بالتشيع دؤوبا على تلك السيرة القديمة التي ملأت قلوبهم رعباً وفيهم اليوم رجال لهم الشأن والشرف ومع تلك المكانة ما زالوا سائرين على تلك الخطة ، ولعل تسنن شطر من الاعرجية في الموصل كان من جراء ذلك الضغط السابق الذي جعل ناشئتهم تجهل معارف المذهب الجعفري وتنشأ على مذهب اهل التسنن، وعسى ان يكون تظاهر السادة آل حيدر بالشمال بالسنية مراعاة للمحيط حتى تغلب عليهم فاستولى على عقائدهم ، ولا احسب انهم من أهل السنة قبل انتقالهم من ايران الى شمال العراق ، لانهم يمتون بالصفوية وانت تعرف حال الصفوية .

ولا نريد ان نزيد على هذا القدر من تاريخ التشيع في شمال العراق لئلا يخال اننا نريد من وراء هذا التأريخ نبش الدفائن ونحن الى الاتفاق هذا اليوم احوج منا اليه قبل هذا اليوم .

والعراق اليوم يتربص به المستعمرون ليستغلوا تفرق كلمته سبيلا لبسط نفوذهم .

البصرة

تأسست البصرة بعد الاستيلاء على مملكة (كسرى) كما تأسست الكوفة عام ١٧ هـ وهي التي اسرعت لتلبية الدعوة من عائشة - والعصابة الناكثة - لحرب أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد من ابو الحسن بالعفو عنهم بعد ان استولى على الجند .

والبصرة يوم حاربت عليا عليه السلام كان فيها كثير من أوليائه ، وقد وقعت بينهم وبين اجناد عائشة مصادمة انجلت بظفر الاجناد ، ونالوا من عامل امير المؤمنين عثمان بن حنيف الانصاري الصحابي ولم يقتلوه حذراً من غضب الانصار .

ولم تكن البصرة ايام الامويين من البلاد التي دان اكثرها بولاء اهل البيت عليهم السلام ومن ثم لم يصبها من عمالهم ما أصاب الكوفة من القتل والتشريد والحبس والصلب والهدم والنهب ، إلا ما كان من سمرة بن جندب ، فقد استخلفه زياد ايام معاوية على البصرة ستة اشهر فاكثر القتل فيها فقال ابن سيرين : قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف ، فقال له زياد : أتخاف ان تكون قتلت بريئاً ، قال : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت ، وقال ابو السوار العدوي : قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة واربعين رجلا

كلهم قد جمع القرآن (١)

ولا غرابة من أمر سمرة فانه قد خالف النبي صلى الله عليه وآله في حياته (٢) واعتدى على ابي الحسن عليه السلام بعد وفاته (٣) وكان آخر الثلاثة موتاً، وقد قال لهم النبي (ص) آخركم موتاً

---

(١) انظر في ذلك الطبري «٦ : ١٣٢» وابن الاثير «٣ : ١٨٣»

(٢) وذلك انه كان له عذق في حائط انصاري، وكان الدخول الى الحائط من دار الانصاري وكان يدخل بلا استئذان فشكا ذلك الانصاري الى النبي «ص»، فساوم النبي سمرة بالمال وبعذق في الجنة فابى كل ذلك، فامر النبي بقلع عذقه ورميه الىه، وقال كلمته المشهورة التي هي من جوامع الكلم واصبحت اصلا من الاصول الفقهية التي بني عليها كثير من الفروع، وهي: «لا ضرر ولا ضرار»

(٣) وذلك ان معاوية بذل له اربعمائة الف على ان يروي ان هذه الآية نزلت في علي عليه السلام وهي قوله تعالى «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد» وان الآية الاخرى نزلت في ابن ملجم لعنه الله وهي قوله تعالى «ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد» فقبل ذلك، ولا ادري اي الرجلين اعني — معاوية وسمرة — اجرأ على الله، وعلى الشريعة والكتاب.

في النار (١) وكان على شرطة ابن زياد في الكوفة ايام مجيء الحسين عليه السلام وكان يحرض الناس على الخروج لحرب الحسين « ع » وقتاله وشهد مقتل الحسين عليه السلام (٢) وما مات سمرة حتى اخذه الزمهرير فمات شر ميتة ، كما يحكى عن الطبرى .

ودامت البصرة برهة والتشيع فيها قليل ، ولكن كان شائعاً في قبائلها ، وكفى ان يكون فيهم مثل يزيد بن مسعود النهشلي صهر امير المؤمنين وشيعته ، الذى لولا حيلولة القدر لنصر الحسين عليه السلام وبين يديه ما يربو على عشرة الآف مقاتل ولم تمض السنون حتى تغلب حب اهل البيت فيها على المشايعة لبني أمية ، فعادت علوية ، شيعية ، فهي اليوم ومن قبل اليوم بقررن شيعة كغيرها من البلاد العراقيـة الجنوبية ، ويوجد اليوم فيها على غير مذهب اهل البيت نفر وان قلوا في العدد الا انهم كثيرون بالمال والملك .

جملة القول في شيعة العراق

لو اردنا بسط القول في بلاد العراق جميعاً لخرجنا عن تاريخ الشيعة الى تاريخ البلاد العراقية ، فنحن نجمل لك البيان عن الشيعة في العراق بعد ان بسطناه في بعض بلاده فنقول :

إن جنوب العراق شيعة خالصة ولئن وجـد الخليط في بعض بلاده فلا يكون الا فرداً قليلا واما البلاد الشمالية فسكانها على العموم

---

(١) شرح النهج « ١ : ٣٦٣ »

(٢) نفس المصدر

من اهل السنة الا أن الشيعة فيها ليسوا بالقليل، ولو امنوا العوائل من اظهارهم لولاء اهل البيت كما يأمن العدد القليل من اهل السنة في الجنوب لعجبت من كثرتهم في تلك البلاد لاسيما في لواء الموصل و كركوك .

واما البلاد الوسطى كالحلة فهي شيعيـة خالصة سوى افراد معدودين في نفس القصبة ، ولواء بغداد فا كثريته من الشيعة ومثله لواء ديالى ، بعكس لواء الدليم ففيه من الشيعة عدد قليل . وعليـه فالعراق اليوم سبعة من الويته شيعة وفيها شوب من غيرهم ، وخمسة سنة وفيها خليط من الشيعة ولواءان مختلطان يغلب التشيع عليهما ، هذا مايعرفه المستقرىء لبلاد العراق .

ومن ثم لانحتاج الى استقراء لجميع بلاد الجنوب امثال الكوت والعمارة والغراف وماسواها من بلاد دجلة ،والسماوة والديوانية والناصرية وما سواها من بلاد الفرات .

الشيعة في الحجاز

لا ريب في ان ظهور الشيعـة كان في الحجاز بلد المتشيع له كما يقوله محمد كرد علي في خطط الشام « ٥: ٢٥١ » فان النبي صلى الله عليه وآله هو الذي حث على ولاء علي واهل بيتـه عليهم السلام ، وهو اول من سمى اولياءهم بالشيعة ، وفي عهده ظهر التشيع وتسمى جماعة بالشيعة ، وقد سبق البيان عن هذا كله في صدر الكتاب ، فكان مبدأ تلك الدعوة وهاتيك التسمية في الحجاز .

وكانت مواقف المرشد الاكبر نبي الرحمة في الارشاد الى التمسك بوصيه ابي الحسن وبأهل البيت جمة لا تحصر، وكفى منها حديث الثقلين الذي تفوه به في مواطن كثيرة، والذي روته الصحاح الشهيرة وغيرها، ويوم الغدير، يوم اعتلى الرسول الاكرم ذلك المنبر الذي صنعوه له من حدوج الابل، واصعد معه المرتضى آخذاً بيده ليراه كل من حضر، وكانوا مائة الف او يزيدون، حتى بان للناس بياض ابطيهما.

إن أنزال المسلمين في ذلك المكان ودعوتهم للحضور وصنع ذلك المنبر وصعوده عليه والشمس ضاحية واطالة الخطبة واكثاره من البيان عن فضل علي واهل البيت أمور تستفز المشاعر وتوقظ الغافل لماذا هذا الاهتمام والاسراع الى تلك الخطبة وذلك البيان، ألاجل ان يعلم الناس أن علياً ناصرهم ومحبهم، إن هذا الاعلام لا يستدعي ذلك الاهتمام، على انه مفهوم للناس حساً ووجداناً، وما هو معلوم للملأ بذلك الجلاء البين كيف يعيره الرسول « ص » ذلك الاهتمام العظيم

فلو لم يكن لنا من كلامه دلالة على مقصوده لكان من ذلك الاهتمام بيان ناطق بان القصد أعلى من الافصاح عن هذا الامر البسيط الوجيز أعني النصرة أو المحبة أو امثالها.

إن الله جل شأنه يقول في مجيد كتابه : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » حقاً انها لمنزلة عظمى اكرم بها الجليل تعالى نبيه الاكرم « ص » وما كانت تلك الكرامة الا لصالح الناس انفسهم،

لأن الناس لاتهتدي الى جلب المصالح ودفع المضار كما يهتدي اليه النبي الاكرم فانه لايفعل شيئاً من ذلك الا عن وحي أو إلهام منه سبحانه ، وأين مايراه الله لعباده مما يرونه لانفسهم ، فاذا لم يكن بين الناس من له تلك الكرامة ليدلهم على الهدى ويردعهم قسراً عن الردى لايصيب الناس الرشد كما يريده الله سبحانه ، ولما ان قام الرسول خطيباً ذلك اليوم قال فيما قاله : ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم (١) تذكيراً للناس بتلك الآية الكريمة التي فرضت له الأولوية على المؤمنين من انفسهم فقالوا : اللهم بلى ، فلما اخذ الاقرار من ذلك الجمع كله بهذه الاولوية ، قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وهذا نص صريح بأن تلك الاولوية التي فرضها الجليل له على الناس هي لامير المؤمنين عليه السلام، واين هذا من حمل لفظ المولى على المحب او الناصر ابعاداً للكلام عما هو نص فيه ، وإبعاداً له عما يقتضيه الحال من ذلك الاهتمام العظيم ، وكيف يتفق هذا الاهتمام الكبير مع تلك الغاية البسيطة التي يقوم بها أقل كلام وادنى قيام .

فكان هذا الاعلام عن الاولوية جديراً بذلك الاهتمام ، لاسيما وقد أخبر النبي بدنو أجله وهذا هو وقت التخليف واقامة النائب

---

(١) انظر فى ذلك مسند احمد « ٤ : ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٢ و « ١ : ٥٥ » والنسائى ص٢٢ ومستدرك الحاكم « ٣ : ١٠٩ و ١١٠ و ٥٣٣ » و كنز العمال « ١ : ٤٨ » و « ٦ : ١٥٣ و ١٥٤ و ٣٩٠ » الى كثير سواها .

عنه وهذه الاولوية هي من صالح العباد انفسهم وهي فوق الامامة التي يفهمها الناس و كان هذا كله بمسمع ومشهد من اهل الحجاز ، و كان حقيقاً بهم ان يصبحوا بعد هذا اليوم شيعة للمرتضى واولياء له ولكن لم تمض على ذلك اليوم المشهود الايام معـدودة وأصبح نسياً منسياً ، كأن لم يكن قريب العهد ، ولا شهوده مائة الف ، ولا ذلك البيان يرن صداه في الآذان ، ولا تلك البيعة معقودة ، ولا تلك التهنية مسبوقة .

ان ذلك اليوم وما قبله وما بعده من الايام التي اظهر فيها المرشد الاكبر فضل امير المؤمنين ومقامه الالهي وشأن اهل البيت كان في الحجاز ، وبين ظهراني اهله ، وبمسمع ومشهد من المهاجرين والانصار وكانت - وما زالت - هاتيك الايات المباركة التي عرفتهم مقامه ومقام أهل البيت الرفيع تتلى بكرة وعشية ، فكان جديراً ان يصبحوا كلهم شيعة علي واهل البيت ، ولكنهم عادوا بعد الرسول « ص » إلباً عليه وحرباً له ، سوى فئة قليلة لا يقوى بها على المكافحة ، وما نمت تلك الفئة الا على مر الايام ، وماقويت تلك الروح الضعيفة الا على تطاول السنين ، ومن ثم نجد الناس يتهاوون على طلب البيعة له بالخلافة بعد مقتل عثمان ، فكانوا كما وصفهم هو عليه السلام بقوله: « فما راعني الا والناس ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطيء الحسنان وشق عطفاي مجتمعين علي كربيضة الغنم »

امتنع من اجابة الناس رغم الحاحهم عليه لعلمه بما سيستقبله من

الفتن إن ولي الامر ، فان التدابير التي اتخذت دونه تقضي بان لا يعود الامر اليه ، أو ان عاد فهو مقرون بالفتن ، فان ترشيح فئة الخلافة اتلفت منهم الاجياد لارتقاء عروشها ، وابو الحسن لا يقتص قبل الجناية ، ولا يهب الألوف ارضاءاً للمطامع ؛ ومثل هذه الخشونة فى ذات الله تعالى لا تقمع الفتن ولا تستصلح الناس . الناس الذين هم دائماً بين الرجاء والخوف.

فكان طرده للناس يزيد في اللجاجة عليه ، فما وجد بدأ من الاجابة احتفاظاً بتلك الصبابة من الدين ، والزمرة الموالية من الناس ، وكان يمثل حال الناس ذلك اليوم من طلبهم لمبايعته وامتناعه عنهم قوله عليه السلام من كتاب الى طلحة والزبير : إني لم اردالناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني ، والشواهد على ذلك كثيرة .

ولما نهض بالامر لاقى ما كان يحتسب ، فاول ماجابهه نكوث طلحة والزبير وخروجهم بعائشة الى البصرة فارتحل بانصاره وشيعته لدرء هذا الخطر قبل ان يستفحل ، فان رجال السياسة والحكم تهتم للاحداث الداخلية اكثر من الخارجية ، ولما استوطن الكوفة بعد قمع الفتنة ابقى معه أولئك الشيعة الذين خرج بهم فلم يبق فى الحجاز من اوليائه الا عدد قليل ، وعندما صار الامر الى معاوية لم يرجع الى الحجاز أولئك الشيعة اللهم سوى شرذمة معدودة ، وبقيت الشيعة الحجازية فى الكوفة ، وصارت الكوفة عاصمة التشيع كما صارت عاصمة ملك أبي الحسن عليه السلام .

ولما تضاءلت الشيعة في الحجاز لم تقو فيه روح التشيع ثانية كما نمت في سواه من الاقطار ، رغم العوامل القوية التي تقضي بانتشاره فيه ، وتلك العوامل هي ان الحجاز التربة الاولى التي غرس فيها شجر التشيع ، والتي قبلت هذا الغرس، والتي نما فيه واينع واثمر، والبلاد التي حملت ابا الحسن على قبول البيعة ، والبلاد التي كانت مهبط الوحي في فضل اهل البيت منبر الرسول في تبليغ الناس فضائل وصيه وآله ، والبلاد التي هي موطن الائمة من اولاد امير المؤمنين عليه السلام الى علي الهادي عليه السلام ، واليهم واليها كانت تشد الرجال من الشيعة في اقطار الارض . وشيعته اليوم في القبائل اكثر منه في المدن ، فمن القبائل الشيعة بنو جهم وبنو علي (١) وبعض بني عوف ، واما في البلاد فيوجد في المدينة المنورة خلق كثير كالنخاولة وفي رساتيقها كالعوالي ويوجد في المدينة نفر قليل غير هؤلاء ، كما يوجد في مكة المكرمة عدد قليل .

وكانت حادثة بين الشيعة وحكومة آل عثمان في المدينة مشهورة مشهودة ، وتلك الحادثة هي ان في العوالي -وهم من حرب بني علي- خلقاً كثيراً من الشيعة فاتهمتهم الاتراك بالجاء أهل الجرائم وقطاع السبل ، فارادت بناء معاقل وحصون في العوالي فدافعهم أهلها لانهم

---

(١) إن سلسلة النسب التي بايدي قومنا آل مظفر تشهد بان مهبطهم الى العراق من الحجاز وانهم من بني عقيل وهم من بني علي هؤلاء .

يعتقدون أنها حيلة للقضاء عليهم ، فجهزت الحكومة التركية الى الوقيعة بهم جيشاً ضافي العدة والعدد ، وانتصرت قبائل حرب لبني علي لأنهم منهم ، ولما زحف الجيش اليهم استقبلوه بسالة ورباطة جأش فانهزم الجيش والتجأ الى المدينة المنورة واحاطت جموع حرب بالمدينة وحاصرتها طيلة شهرين ، ومن هنا تسمى هذه الحادثة (بواقعة الشهرين) وقتل بها من الجند عدد كثير ، ولم يصب أهل العوالي أي ضرر ، فقد قيل انه لم يقتل في العوالي إلا كلب وعنز ، وكان ابتداء هذه الحادثة في الثالث من شوال عام ١٣٢٩ ، ونظم هذه الحادثة وما جرى فيها من انتصار الشيعة وانخذال الاتراك بعض الشعراء ، وارتفع بهذا النصر شأن الشيعة المستضعفين القاطنين في نفس المدينة المنورة .

ولما انتهى الحكم في الحجاز الى الملك الحسين بن علي بعد الاتراك انعطف على الشيعة لا سيما شيعة حرب منهم ، فانهم ساعده القوي وسيفه الصقيل ، ولكن لم تذهب على هذه الحال برهة قصيرة إلا وزحفت الاخوان ابناد ابن السعود على الحرمين الشريفين فقضت على دولة الشريف ، ولا تسل عما جنوه من فتك وسفك وسلب ، واجروه من فظائع وفجائع ، وان الذي ولد فيهم تلك القوة ، وأوجد فيهم هذه البسالة ، وجعلهم لا يفرون من الزحف ، حتى استولوا على الحجاز وغيره ، هو ان قائدهم الى كوارث هذه الاعمال ملكهم ابن السعود قد احكم فيهم هو واسلافه وبعض من ينسب نفسه الى العلم

من أهل نحلتهم الاعتقاد بكفر أهل القبلة من فرق الاسلام كافة ، واباحة النفوس والاموال منهم ، واستغلوا منهم هذه العقيدة للسيطرة والملك ، فقضوا مآربهم بما اودعوه فى هذه النفوس الضعيفة المسكينة من باطل الاعتقاد .

وبهذه الوحشية الكاسرة ، وتلكم الطباع الفظة الغليظة ، وهاتيك القسوة والجفوة ، وذلك المعتقد المستنكر ، ذلل جماح اهل الحجاز ، وقاد حربا قود للذلول ، وكانت لا تخضع لسلطة ، ولا تنقاد لدولة ، فلا تسمع للشيعة بل ولا لغيرها بعد تلك الاعمال القاسية حسا ولا حركة ، ولئن دفع البعض بن حرب ذل الضيم على الوثبة فما اسرع ما تقضي عليها أولئك الوحوش الكواسر التي لم تشبع نهمهم هاتيك الحروب المبيرة ، ولم تروظامهم تلك الدماء السوائل .

وليتهم اكتفوا بوحشي الاعمال تلك ، دون ان يتعرضوا لقباب أئمة البقيع وأهل البيت بشيء ، فبتلك المعاول التي هدموا بها صروح الايمان ، نقضوا قباب آل محمد « ص » وتركوها أثراً بعد عين (١)

---

[١] كان دخول ابن السعود الى مكة المكرمة اول عام ١٣٤٤ ، وفى الثامن من شوال هذا العام هدم القباب الشريفة وجعل الضرائح ارضا بسيطة ، وجعلت الشيعة هـذا اليوم يوم حزن مشهود ، والى اليوم تقام فيه الذكرى لهذه المأساة ، وكنت ممن استوحى قريحته فى هذا الحادث المؤلم فقلت قصيدة فى السنة الثانية من هدم القبور مطلعها :

لمن ابقيت وكاف الدموع   اما تبكيك فاجعة البقيع

فاذا كانت هذه حرمة اهل البيت وساداتهم عندهم فكيف يكون شأن شيعتهم واوليائهم ، ولا نرثي لحال الشيعة والمسلمين في الحجاز فحسب ، بل لحالهم في البلاد الاخرى التي امتد اليها سلطانهم، كالقطيف وقطر والحساء ، فلقد سلبوا أموال الكثير منهم وتسلطوا على انفسهم ونفائسهم ، وقهروهم على التظاهر بما هم عليه من الشعائر، وان لا يفارقوهم في جمعة أو جماعة ، ولم يدعوا لهم حرية في مذهب، ولا سمحوا لهم في زيارة المراقد المقدسة للنبي وائمة أهل البيت عليهم السلام الى غير ذلك ، نعم في الآونة الاخيرة خفت شدتهم ، وقلّ ضغطهم .

ولقد قهروا الحجاج أيضا على الرضوخ لشعائرهم والصلوة خلف امامهم، ودفعوهم عن تقبيل مقام ابراهيم عليه السلام ولمس أي مرقد ومحل مقدس سوى الحجر الاسود ، ودفعوا بالضرب والقهر زائري قبر الرسول وقبور عترته عن القرب منها والتقبيل لها .

نعم في السنة الماضية وهي سنة احدى وخمسين بعد الالف والثلثمائة قيل : كانت وطأتهم على الحجاج اخف، وشرهم اضعف (١) وعسى

---

(١) ولكني لما توفقت للحج عام ١٣٦٥ شاهدت الشر افظع مما سمع ؛ فالحاج الشيعي اذا وضع قدمه في الحجاز لا يصبح امينا على دينه ودمه ، فانه لا يقدر ان يؤدي فرضا او نفلا يخالف آراءهم، وما بينه وبين اهراق دمه الا شهادة رجل جاهل اومعاند...

ان تقضي سياسة ابن السعود في مجاراة المسلمين والشيعة باعادة البناء لقبور أئمة البقيع ، وفسح المجال لهم للزيارة واعطائهم الحرية المذهبية فان ذلك ارقى لبلاده واعز لسلطانه واعود بالنفع عليه وعلى بلاده ، وسبب لتكاثر الحجاج ووفرة الاموال لديه ولدى اهل مملكتـه ، والله الهادى لسواء السبيل .

وما هـذه باول مرة يغزو فيها آل السعود الحرمين الشريفين ويستولون فيها على الحجاز ،فقد غزوه من قبل واستولوا عليه ، وذلك في بدء ظهور الوهابيـة في نجـد واستفحال امرها ، حتى اخرجوا الشرفاء منه ، ولكن الدولة العثمانية استثارت عزائم محمـد علي باشا والي مصر يومئذ ، ورأس الخديويين ملوك مصر اليوم ، فجهز جيشاً كثيفاً بقيادة ولده طوسون باشا،فسيره الى الحجاز لاخضاع الوهابيين واسترجاع الحرمين منهم، وكان ذلك عام ١٢٢٦ ، وامير الوهابيين إذ ذاك سعود الثاني فانهزم طوسون ولم يثبت امام الجيش الوهابي،فاضطر محمد علي الى ان يخرج بنفسه الى الحجاز ، ومن الصدف الجميلة ان مات سعود الثاني أقوى امراء هـذه الطائفة وقام من بعده عبدالله

ــ بانه شيعي يريد مخالفة الشريعة،وما بيننا وبين قتل ذلك الشيعي الايراني الا صفتان ، وقد قتلوه بغيا وظلما ، وكم قتل مثله ممن لانعلمه،وقد سجلت مشاهداتي وملموساتي في الحج وما زالت محفوظة، وقد سمعت من المصريين عن الشيعة قذفاً وسبا لا يقل فظاعة عن عمل الاخوان وقولهم ، ولكن الى من المشتكى من هذا العدوان ولمن نوجه بالهتاف والصرخة .

وكان ضعيفا فهزمهم محمد علي باشا وتوالت هزائمهم ولما ظفر بهم عاد الى مصر ، فعقد من بعده ولده طوسون صلحاً مع الوهابيين ومات بالاسكندرية ، فعاد الوهابيون الى الخروج عن الطاعة ، فسير لهم محمد علي باشا ولده ابراهيم باشا عام ١٢٣١ ، فحاصر الدرعية حاضرة بلادهم نجد واخذها عنوة واحرقها وخربها بعد ان جاء اليه اميرها عبدالله صاغراً خاضعاً عام ١٢٣٣ ، وبذلك استؤصلت شوكة هذه الطائفة وقضي على انتشار مذهبهم يومئذ (١)

نعم بقيت شوكة الوهابيين في نجد خاصة، ولما تغلب آل الرشيد على آل السعود في نجد وعادت الامرة اليهم كانوا احسن سيرة من سلفهم ولكن رجعت الشوكة الى السعوديين قبيل الحرب العظمى بعد ان استولى عبدالعزيز السعود على الرياض وبث الدعوة الى الوهابية باسم الاخوان في نجد وبتلك الدعوة ونشر الاموال جذب اليه اعراب نجد واستولى على نجد والحجاز والحسا والقطيف وقطر ، فكان منهم من فظائع الاعمال ما لا يجهله الناس وما يحفظه التأريخ

الشيعة في اليمن

اليمن عرب قحطانية وهي ام العروبة واليها تنتسب، أسلمت سلماً على يدي امير المؤمنين عليه السلام ، روى الطبرى (٢) عن البراء بن

(١) عن صفوة تأريخ مصر والدول العربية [٢ : ٩٧ - ١٠٠]

(٢) ج ٣ : ١٥٩ ، في حوادث عام ١٠ من الهجرة وكان ارساله عليا في سرية الى اليمن في شهر رمضان وذكر ذلك ايضا -

عازب قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فكنت فيمن سار معه فاقام عليه ستة اشهر لايجيبونه الى شيء ، فبعث النبي « ص » علي بن ابي طالب وامره ان يقفل خالداً ومن معه ، فان اراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد ان يعقب معه تركه ، قال البراء : فكنت فيمن عقب معه ، فلما انتهينا الى اوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له ، فصلى بنا علي الفجر فلما فرغ صفنا صفا واحداً ثم تقدم بين ايدينا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك الى رسول الله (ص) فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال :السلام على همدان السلام على همدان ، ثم تتابع اهل اليمن على الاسلام .

وقال الشيخ عبدالواسع بن يحيي الواسعي في تاريخ اليمن (١): إن اول من أسلم من اهل اليمن على يد علي بن ابي طالب عليه السلام حين وصل الى اليمن ام سعيد البرزخية ونزل بمنزلها ، وتعلمت القران وصلى في منزلها وبنته مسجداً وسمته مسجد علي ، وهو معروف مشهور الى اليوم ، انتهى .

فكان توفقهم للتمسك بعرى الاسلام على يد امير المؤمنين عليه السلام أحد

-ابن الاثير في الكامل(٢ : ١١٥) في حوادث السنة العاشرة .

(١) وتاريخه موجز جداً وقد انتهى من تأليفه في ٢٤ ربيع الاخر عام ١٣٤٦ .

العوامل لولائهم له وصيرورتهم علوية مذهبا ونزعة ، ولا تنس همدان ومواقفها بين يدي أمير المؤمنين يوم صفين .

والذي أيد رأي اهل اليمن في علي وحثهم على ولائه واتباعه هو صاحب الرسالة عليه وآله السلام يوم سمع منه الوفد اليماني ما لعلي من الفضل والمنزلة عند الله ورسوله « ص » وذلك ماذكره ابو عبدالله محمد ابن ابراهيم الكاتب النعماني في كتاب الغيبة ص ١٥ (١) عن عبدالله بن معمر الطبراني قال ـ وكان هذا من موالي يزيد بن معاوية ـ بسنده عن جابر الانصاري ، قال : وفد على رسول الله (ص) اهل اليمن بيسا (٢) فلما دخلوا عليه قال (ص) : قوم رقيقة قلوبهم راسخ ايمانهم ، منهم المنصور يخرج في سبعين الفا ينصر خلفي وخلف وصيي ، حمائل سيوفهم المسد (٣) فقالوا : يارسول الله ومن وصيك فقال (ص) : هو الذي امركم الله بالاعتصام به فقال عز وجل : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٤) فقالوا : يارسول الله بين لنا ماهذا الحبل ، فقال « ص » : هو قول الله « الا بحبل من الله وحبل من الناس » (٥) فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيي ، فقالوا

---

(١) رأيته مخطوطا في بلد الكاظمية عند بعض افاضلها .

(٢) لعل المراد به ـ الخليط ـ اي جاء من كل قبيلة جماعة

(٣) الحبل من الليف

(٤) آل عمران : ١٠٣

(٥) آل عمران : ١١٢

يارسول الله : ومن وصيك، فقال «ص» : هو الذي قال الله فيه : « ان تقول نفس ياحسرتى على مافرطت في جنب الله » (١) فقالوا يارسول الله : وماجنب الله هذا ، قال فقال « ص » : هو الذي يقول الله فيه :(ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) (٢) هو وصي والسبيل الي من بعدي ؛ فقالوا يارسول الله بالذي بعثك بالحق ارناه فقد اشتقنا اليه ، فقال « ص » : هو الذى جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين ، فان نظرتم اليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم انه وصي كما عرفتم أني نبيكم فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه فمن اهوت اليه قلوبكم فانه هو ، لان الله عز وجل يقول في كتابه : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم » (٣) اليه والى ذريته عليهم السلام ، قال : فقام ابو عامر الاشعري في الاشعريين ، وابوغرة الخولاني في الخولانيين . وطسان وعثمان من قيس في بني قيس. وغرية الدوسي في الدوسيين . ولاحق ابن علاقة « علاقة » فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه واخذوا بيد الا نزع البطين وقالوا : الى هذا اهوت افئدتنا يارسول الله . فقال النبي « ص » أنتم بحمد الله عرفتم وصي رسول الله « ص » قبل ان تعرفوه ؛ فبم عرفتم انه هو ، فرفعوا اصواتهم يبكون ويقولون : يارسول الله نظرنا الى القوم فلم تحن لهم قلوبنا ، ولما رأيناه ثم اطمأنت

---

(١) الزمر : ٥٦
(٢) الفرقان : ٢٧
(٣) ابراهيم عليه السلام : ٣٧

نفوسنا وانجاشت (١) اكبادنا، وهملت أعيننا، وانثلجت صدورنا، حتى كأنه لنا أب ونحن له بنون، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم» (٢) انتم منهم بالمنزلة التي سبقت لكم بها الحسنى وانتم عن النار مبعدون، قال: فبقي هؤلاء القوم المسمون حتى شهدوا مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين، وكان النبي «ص» بشرهم بالجنة واخبرهم انهم يستشهدون مع علي عليه السلام.

وان من يسمع في علي عليه السلام مثل ذلك كيف لا يكون من اوليائه واشياعه، وما اطال الرسول (ص) في تعريفه إلا ليزيدهم شوقا اليه ويملأ قلوبهم حباً له، وازدادوا حباً له بعد ما كان مفقههم في الدين، فانهم طلبوا من الرسول (ص) من يفقههم في الدين ويعلمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب الله، فبعثه النبي (ص) اليهم وضرب في صدره وقال: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه، قال المرتضى عليه السلام: فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة (٣)

فمن قضائه بينهم ما حكاه الصدوق في أماليه في المجلس الخامس والخمسين عن الباقر عليه السلام، قال: انفلت فرس لرجل من أهل

(١) تحركت.

(٢) آل عمران: ٧

(٣) انظر كنز العمال في فضائل علي عليه السلام ٦: ١٥٨ و ٣٩٢ وغيرها.

اليمن فنفح رجلا برجله فقتله ، واخذه أولياء المقتول فرفعوه الى علي عليه السلام ، فاقام صاحب الفرس البينـة ان الفرس انفلت من داره فنفح الرجل برجله فابطل علي عليه السلام دم الرجل ، فجاء أولياء المقتول من اليمن الى النبي (ص) يشكون علياً عليه السلام فيما حكم عليهم ، فقالوا : ان علياً ظلمنا وابطل دم صاحبنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن علياً ليس بظلام ، ولم يخلق علي للظلم ، وان الولاية من بعدي لعلي والحكم حكمه والقول قوله ، لا يرد حكمه وقوله إلا كافر ، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن ، فلما سمع اليمانيون قول رسول الله «ص» في علي عليه السلام قالوا : يارسول الله رضينا بقول علي وحكمه ، فقال رسول الله « ص » هو توبتكم مما قلتم .

ومن يسمع امثال ذلك من صاحب الرسالة كيف لا يستولي على شغاف قلبه الحب والولاء لابي الحسن ، وكيف لا يصبح من شيعته وتابعيه .

وهذا ما سمعوه من فم الرسول «ص» في شأن الامام المرتضى عليه السلام وهو نزر مما يبلغهم عنه من الاعلاء من مقامه ، وبيان منزلته لدى الله جل وعز .

ومن ثم امتنعوا بعد الرسول « ص » من البيعة لابي بكر وأبوا إلا البيعة للمرتضى ولكن الحرب اخضعتهم .

واستقام التشيع في شعاب اليمن وجبالها الى ان قام بالامر امير المؤمنين عليه السلام ، فكانت ولايته امنيتهم المطلوبة ، وكان قليل منهم على غير رأيه وقد راسلوا معاوية فسرح اليهم بسر بن ارطاة في جند مؤلف من ثلاثة آلاف عام ٤٠ من الهجرة ، ومر بطريقه على المدينة كما امره بذلك معاوية ، وكان عامل أمير المؤمنين عليها أبو أيوب الانصاري فهرب ولحق بامير المؤمنين عليه السلام فدخلها بسر . ولا تسل عما كان منه من سفك وهتك للحرمات . واهانة لمن بقي من الصحابة . وقتل للكثير من الابرياء . وقد اخاف بذلك أهل المدينة عامة (١) واكرههم على البيعة لمعاوية . وهدم كثيراً من دورهم . الى ما سوى ذلك من فظيع الحوادث .

ثم توجه الى اليمن ولما سمع عبيد الله بن العباس بقدومه هرب من اليمن وكان عامل امير المؤمنين عليها واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فسل التأريخ عما صنعه بسر من فجائع الأعمال في اليمن وقتله الالوف من الشيعة رجالا ونساءاً وأطفالا ورضعاً ، حتى قيل لقد قتل بسر في وجهه ثلاثين الفا وحرق قوما بالنار ، وسبى نساء همدان ، واقامهن في السوق للبيع ، وكانوا يكشفون عن

(١) جاء في كثير من الاحاديث ما فيه تهديد بالعذاب ووعيد بالعقاب لمن اراد السوء باهل المدينة انظر كنز العمال «٦ : ٢٤٩ و ٢٥٠» وغيرهما .

سوقهن فمن كانت أعظم ساقا كانت أغلى ثمناً ، فكن أول نساء سبين في الاسلام لولم يسبقهن نساء بني حنيفة بعد وقعة خالد بهم ، الى غير ذلك من اعمال بسر التي يجزع ذو الغيرة عنـــد استماعها وقراءتها دون نشرها وسطرها ويتفتت لها كبد المسلم الغائر على أبناء جلدته وملته ، ولا ادري هل يصح بعد هذا ومثله ان يقال: إن بسراً وأميره ابن آكلة الاكباد من ابناء الاسلام .

وهل خفي عليك ما ارتكبه ذلك السفاح السفاك - بسر - من طفلي عبيد الله بن العباس ، فقد أودعها ابوهما في اليمن عند رجل من كنانة في البادية حذراً من سطوة ذلك الفاتك الظلوم ، فلم ينفعهما ذلك الحذر ، فانه لما قتل ابن عبد المدان وابنه اصهار ابن عباس بحث عن الطفلين فظفر بهما ، فدافع عنهما الكناني بسيفه حتى قتل دون جاره ، ولم يشف غيظ ذلك العاتي الجبار دون ان ذبحهما بيده الاثيمة .

وقال الشيخ عبد الواسع في تاريخه ص ١٣ : قيل ذبحهما بيده والمصحف بين يديهما ودفنا في محلها ، وبازاء قبريهما مسجد يعرف بالشهيدين وهو موجود الآن ، وهذا المصحف مكتوب بالخط الكوفي على الرق ، وهو خط علي بن ابي طالب عليه السلام وهو موجود الى الآن في هذا المسجد ، وآثار الدم تشاهد على المصحف ، والايات التي رشتهما بها امها مكتوبة على ضريحيهما .

والابيات التي رثتهما بها امهما مشهورة ، فانه لما بلغ امهما خبر طفليهـا اختطف عقلها عظم هـذه الحادثة وصارت ترثيهما في المواسم بقولها :

يامن أحس بنيي اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف (١)
يا من أحس بنيي اللذين هما	قلبي وسمعي فعقلي اليوم مختطف
من دلّ والهة حيرى مدلهة (٢)	على صبيين ذلا إذ غدا السلف
نبئت بسراً وماصدقت مازعموا	من افكهم ومن الاثم الذي اقترفوا
احنى على ودجي ابني مرهفة	مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

وقالت لبسر امرأة من كنانة لما ذبحهما : ياهذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين ، والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والاسلام ، والله يا ابن ارطاة ان سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان سوء .

ولما بلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام جزع جزعا شديداً ودعا على بسر فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ، فوسوس وذهب عقله ، وصار يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ أو مرفقة فلا يزال يضرب به حتى يغمى عليه ، ولم يزل

(١) تشظى ـ تطاير شظايا اي قطعا ـ

(٢) الذاهبة العقل .

كذلك حتى مات (١) ولعذاب الآخرة اشد واخزى .

وإنك لعلى خبر بما كان عليه معاوية من العداء لعلي واهل البيت عليهم السلام ومن يمت اليهم بولاء ، ولما شاءت الاقدار ان يستولي على البلاد ويفعل في الناس ماشاء وشاء له الهوى كانت امنيته الوحيدة ان يمحو الذكر الجميل لاهل البيت من صفحة الوجود ، وعرف انه لا يتسنى له ذلك ولعلي شيعة في البلاد ، يبذلون كل غال ورخيص في حفظ كرامته ونشر فضائله ، فوجه همه وهمته لاستئصالهم من على البسيطة ، كما دلتنا على ذلك اعماله في الكوفة التي كانت عاصمة أمير المؤمنين ومغرس شيعته ، ولكن عظيم تلك الجهود ، وكبير تلك المساعي ، ذهبا ادراج الرياح ، فان التربة التي حظت بولاء علي وبنيه لم تحرم ذلك التوفيق فكانت اليمن وافرة الحظ من التشيع طيلة ايام معاوية وما استطاع ان يقضي عليه بدسائسه ومكائده وحروبه ، كما ينبئنا عن ذلك تأريخ ابن جرير في حوادث عام ٦٠ هـ (٦ : ٢١٦ و ٢١٧) وابن الاثير « ٤ : ١٦ » فقد ذكر أن الحسين عليه السلام لما كتب اليه اهل العراق يحملونه على المسير اليهم وعزم على اجابتهم وهم بالرحيل وكان بمكة المكرمة ، جاءه ابن عباس مشيراً عليه بالكف عن هذا الوجه - وهل يخفى على ابي عبدالله الرأي وهو رضيع الوحي والطبن بامور

(١) حديث بسر روينا مجتمعة مع الايجاز عن متفرقات كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير « ٦ : ٨٠ و ٨١ » في حوادث عام ٤٠ هـ وابن الاثير « ٣ : ١٦٦ - ١٢١ » وغيرها ؛ وهذا سوى مارويناه عن تاريخ الشيخ عبدالواسع .

الدنيا والدين - فمن كلام ابن عباس : فان أبيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا ، وهي ارض عريضة طويلة ولابيك بها شيعة وانت عن الناس فى عزلة .

وهذا التشيع لعلي عليه السلام قد خامر قلوب اليمانيين حتى اليوم فان اليمن مازالت ملجأ لبني علي وبها السلطة لهم فى اكثر الازمان ، فلربما كانت السلطة لهم فيه روحية فحسب ، واخرى روحية وزمنية معا ، كما هي اليوم في « حميدالدين يحيي » (١) فانه قد تسمى بالامام وبامير المؤمنين ، واستقل بالسلطان فى ابان الحرب العالمية الكبرى بعد ان اجلى الاتراك عن البلاد ، وانه على ماتنقله السواح وتحمله الانباء حسن السيرة يجلس بنفسه لاستماع الشكايات والتداعي بين المتخاصمين ومع تواضعه قوي الجنان والساعد، وقد قبض على البلاد بيد من حديد لا يسمح للاجانب فى التدخل بشؤون بلاده بكل وجه ، ولم يفتح عليها باب التجـدد الذى انتزع من بني الاسلام المتجددين روح الفضيلة

---

(١) يؤسفنا ان يعتدي عليه عبدالله بن احمد الوزير فيقتله ويقتل من اولاده الحسين والمحسن ومن احفاده الحسين بن الحسن وهو طفل فى سابع ربيع الاول من عام ١٣٦٧ من دون مبرر ظاهر سوى حب الامرة والاستيلاء على الحكم، ويؤسفنا ايضا ان تكون لهذا الحادث يد اجنبية عابثة ، وقد نال جزاء عمله عبدالله هذا فقد اعدمه وبعض وزرائه سيف الاسلام احمد بن يحيي ، صباح الخميس (٢٨) جمادي الاولى من هذا العام بعد ان استرجع البلاد والحكم واستولى على صنعاء .

والاخلاق والدين ، ويلوح على المشاهد لبلاد اليمن انها بلد دينية ، نظامها العام شريعة الاسلام ، ولعله بفضل مليكها « يحيي حميدالدين » وعلى نهجه تسير اولاده وهم كثر .

وان اول من دعا الى مذهب الزيدية في اليمن هو يحيي بن الحسين الرسي العلوي في القرن الثالث للهجرة ، رحل من العراق الى اليمن واقام في صعدة ، وبث ذلك المذهب فيها ، وظهر أمره حتى دعي بالامام ، ولكن الذي اسس الامامة في صعدة هو القاسم بن محمد الذي يتصل نسبه بالرسي المذكور ، وبعد ذلك سرى مذهب الزيد في اليمن وتسرب الى اعماقها حتى استولى على الكثير منها كما هو اليوم ، وهم يهتفون في الآذان بحي على خير العمل ، وان الملك يحيي يتصل نسبه بيحيي بن الحسين الرسي المذكور واليمن بلاد واسعة مترامية الاطراف كثيرة النفوس قد يتجاوز عدد نفوسها الستة ملايين ، ولا يحكم الملك يحيي غير الشطر الاوفر منها ، فالعسير (١) ولحج والامارات التسع المحمية وحضرموت وغيرها يختلف الحكم فيها فبين من يدير شؤنها امراء تحت الحماية الانكليزية كعدن او يديرها نفس زعمائها من دون ان يكونوا تحت سلطة أخرى ، وقد دخلت بعض الامارات

(١) عادت عسير مملكة الأدارسة الشوافع الى سلطة يحيي بعد ما استولى عليها ابن السعود وانتزعها منهم ، وبعدما وقعت حرب شعواء بين يحيي وابن السعود عام ١٣٥٢ وعام ١٣٥٣ وبعد الصلح والهدنة وكان من شروط الصلح ان تبقى عسير تحت نفوذ الملك يحيي .

من القسم المحمية تحت سلطة الملك يحيى أخيراً ، وخرجت عن حماية الانكليز بقوة ذلك الملك الزيدي وسياسته .

وفي اليمن اليوم كثير من الشيعة الامامية ، واكثر اهلها الزيود خصوصاً البلاد التي تحت سلطه الملك يحيى ومن بعدهم فسنة شافعيه ، والمذهب الرسمي فى البلاد التي تحت سلطان الملك يحيى زيدي ولكن الحرية مبذولة منه للمذاهب الأخر ، واكثر اهل العسير شافعية كما ان المذهب لحكومة الأدارسة هو المذهب الشافعي (١)

نسأله تعالى لنا ولهم حسن التوفيق والهداية للحق والتمسك بعرى الدين الحنيف انه ولي التوفيق والهداية ، وانه سميع مجيب .

---

(١) ظهر كتاب قلب اليمن في هذا العام للمقدم محمد حسن وهو يبحث عن اليمن من جميع نواحيها ، فمن اراد الوقوف على هذه البلاد العربية الجميلة فليراجعه فان ما كتبه عن مشاهدة وعيان ولكن لا يخلو من وجوه محل للنقد لاسيما في ارائه الخاصة .

فطر ابو ذر الغفاري رضي الله عنه على الصدق «١» والمؤمن الصادق في عمله وقوله لايحيد عن نظام الشريعة الغراء قيد أنملة، وأفيد تلك النظم الجليلة للناس هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان حتماً ان يسير ابو ذر على تلك الخطة المعتدلة، والنهج النافع، ومن جراء تلك الغريزة وهاتيك السيرة - التي يجب ان يكون عليهما كل مؤمن ولو كان لعمر الاسلام والعدل المعمورة كلها - نفي الى الشام ومن اجلها أعيد الى المدينة على اخشن مركب، فكيف تجد حاله وهو شيخ كبير قد انهكتــه العبادة، وجشوبة المآكل، وخشونة الملبس «٢» يحمل من الشام الى المدينة وهي مسافة شاسعة لاتقوم لها

«١» روى في مستدرك الحاكم وكنز العمال «٦ : ١٦٩» من عدة طرق قول النبي صلى الله عليه وآله : ماأظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر؛ وفي بعضها من اراد ان ينظر الى المسيح عيسى بن مريم الى بره وصدقــه وجده فلينظر الى ابي ذر.

«٢» كما كان ابو ذر عليه الرحمة صادقاً كان زاهــداً حتى روى في الكنز «٦:١٦٩» قول الرسول «ص» من سره ان ينظر الى زهد عيسى ابن مريم فلينظر الى ابي ذر، وفي حديث من اراد ان ينظر الى عيسى بن مريم زهداً وسمتا، وفي اخر هديا وبراً ونسكا، وفي آخر خلقاً وخلقاً وفي آخر الى تواضع عيسى، الى غيرذلك من الاحاديث، وما ابعدما بين ماقاله الرسول «ص» فيه وما بين مافعله الناس معه.

اصلاب الشباب الصلب ، يحمل على جمل هزيل بلا غطاء ولا وطاء ، أفهل تستغرب لو ذكر لك التأريخ ان وعورة السير وبعده وهزالة المركب قد اكلت لحم فخذيه حتى تناثر ، فان طبيعة الحال تقضي بهذا الاثر وان لم تنقله الرواة وتسطره الكتب ، فكيف وقد اخبرنا عن ذلك كله التأريخ الصحيح ، فهذا ابن ابي الحديد يقول فى شرحه « ٢ : ٣٧٦ » : اعلم ان الذي عليـــه اكثر ارباب السير وعلماء الاخبار والنقل ان عثمان نفى اباذر اولا الى الشام ثم استقدمه الى المدينة لما شكا منه معاوية ثم نفاه من المدينة الى الربذة ، ونقل عن ابي عثمان ان عثمان كتب الى معاوية ان احمل الي جندبا على اغلظ مركب واوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليه الا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد وهذا المسعودي يقول « ١ : ٣٠٤ » وقد تسلخت بواطن افخاذه وكاد ان يتلف ، الى غير ذلك من حملة التأريخ .

ولما استقدموه الى المدينة واستمر على خطته لم يثنه عنها ذلك الجهد والبلاء نفوه الى الربذة وبهامات جوعا ، فحضره جماعة من المؤمنين فيهم ابن مسعود ومالك الاشتر فجهزوه ودفنوه (١)

---

(١) روى فى كنز العمال « ٦ : ١٧٠ » قول النبي «ص» يرحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحـــده ، وروى الحاكم فى المستدرك فى كتاب المغازي « ٣ : ٥٠ » حديثا يتعلق بغزوة تبوك ومنه قول النبي « ص » رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ، قال ابن مسعود فضرب الدهر ضربة -

وقد ذكر المؤرخون نفيه الى الربذة وموته بها (١) حتى ذكر المسعودي « ١ : ٣٠٥ » ان ابا ذر لما قرروا سيره الى الربذة قال : الله اكبر صدق رسول الله (ص) قد اخبرني بكل ما انا لاق .

و كان لا يحول لديه دون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نفي أو تبعيد ، وسطوة أو قوة ، وإهانة أو قسوة ، حتى قال له معاوية في كلام جرى بينهما : يا عدو الله وعدو رسوله لو كنت قاتل رجل من اصحاب محمد « ص » من غير اذن امير المؤمنين عثمان لقتلتك ، ولكني أستأذن فيك ، فقال له ابو ذر : ما انا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وابوك عدوان لله ولرسوله « ص » اظهرتما الاسلام وأبطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله «ص» ودعا عليك مرات ان لا تشبع ، انظر شرح النهج (٢ : ٣٧٦)

فلم يدفعه ذلك كله عن الجهر بما انطوت عليه جوانحه من الحب

ـ فسير ابو ذر الى الربذة ، ثم ذكر موته وإيصاءه بان يحمل على قارعة الطريق ، الى ان قال : فاذا ابن مسعود في رهط من اهل الكوفة ، ثم قال : واستهل ابن مسعود يبكي فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر قوله السابق ثم نزل فوليه بنفسه حتى اجنه .

(١) ممن ذكر من المؤرخين نفي ابي ذر الى الربذة ابن ابي الحديد والشهرستاني في الملل والنحل ، وعلي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ، وابن حجر في الصواعق وابن عبدالبر في الاستيعاب وابن الاثير في اسد الغابة ، وغيرهم .

والولاء لعلي وأهل البيت عليهم السلام ودعا لها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، مع شدة المحنة و كثرة البلاء ، فنجحت دعوته ولبـــاه ناس كثيرون في دمشق وضواحيها ، (١) وهي الى اليوم على التشيع بفضل ارشاده ، وان نجاح دعوته كان الحجة البالغة على معاوية وبني امية ، فانهم مع جهادهم في محاربة مذهب أهل البيت في القول والعمل قـد نشأ بين مخالبهم واظفارهم قوم يبرأون منهم ويوالون محمداً وآل محمد عليه وعليهم الصلوة والسلام غير انهم كانوا يتسترون بالتقية خشيـة من ظلم آل امية .

وهكذا دام التشيع بعد ما تولد في سوريا تحت ملي الخفاء وخلف حجب التقية زمناً غير قصير ، شأنه في البلاد الاخرى التي يكون فيها السلطان لغيرهم ويخشون ضغطه وقسوته ، وكان يسير بيطء ، ولولا تلك السياسة الرشيدة التي انتهجها الشيعة بارشاد أئمتهم عليهم السلام لما وجدت اليوم من أبناء التشيع نافخ ضرمه ، لان السلطات ما تزال بن غيره وهي تعاديه قولا وفعلا فكانت التقيـــة خير جنة لهم (٢) .

---

(١) ذكر محمد كرد علي في خطط الشام « ٥ : ٢٥١ - ٢٥٦ » نبوغ التشيع في سوريا في القرن الاول ، وقد نقلنا كلامه ص(٩)

(٢) كتبت فصلا ضافيا في كتاب الصادق عليـه السلام عن التقية «   » اثبت فيه صحة تلك الخطة بل ووجوبها ونجاح تلك السيرة .

واما اليوم فالشيعة في سوريا والشام مجاهرة بالتشيع ، ولهم شأن في البلاد رفيع ، ولو رأيت اليوم قباب القبور العلوية المشيدة في الشام عاصمة امية مع اندراس قبور بني امية لعرفت كيف يعلو الحق وان اجتهد اعداؤه طول الزمن في طمسه .

واذا دخلت المسجد الاموي الرفيع بناية والمشيد عمارة وتوسطته واقفاً تحت قبته ، فارفع رأسك لتنظر ماذا كتب باطن القبة فستجد اسم علي والحسنين ، فاين اذن اسماء معاوية ويزيد وملوك بني مروان الذين رفعوا بناء ذلك المسجد وملكوا برهة من الدهر تلك البقعة ، وما ملكها اهل البيت يوماً ما ، ولا كان لها في عهد أولئك ذكر جميل ، وستجد في نفس المسجد من الجانب الشرقي مسجداً خاصاً لرأس الحسين عليه السلام ، وعلى المكان الذي صلب فيه الرأس ستار أسود مسدول شعاراً للحزن .

وفي الشام اليوم قوم من الشيعة قد اشتركوا في ادارة البلاد وشغلوا مناصب مهمة في حكومة سوريا في هذا العهد ، وما اكثر الاطباء فيهم ، ولهم يد طولى في التجارة ومعامل النسج وغيرها ، وتقام مآتم العزاء على الحسين علناً في الشام ويحضرها كثير من أهل السنة ، والخطيب يفضح مخازي معاوية ويزيد وبني امية مستنبطاً ذلك من التاريخ الصحيح (١)

---

(١) حضرت بعض هذه المآتم ايام عاشوراء بدء عام ١٣٦٦ بعدما عدت من فريضة الحج ، وقد قرأ في اليوم العاشر الحجة

فاين بنوامية من هذا اليوم الذي تفسح فيه الخطباء في ماصنعهم
عن فضائحهم وقول الحق فيهم ، وما ذاك الا للعدوان الذي جرى
منهم على امير المؤمنين واولاده واعلانهم في شتمهم على المنابر والمنائر
ظلما وعدوانا .

حلب

ارتفع منار التشيع في سوريا وخفق لواؤه حين نبغت الدولة
الحمدانية فى حلب والشام والجزيرة، والدولة الفاطمية بمصر ، وكانت
تلك العصور المتقاربه جل ملوكها وامرائها من الشيعة ، كآل بويه
بفارس والعراق ، وبنى مزيد فى الحلة والنيل ، وبنى شاهين فى البطائح،
وناصر الدولة آل حمدان فى الموصل وما والاها ، واما الوزراء كابن
العميد والصاحب بن عباد فما اكثرهم ، كما انه في تلك الآونة نبغ
من علماء الشيعة في كل فن مايعجز القلم عن عدهم ، كالشيخ المفيد ،
والشريفين ، والطوسي ، وابن الجنيد في بغداد ، وابن خالويه وبني
زهره بعده فى حلب ، الى غيرهم ، واما الشعراء فحدث عن كثرتهم
ولا حرج ، وان اردت ان تعرف شيئا عنهم فعليك بيتيمة الدهر
للثعالبي ، وقد عقد فصلين احدهما فى شعراء سيف الدولة والاخر فى
شعراء الصاحب وسوف تجد الكثير منهم ضمن هؤلاء .

ظهرت دولة سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان في حلب

ـ السيد محسن الاميني مقتل الحسين من تأليفه ، قرأه بنفسه وعلى
طوله ، وفى المجلس دائما جماعة من سنة اهل الشام .

والشام والجزيرة (١) فتواهدت عليه ملة العلم و نوابغ الشعراء ورهد الوافدين، واسعف المادحين، بما تبلغه امانيهم ، وتتمناه نفوسهم ، فصارت انديته الخاصه أشبه بحلقات الدرس في فنون العلم والادب ، فكأنما هو عالم اديب سجيته طرح المسائل على الحضور في اللغة والشعر وغيرهما ، وكأنه لم يكن ملكاً كسواه يستخفه الطرب واللهو ، ويطربه العود والمزمار ، ويغتنم الفرص لمغازلة الغادة المعطار ، وقضى اكثر ايام سلطانه في حرب الروم له وعليه ، فكانت الغزوات التي بينه وبينهم تناهز الاربعين غزوة ، وكان يجمع الغبار الذي يقع عليه في غزواته للروم حتى اجتمع منه لبنة ، فاوصى ان يجعل خده عليها في قبره ، فنفذت وصيته ، كما يذكره ابن الاثير وابن خلكان .

وقد اسر الروم في تلك الغزوات ابن عمه ابا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان (٢) مرتين كانت الاولى عام ٣٤٨ ، والثانية ٣٥١

---

(١) استولى على حلب عام ٣٣٣ ، وكانت تحت سلطة الاخشيد ، وكانت ولادته عام ٣٠٣ ووفاته عام ٣٥٦ ودفن في ميافارقين في تربة اعدت له .

(٢) يقال : إن مولده عام ٣٢٠ وقد قتل عام ٣٥٧ في حرب جرت بينه وبين ابي المعالي ابن سيف الدولة بعد وفاة سيف الدولة فاستظهر عليه ابو المعالي وله ابيات مثبتة في ديوانه ينعى بها نفسه مخاطباً زوجة ابنه وقيل ابنته ، اولهن :

ابنيتي لا تجزعي   كل الانام الى ذهاب

وكان ابو فراس خال ابي المعالي، ولما بلغ الخبر اخته سخينة ـ

وحملوه الى القسطنطينية ، واقام في الاسر اربع سنين ، وله في الاسر شعر كثير موجود في ديوانه كان يرسله الى سيف الدولة والى ابني اخته ابي المعالي وابي المكارم ابني سيف الدولة ، ولابي فراس شعر في اهل البيت ، ولو لم تكن له الا ميميته المسماة بالشافيـــة التي مطلعها .

الحق مهتضم والدين مخترم ... وفيء آل رسول الله مقتسم

في نصرة أهل البيت لكفى ، فانها كانت تعادل في يومها ماءة الف سيف في نجدة آل الرسول (ص) ونصرة الحق والدين يقول ابن خالويه جامع ديوانه (١) والشارح شرحاً موجزاً لبعض الوقائع والحوادث التي فيه في سبب انشائه لهذه القصيدة : إن ابن سكرة الهاشمي العباسي عمل قصيدة يفاخر فيها ولد ابي طالب عليه السلام ويتحامل فيها عليهم اولها .

ـ ام ابي المعالي لطمت وجهها فقلعت عينها ، وقتل ابوه ابو العلاء سعيد بن حمدان في رجب عام ٣٢٣ قتله ناصر الدولة ابن اخيـه عبدالله بن حمدان .

(١) جمع العلامة ابن خالويه شعر ابي فراس وشرحه شرحا موجزاً وديوانه المطبوع قبلا ينقص عن المخطوط بكثير من الشعر وليس فيه ذلك الشرح كما ان المخطوط مرتب على حروف الهجاء والمطبوع غير مرتب ومن الزيادات قصيدة في رثاء الحسين مطلعها

يوم بسفح الدير لا انساه ... اولى له دهري الذي اولاه

وعندي نسخة من هذا الديوان بخطي استنسختها على نسخة قديمة .

بني علي دعوا عضيهتكم (١) لا يرفع الدهر وضع من وضعه

فلم يجبه ابو فراس رحمه الله تعالى تنزها عن مناقضته وسفاهته في شعره ، فقال في اهل البيت هذه القصيدة وسماها الشافية .

ففي ايام سيف الدولة ارتفع شأن التشيع في سوريا ، وانتشق اهله الهواء الطلق بعدان حبسه عنهم ارباب السلطات المتعاقبة ، وبعد ازطال عليهم الانقباع بين جدران التقية، فكانت بقاع سوريا ايام الحمدانيين مكتضة بالشيعة، كحلب ونواحيها ، وبعلبك وقراها ، وجبال عاملة وسواحلها بل كانت منهم فئة في محيط دمشق وبين بيوتها ، كان هذه البلاد الى اليوم راسخة القدم في التشيع كما كانت من قبل سوى حلب نفسها

وقد اختلف على حلب خاصة من العلماء الجم الغفير ايام الحمدانيين ومنهم الشريف ابو ابراهيم جد بنى زهرة ، فكان بنو زهرة بعد هذا بحلب ، وقد نبغ منهم عدة علماء (٢) تعاقبوا الواحد تلو الاخر ،

---

(١) العضيهة: الكذب والنميمة والافك والبهتان.

(٢) منهم عبدالله بن زهرة ، وابو المكارم حمزة بن علي بن زهرة ، واحمد ابن القاسم بن زهرة ، واحمد بن محمد بن احمد ابن ابراهيم بن زهرة ، واحمد بن محمد بن الحسين ابن زهرة ، والحسن بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، والحسين بن علي بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، وعلي بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، وعلي ابن محمد بن زهرة، ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن زهرة ، وابو حامد محمد بن زهرة -

وكانت لهم السلطة الروحية في حلب واطرافها والمرجعية في الفتيا ، واشتهروا بالعلم والتشيع حتى قال صاحب القاموس في « ز ه ر » : وبنو زهرة شيعة بحلب ، وقد خرّجت حلب كثيراً من العلماء غير بني زهرة (١) بل نشأ من الحمدانيين أنفسهم علماء كثر (٢) وهذا ما يرشدنا الى رواج سوق العلم الديني ذلك العهد ، ولعلنا من ذلك

ـ ومحمد بن ابي القاسم عبدالله بن علي بن زهرة ، الى غير هؤلاء وتجد تراجمهم في أمل الآمل .

(١) منهم احمد بن عيسى بن محمد الخشاب الحلبي ، وثابت ابن احمد بن عبد الوهاب الحلبي وجعفر بن مليك الحلبي ، والحسن ابن الحسين بن الحاجب الحلبي ، والحسين بن حمزة الحلبي ، وعبدالملك بن قدة الحلبي ، وعلي بن الحسن بن ابراهيم الحلبي العريضي ، وكتائب بن فضل الله بن كتائب الحلبي ، ومحمد بن علي بن الحسن الحلبي ، والمظفر بن طاهر بن محمد الحلبي ، ووثاب بن سعد ابن علي الحلبي ، الى غير هؤلاء ، وتراجمهم ايضا في أمل الآمل.

(٢) منهم محمد بن علي الحمداني ، ومحمد بن حمدان بن محمد الحمداني ، ومحمد بن محمد بن علي بن ظفر الحمداني ، ومحمد بن سليمان الحمداني ، ومحمد بن عمار بن محمد الحمداني ، ومحمد بن محمد بن علي الحمداني ، والمظفر بن علي بن الحسين الحمداني ، وناصر بن ابي طالب علي بن احمد بن حمدان الحمداني ، وهبة الله بن حمدان ابن محمد الحمداني ، الى غير هؤلاء ، وقد ترجم لهم الشيخ محمد الحر العاملي طاب ثراه في (امل الآمل)

نعرف مبلغ اهتمام سيف الدولة برجال العلم ، وترويجه لهذه البضاعة الثمينة ، فان تولد هذه الروح في حلب كانت في عهده وتمت بسعيه .

واما بقاء التشيع في حلب كما هو بعد الحمدانيين فامر بين معروف، يشهد له ما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٦٣ « ١٠ : ٢٣ » قال : وفي هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب للقائم بامر الله وللسلطان ألب ارسلان ، وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال : هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم ، وهم يستحلون دماءكم لاجل مذهبكم (١) والرأي ان نقيم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل ، فاجاب المشايخ ذلك ، ولبس المؤذن السواد ، وخطبوا للقائم بامر الله وللسلطان ، فاخذت العامة حصر الجامع وقالوا : هذه حصر علي بن ابي طالب فليأت ابو بكر بحصر يصلي عليها الناس ، وقال : وفي هذه السنة سار السلطان الب ارسلان الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء ابو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع ، فقال له محمود صاحب حلب : اسألك الخروج

---

(١) يعني بذلك التشيع ولاء آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولا ادري لماذا كان اتباع اهل البيت في القول والعمل سبيلا لاستحلال الدم وحجة على اباحته ، فانا لله وانا اليه راجعون .

الى السلطان واستعفاءه لي من الحضور عنده . فخرج نقيب النقباء واخبر السلطان بانه لبس الخلع القائمية وخطب ، فقال : وأي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون (حي على خير العمل) (١)

وما زال التشيع في حلب راسي البناء ، حتى ان السلجوقيين الاتراك حاولوا مرات عديدة اقضاء عليه فيها فما استطاعوا ، إلا انه تمكن من ضربه صلاح الدين الايوبي وسلالته ، وكان المؤذن يؤذن في جوامعها بحي على خير العمل ، انظر مجلة المقتبس ج ٦ ع ١٠

واما ابن كثير الشامي فقد ذكر ان صلاح الدين لما جاء الى

---

(١) كان ولا يزال الهتاف في الاذان بحي على خير العمل من شعار الشيعة . وقد قامت الادلة الصريحة الواردة من طرقهم بانه من فصول الأذان . ويدل عليه ايضا ما في كنز العمال « ٤ / ٢٦٦ » عن الطبراني قال : كان بلال يؤذن بالصبح فيقول : « حيَّ على خير العمل » وما في السيرة الحلبية في باب بدء الأذان ومشروعيته « ٢ / ١٠٥ » الطبعة الثانية قال : إن ابن عمر والامام زين العابدين كانا يقولان في الاذان [حي على خير العمل]

نعم ان عمر بن الخطاب نهى عنه كما ذكره القوشجي وهو من متكلمي الاشاعرة في أواخر مبحث الامامة من شرح التجريد. قال : صعد عمر المنبر وقال : ثلاث كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انا انهى عنهن واحرمهن واعاقب عليهن . وهي متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل . ولعل اهل السنة تركوه لذلك كما تركوا المتعتين .

حلب ونزل بظاهره اضطرب واليه (١) ورغب اهل حلب في حرب صلاح الدين فعاهده جميعهم في ذلك ، ولكن شرطوا عليه اموراً ، منها ان يفوض امور عقودهم وانكحتهم الى الشريف الطاهر ابي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني ، الذي كان مقتدى شيعة حلب ، فقبل منهم الوالي جميع تلك الشروط ، إلا انه لم يدخل صلاح الدين الى حلب بحرب ، بل دخلها سلماً (٢) ولم يثنه ذلك عن الفتك بالشيعة لفتكه الذريع.

ولما تصرمت حبال الدولة الايوبية لم يقض التشيع في حلب كما قضى في مصر ، بل بقي رصين الأس كما يخبرنا بذلك ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قال في « حلب » : والفقهاء يفتون على مذهب الامامية ، وقال : وعند باب الجنان مشهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه رؤي فيه في النوم ، وداخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا انه خط علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وفي غربي البلد في سفح جبل الجوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون انه سقط لما جيء بالسبي من العراق ليحمل الى دمشق ، أو طفل كان

---

(١) كان صاحب حلب يومئذ عماد الدين زنكي بن مورود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر ، كما ذكره ابو الفداء .

(٢) كان دخول الايوبي الى حلب عام ٥٧٩ .

معهم فدفن هناك (١) وبالقرب منه مشهد مليح العمارة، تعصب الحلبيون وبنوه احكم بناء وانفقوا عليه اموالا يزعمون انهم رأوا علياً رضي الله عنه في المنام في ذلك المكان .

وهذه الآثار التي يذكرها ياقوت هي من دلائل تشيع الحلبيين فهي على التشيع الى عهده ، وكتب ذلك عن حلب عام ٦٣٦ فيكون ذلك بعد دخول الايوبي لها ملكاً بسبع وخمسين سنة ، والى ذلك اليوم كان فيها اعلام من بني زهرة .

وهكذا استمر التشيع في حلب رفيع البناء لم تقلعه تلك الهزات العنيفة ، ولم تردمه تلك العواصف الشديدة ، الى ان افتى الشيخ نوح الحنفي في كفر الشيعة واستباحة دمائهم واموالهم تابوا اولم يتوبوا (٢)

---

(١) وعن نسمة السحر ان الذي بناه سيف الدولة ، وذلك لانه رأى نوراً على مكانه وهو باحد مناظره في حلب ، فلما اصبح ركب الى هناك وامر بالحفر فوجدوا حجراً مكتوباً عليه هذا المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، فجمع العلويين وسألهم ، فقال بعضهم : انهم لما مروا بالسبي في حلب طرحت احدى نساء الحسين عليه السلام بهذا الولد ، فعمره سيف الدولة .

(٢) كتب رداً على هذه الفتوى العلامة الحجة السيد عبدالحسين شرف الدين وهو كتابه « الفصول المهمة » وقد طبع مرتين ولو قرأته لدلك على علم غمر ، وتبحر واطلاع واسعين ، ولا وضح لك ظلم ذلك الرجل في فتواه وقتل اولئك المساكين ظلما وعدوانا .

فزحموا على شيعة حلب وابادوا منهم اربعين الفاً اويزيدون، وانتهبت اموالهم واخرج الباقون منهم من ديارهم الى « نبل » و« النغاولة » و« ام العمد » و « الدلبوز » و « الفوعة » وغيرها من القرى، و اختبأ التشيع في اطراف حلب في هذه القرى والبلدان، ولم يبق في حلب شيعي ابداً ،ويقال : إن لبني زهرة اليوم ذرية في الفوعة ولكن لا يعرفون ببني زهرة،ويوجد اليوم في حلب قليل من الشيعة سكنوها بعد تلك الحادثة المؤلمة ، وهذه احدى الوقائع الممضة التي شاهدها الشيعة من اجل ولائهم لاهل البيت وتمسكهم بعرى مذهبهم .

وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر بسبب هذه الفتوى جبال عاملة عام ١٠٤٨ فانتهك الحرمات واستباح المحرمات يوم وقعة قرية « انصار » فلا تسل عما اراق من دماء ، واستباب من اموال،وانتهك من حريم ، فقد قتل الفاً وخمسماءة ، واسر الفاً واربعماءة ، فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف ببيروت (١)

فيا لله من هذه الجرأة الكبرى على النفوس والاعراض ؛ ومن تلك الفتيا التي غررت باولئك على تلك الفظائـع والجرائم ، فالله الخصم والحكم .

---

(١) انظر الفصول المهمة الطبعة الثانية ص ١٤٠ ، ومجلة العرفان ج ٢ ع ٦ ص ٢٨٦ من مقال للعلامــة البحاثة الشيخ احمد رضا عنوانه المتاولة او الشيعة فى جبل عامل .

جبل عامل

كان بدء التشيع في جبل عامل بفضل دعوة المجاهد في الله ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ثم اخذ يسير وينتشر في الجبل شأنه في كل بلد ركز لواءه فيه ، اذا لم تحجز دونه الحوائل ، وحينما كثر الشيعة فيه وانفسح المجال لهم في طلب العلم أخذوا يجدون في تحصيل علم أهل البيت عليهم السلام حتى بالهجرة الى ايران والعراق ، فتخرج منهم علماء استفاد الشيعة بمؤلفاتهم الى اليوم ، وطبقوا البلاد شهرة وصيتا ، منهم الشهيد الاول « محمد بن مكي » (١) صاحب اللمعة الدمشقية ، والذكرى ، والدروس ، والبيان ، والقواعد ، وغيرها ، ومنهم الشهيد الثاني « زين الدين بن علي الجبعي » (٢) صاحب

---

(١) قتل ٩ جمادى الاولى عام ٧٨٥ ، قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم احرق بدمشق فى دولة بيدر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعدما حبس سنة كاملة في قلعة الشام وفي الحبس الف اللمعة الدمشقية في سبعة ايام ولم يكن يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع للمحقق الحلي طاب ثراه .

(٢) ولد فى ١٣ شوال عام ٩١١ وقتل عام ٩٦٦ ، وسبب قتله انه ترافع اليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر فغضب المحكوم عليه وسعى به عند قاضي صيدا فرفع امره الى السلطان فى القسطنطينية ، فطلبه ليناظر علماء –

الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، وصاحب المسالك ، وشرح القواعد ، وآداب المفيـد ، وغيرها ، ومنهم الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين (١) صاحب المعالم في الفقه واصوله ، ومعالم الاصول حتى اليوم يقرأها تدريساً طلاب العلم الجعفري ، ومنهم المحقق الثاني الشيخ علي الكركي (٢) صاحب شرح القواعد وشرح الشرائع وغيرهما ، وكان ذا مقام رفيع ، وشأن خطير عند الملوك الصفوية في ايران ، ومنهم الشيخ محمد الحر صاحب وسائل الشيعة الذي جمع فيـه حديث اهل البيت في ابواب الفقه كافة جمعها من الكتب المعتبرة عند الشيعة ، كالكتب الاربعة لمؤلفيها المحاميد الثلاث ، محمد بن يعقوب الكليني ، ومحمد بن علي الصدوق ، ومحمد بن الحسن الطوسي ، ومن كتب اخرى كثيرة جليلة ، ومنهم الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين

- اهل السنة فيطلع على مذهبه ، فسار مع الرسول فقتله الرسول في الطريق في مكان من ساحل البحر وكان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة انواراً تنزل من السماء وتصعد ، فدفنوه هناك وبنوا عليه قبة ، واما الرسول فحمل رأسه الى السلطان فانكر عليه فعله وقال : انما امرتك ان تأتيني به حيا ، ثم سعى السيد العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان .

(١) ولد عام ٩٥٩ ، ومات عام ١٠١١

(٢) توفي عام ٩٣٧ وقد زاد عمره على السبعين عاما ، وكان عضداً للشاه اسماعيل الاول الصفوي في خدمة مذهب آل محمد [ص] وترويجه .

المعروف بالشيخ البهائي (١) صاحب المؤلفات العديدة في جميع فنون العلم ، كالخلاصة في علم الحساب ، وتشريح الافلاك في علم الهيئة ، والزبدة في اصول الفقه ، والصمدية في علم النحو . وله في الفقه ، مؤلفات كثيرة ، وفي الرجال مؤلفات وجيزة ، الى غير ذلك من المؤلفات الجليلة كالكشكول ، وهو صاحب الرحلات والسياحة في البلدان ، واستقر آخر ايامه في ايران ، الى ان قبض رحمة الله عليه ودفن في خراسان ، وعلى قبره اليوم بناء مشيد قلما يكون مثله لقبور الاولياء والعلماء ، وفي غرفة القبر وضعت مؤلفاته بوضع خاص ، والى جانب القبر مكتبة عامة باسمه ، الى غير هؤلاء من اجلة العلماء ، وجهابذة رجال الفضيلة (٢)

وكانت الشيعة في جبال عاملة بعضاً من سوريا في كل ما تراه البلاد من الضراء والسراء ، حتى اذا لحقت جبال عاملة بحكومة جبل لبنان في زمن الامير فخر الدين المعني عام ١٠٢١ ، وكانت قبل ذلك قطعة مستقلة في ايالة صيدا ، اقطع الامير المذكور مراكز

(١) ولد في بعلبك عام ٩٥٢ وتوفي عام ١٠٣٥ ، وكان من اعضاد الشاه عباس الاول الصفوي في ترويج مذهب اهل البيت عليهم السلام ، وتلك عصور كانت الملوك فيها تهتم بخدمة الدين وحامليه ورجاله .

(٢) لو القيت نظرة واحدة على كتاب [امل الآمل في علماء جبل عامل] لعرفت كثرتهم ووفرتهم .

حكومتها رجاله ، ففقدت بذلك استقلالها ، وقصرت من التغلب على حاكميها ، ولكن عبث الحاكمين واستدرار منافع البلاد بكل وسيلة ولو بخراب الديار حمل العامليين على الخروج عن ربقة الضيم وحبائل الذل ، فان قرية « الكوثر » في مقاطعة « الشومر » من جبل عامل قاومت الامير فخر الدين المعني ، وكانت القرية محلا لآل الصغير من زعماء الشيعة ، فتغلب الامير عليها وترك عسكره يعيث فيها ثلاثة ايام بعد ان قتل المقاتلة وسبى الذرية .

وكان عامله على قلعة « الشقيف » حسين الطويل ، واليه يرجع عمل « الشومر » و « التفاح » فتنازع مع عامله الآخر حسين اليازجي على قلعة « بانياس » و « ليه » شرقي بلاد بشارة ، فارسل اليازجي عسكره مغيراً على قرى حسين الطويل واهلها شيعة ، وارسل الطويل عسكره مغيراً على قرى اليازجي حيث هاجم قرية « عيناثا » واهلها شيعة ايضاً ، لكنه ارتد عنها بخسارة بعض رجاله ، وهكذا كانوا يتنازعون والشيعة عرضة لثاراتهم وطعمة لجشعهم .

ودخل الامير ملحم الى قرية « انصار » من مقاطعة « الشومر » عام ١٠٤٨ وقتل وسبى ونهب وسلب ، وارتكب الاعمال القاسية التي يقاومها الدين ، وتأباها المروة ، ويمقتها الوجدان.

فكانت هذه النكبات الممضة وهاتيك الطوارىء العدائية المادية ، التي حلت بجبال عاملة ، سبباً لاستفزاز هممهم وايجاد روح الوحدة والتناصر ، والاستبسال والتضحية لاخذ الاستقلال ، وساعدهم

على هذه البسالة والتحمس ما طرأ على الحكومة المعنية من الوهن زمن الامير احمد ، فاسلموا استقلالهم عن لبنان ، وخرجوا عن طاعة امرائها ، فنزام الامير احمد عام ١٠٧٧ في « النبطية » وهي مقر حكامها الصعبيين ، فارتد عسكره على الاعقاب بعد حرب شعواء ، فاستثار والي « صيدا » عليها ، فاتاها هذا في العام الثاني غازيا ، فكانت هزيمته غنيمة ، ولحقه العامليون الى عين المزراب قرب صيدا.

ثم استمرت بعد هذا بين مشائخ الشيعة وامراء لبنان نيران الوقائع . فكانت بينهما سجالا . وهذه النيران اضرمت في قلوب بني عاملة شعلة النجـــدة والتكاتف ، حتى بلغت اقصى درجات الشهرة في شدة البأس وقوة الشكيمة في ذلك العصر ، عصر الثارات والحروب .

ووقعت بينهم و بين امير (صفد) و (عكا) ظاهر العمر حوادث انجلت عن التحالف على اساس ثابت بين ظاهر العمر وناصيف النصار ، وجرى في عكا ثامن رجب عام ١٠٨١ فكان بعد ذلك لظاهر من هذه المحالفة عون فى امتداد سلطانه الى ماوراء صيدا ، ولناصيف منه عون فى وقائعه مع اللبنانيين .

وكان الامراء الحرافشة فى بعلبك قبل هـذه المحالفة نعم العون لبني عاملة غير ان البعد بين البلدين يحجز عن المساعدة الكافية .

وإن أهم الوقائع التي مد فيها ظاهر العمر يد المساعدة لبني عاملة

هي الواقعة المعروفة بواقعة « كفرمان » أو واقعة النبطية عام ١٠٨٥ حيث ساق الامير يوسف الشهابي الجيوش الجرارة عازما على اكتساح بلاد الشيعة ، فكان عسكره على رواية الامير حيدر عشرين الفا ، وعلى رواية الشيخ علي رضا في مخطوطاته ثلاثين الفا ، وبعد ان نهب قرية جباع الحلاوة حل في « كفرمان » وناوشه القتال من عسكر الشيعة المخيم في « النبطية » خمسماية فارس ، بقيادة الشيخ علي الصعبي ، فانتصروا على ذلك الجيش الكثيف ، قبل ان يرجع الصريخ من صفد بعسكر ظاهر العمر ، وقبل ان يهيج بقية العسكر الذي في النبطية ، وانهزم اللبنانيون لا يلوون على شيء ، وقد روى الامير حيدر ان لبنان لبست السواد لهذه الحادثة فكانت النساء كالغربان ، وفي هذه الحادثة يقول الشيخ علي رضا ان الشيخ ناصيف ادرك الامير يوسف بالقرب من قرية (جرجوع) فالبسه الفرو مقلوبا ، وهو اشبه بجز الناصية عند العرب (١) .

---

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على ما نشره العلامة البحاثة الشيخ احمد رضا في العرفان ج ٢ ع ٦ ص ٢٨٦ فنقلناه بايجاز وتغيير يسيرين ، بل اعتمدنا عليه في اكثر هذا العنوان « جبل عامل » بل ربما ننقل احيانا كلامه بنصه . وان للعلامة المبرور اللغوي والشاعر الكبير الشيخ علي السبيتي مقالا نشر في العرفان بعنوان « جبل عامل في قرنين » ذكر فيه عدة حوادث شاهدها اهل الجبل ، ويشير اليها على نحو الايجاز ؛ ومنها بعض هذه الحوادث .

ولم تمض هذه الهيلات التي كانت فيها جبال عاملة ذات الحول والطول حتى استقل في (عكا) احمد باشا الجزار ، فبدأ باخضاع الشيعة ، فكانت له معهم وقائع آخرها واقعة (يارون) حيث ساق الجزار عسكره على بلاد (بشارة) (١) فجاءه في خامس شوال عام ١١٩٥ ، فاسرع اليه ناصيف بعسكره والتقيا في قرية (يارون) من جبل عامل قريبة من (صفد) فكانت النصرة لعسكر الجزار ، وزلت بناصيف فرسه ، فابتدره احد الجنود بطلقة اصاب منه مقتلا ، وتفرق العسكر ، وتشتت امره ، وجاس الجزار خلال الديار ،

(١) تنقسم بلاد بشارة الى قسمين، بشارة الشمالية ، ونهايتها في الشمال نهر الاولى شمالي صيدا ، ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني ، الذي يصب في البحر المتوسط شمالي صور ، وبشارة الجنوبية ، ونهايتها في الجنوب نهر القرن الجاري شمال طرشيحا ، وجنوبي قرية الزيت ، وهي التي اشتهرت اكثر من اختها الشمالية بهذا الاسم ، وكانت بلاد بشارة عموما تقسم الى ثمان مقاطعات، اربع في بشارة الجنوبية ، وهي تبنين ، وهونين ، وقانا ، ومعركة ، وكان حكامها من آل الصغير ، وقبلهم بنو شكر ، ويتألف منهم قضاء صور وقضاء مرجعيون ، وثلاث في بشارة الشمالية ، وهي الشقيف ، والشوم ، والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع ، وحكام الاولى منهن آل صعب وحكام الاخيرتين آل منكر ، ويتألف من الثلاث قضاء صيدا ، والثامنة مقاطعة جزين ، وكان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين ، العرفان ج ٢ ع ٥ ص ٢٤٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا .

وصاح بها نهباً وسلباً وقتلا ، ولم يمهلوهم ليجمعوا شتيتهم ، ويملكوا امرهم ، فاستولى الرعب على البلاد ، ثم هدمت القلاع وحوصرت قلعة (شقيف ارنون) شهرين ، ثم فتحت وهدمت ، وهربت مشائخ البلاد الى الشام والعراق ، ثم لجأ منهم جماعة الى (عكا) فستأمن الجزار بعضهم ، حتى اذا وثقوا بامانه غدر بهم ، فكانوا في سجنه وعذابه الى ان ماتوا ، ثم وزع عماله على البلاد ، وكانت البقية الباقية من مشائخ البلاد تتحفز بقوتها الضعيفة لصد قوة الجزار الهائلة ، حتى اذا خرج حمزة بن محمد النصار على متسلم (تبنين) وقتله ارسل اليه الجزار سرية عسكرية وافقته في قرية (شحور) عام ١١٩٨ فتشتت شمل الشيخ حمزة وقبض عليه وقتله اشرها قتلة .

ولما دخل الجيش الفرنسوي تحت قيادة (نابليون بونابرت) بلاد الشام وجد الشيعة والصفديون بسببه الراحة ، وتخلصوا من ظلم الجزار وعتوه ، ولما انجلى الفرنسيون واطمأن الجزار في ولايته اشتد على بلاد بشارة وساحل صفد ، ولم يسمع بكبير أو ذي جاه إلا أخذه أخذ عزيز مقتدر ، واستصفى امواله ، وتركه لرحمة زبانية عذابه في سجنه ، ودامت الحال من عام ١٢٠٩ الى عام ١٢١٩ عشر سنين ، هلك فيها الحرث والنسل (١)

(١) العرفان ج ٢ ع ٧ ص ٣٣٠ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا ، وفيها ذكر بقية الاحداث فراجع .

ويضغط على العلماء وتعقبهم قتلا وسجنا وتعذيبا ، وكشتت من بقي منهم في اقطار الأرض، واستصفى آثارهم العلمية، وكان لافران عكا من كتب جبل عامل ما اشغلها بالوقود اسبوعا كاملا ، وكانت هذه الضربة الكبرى على العلم واهله وخلت جبال عاملة من رجال العلم . بعد ان كانت زاهرة الربوع بالعلماء وارباب الفضل والتأليف.

وممن فر من العلماء من ظلم الجزار ، "العالم الكبير والشاعر المبدع الشيخ ابراهيم يحيي . قطن دمشق الشام . ولي بها الشيخ علي الحانوني الطبيب الفقيه . والعالم بعدة علوم، هاجر في طلبها الى ايران . وقد صودرت امواله وضبطت أملاكه. وحبس مرتين ولم تقبل منه فدية . ثم اخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون . وكان الشيخ المذكور ولي امرها وكانت تحتوي على خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة . فامست في عكا طعمة النار .

وممن فر من ظلم الجزار السيد ابو الحسن ابن السيد حيدر الامين، والشيخ حسن سليمان ، والشيخ محمد الحر ، وقد اعتصم بآل حرفوش امراء بعلبك ، فكان فيهم آمنا مطمئنا حتى اتاه البشير بهلاك الجزار وبمولود جديد له في وقت واحد ، فسمى المولود سعيداً ، ثم رجع الى بلده جبع وهو مخلى السرب ، الى غير هؤلاء ممن شملهم ظلم الجزار .

ولم يفق العامليون من هذه الدهشة العظمى إلا بهلاك الجزار ، وبعد ذلك جرت عدة حوادث لم تكن لها تلك الاهمية .

ثم تولى بعدئذ الزعامة (حمد البيك) بن محمد بن محمود بن نصار ابن اخي ناصيف النصار ، ولقبته الحكومة بشيخ مشايخ بلاد بشارة، وكان عالما شاعراً ، فآوى اليه العلماء والشعراء ، واخلدت البلاد الى السكينة وهدأت من الفتن والمنازعات ، وتفرغ كل لما يعنيه ، ولما توفي عام ١٢٦٩ قام من بعده ابن اخيه « علي بك » الاسعد الشهير، فكانت البلاد فى ايامه بأرغد عيش واهنأه . ولكن شبت فى آخرها نيران النزاع بينه وبين ابن عمه « ثامر بك » ادى الى اعتقاله واعتقال ابن عمه « محمد بك » الاسعد حتى توفيا معاً بالشام عام ١٢٨٢ (١)

ولما هدأت البلاد وعادت الامور لمجاريها واستولت تركيا على سوريا كدولة حاكمة تدير رحى الادارة في البلاد . بموظفين هي تعينهم . كما هو الشأن في الحكومات وشأنها في غيرها من البلاد، وكانت سياستها مع الشيعة في دمشق وحلب وجبال عاملة وبعلبك . كما هي في سواها من البلاد مقاومة مذهب اهل البيت بنشر الدعاة وبث الدعايات ومحاربة المنتمين لهذا المذهب . وهل كانت فاجعة حلب المؤسفة إلا في ايامهم . نعم لم تقهر بلاد سورية بالسيف على اعتناق مذهب الدولة كما صنعت في بعض البلاد الشيعية كشمال العراق .

فكانت هذه سيرة حكومة آل عثمان وتلك سجاياهم الى ان

---

(١) العرفان ج ٢ ع ٧ ص ٣٣٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا .

ازالتهم من سورية دول الحلفاء بمساعدة الشريف « الحسين بن علي » ملك الحرمين وانجاله العظام ، واقيم جلالة الملك فيصل الاول ملكا على دمشق وحلب ، والشريف عبدالله اميراً على « شرقي الاردن » (١) وارسلت الدول لجنة امريكية لاكتشاف رغبات الشعوب وجاءت الى سورية . اظهر العامليون على لسان ممثليهم وفي طليعتهم حجة الاسلام السيد عبد الحسين شرف الدين (٢) رغبتهم في تشكيل حكومة عربية مستقلة ملكها « فيصل » غير ان الحكومة الفرنسية لم تعر هذه الرغبة اذنا صاغية ، فحدا العامليين هذا التصامم على المطالبة سلميا بحقوقهم ، فقابلهم المستعمرون بالشدة فسبب ذلك التهاب نيران الثورة في طول عاملة وعرضها ، وكان زعيم هذه الثورة حضرة السيد عبد الحسين وزعيم العامليين (كامل بك الاسعد) فقاومتها الحكومة المستعمرة بشتى الاساليب ، من تخذيل البعض ، واستمالة الآخر ، والفتك الذريع فيما تفتحه من البلاد ، فضعفت اقوى القومية ، وصارت تندحر امام جنود الاستعمار ، وفي تلك الحال تمززت القوى الفرنسية بالعـدة والعدد وافتها الى بلاد الثورة ، فدخلت بلاد صور واستولت على دار السيد المشار اليه ، وكان قد انتقل عنها الى « شحور » فانتهبتها واتلفت مكتبته الثمينة نهبا وحرقا ، وكان فيها ما يناهز العشرين

---

(١) اما اليوم فقد نودي به ملكا على شرقي الاردن .

(٢) يقضي وقته الثمين كله بالدفاع عن الحق ، امد الله في حياته ، ولا زال مع شيخوخته مكباً على التأليف والاصلاح ، فهو مجموعة فضائل ، وخصاله الجميلة لا يبلغها الوصف .

مؤلفاته ، كما ذكر ذلك هو في تعليقته على ص ٣٨ من (كلمة الغراء)
وقد اشار سلمه الله تعالى الى تلك الثورة وهاتيك النكبة التي اصابته
فيها ، وذكر مصنفاته التي تلفت واسماءها - فلا حرمه الله من أجر
الاستفادة بها - .

فقضت تلك السلطة الفرنسية على هاتيك الثورة قضاءاً نهائيا ،
وزحفت على جميع البلاد المحاربة واحتلتها ، فاضطر السيد الى الفرار
الى دمشق ، وبعد سقوطها بيد القوة الفرنسية غادرها الى مصر ، ولم
يسمح له المستعمرون بالعودة الى بلاده إلا بعد سنتين ، وكانت تلك
الثورة في عام الثورة العراقية على الانكليز وهو عام ١٣٣٨هـ و١٩٢٠م

وبعد ان احتلت الحكومة الفرنسية جبال عاملة وسكنت الحال
وهدأت البلاد ضموا الجبل الى لبنان فسمي (لبنان الكبير) وقاعدته
بيروت ، واخذ شيعة الجبل وبعلبك حقوقهم من الوزارة والمجلس
النيابي ، كما صار لهم في كل بلد شيعي قاض ومفتي ، وفي قاعدة بيروت
مجلس تمييز شرعي مؤلف من رئيس وعضوين ، فالتشيع اليوم في
لبنان الكبير سائر بكل نظام وهدوء محفوظ الحقوق مرعي الجانب(١)

(١) اما اليوم بعد ان خرجت فرنسا من البلاد ، فالحال
على ما كانت عليه قبل من اشتراك الشيعة في مجلسي الوزارة
والنيابة ، كما انهم مشتركون في ادارة البلاد ووظائفها داخلا
وخارجا ، وقد اجتمعت في عام توفيقي للحج وهو عام ١٣٦٥
بالقائم بالمفوضية اللبنانية في جده وهو شاب شيعي من بيت الزعامة
الشيعية في الجبل وهو اسعد سهيل الاسعد فوجدته مثالا للاخلاق
وكرم الطبع .

هي اليوم وسائر قراها وضواحيها تعد من البلاد الشيعية ، الشهيرة بالتشيع ، وشيعتها تناهز الشيعة في جبال عاملة كثرة أو تزيد عليها ، غير انها لا تضاهيها في المعارف الدينيـــة ، فانه لا يزال في النجف الاشرف من العامليين المهاجرين لطلب علوم الدين ما يناهز الثمانين طالبا (١) ولا يوجد من البلاد البعلبكية اكثر من الاثنين والثلاثة ، ولا يخلو هناك بلد من عاملة من العالم والاثنين والاكثر ، بل وفي القرى الصغيرة التي لا تتجاوز نفوسها المائتين نسمة ، ولكن البلاد البعلبكية لا يوجد ارباب العلم المرشدون إلا في قراها الكبيرة ، على انها حتى اليوم قد خرجت كثيراً من العلماء والادباء ، وبعضهم من الامراء الحرفوشيين ، ولكنها لا تجاري البلاد العاملية ، فانهـــا انتجت من العلماء والادباء قديما وحديثا ما لا يقع عليه الحصر ، وقد الف في المتقدمين الشيخ محمد الحر كتابا سماه « امل الآمل في علماء جبل عامل » طبع في ايران جمع فيه من العلماء الجم الغفير ، واشار الى كثير من الشعراء ، وقال في كثرة علماء الجبل : « وقد سمعت من بعض مشايخنا انه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر الشهيد الثاني وما قاربه »

هذا ما كان منهم الى زمانه واما ما بعد عهده والى اليوم فقد

(١) ذلك في عهد التأليف اما اليوم فهم دون هذا العدد بكثير.

انجبت افاضل وعلماء يعسر استقصاؤهم (١) ويوجد فيهم اليوم مراجع في التقليد من اهل الجبل ، وفيهم من له الميزة في الدفاع عن كيان مذهب آل محمد صلى الله عليه وآله في مؤلفاته القيمة ومايذشره في الصحف ، واما شعراؤهم فقد نشرت مجلة « العرفان » الغراء من تراجمهم وشعرهم الشيء الكثير .

وان بلاد بعلبك من البلدان التي فتحها المسلمون عام ١٤ ﻫ يوم فتحوا سوريا، وقد خلت في عهد بني امية ، ونهبها تيمور عام ٨٠٣ (٢) ولعل التشيع دخلها من يوم فتحها ، فان في الجند الكثير ممن يتولى علياً واهل البيت عليهم السلام ، ومنهم قوم من خزاعة ، وخزاعة حلف بني هاشم في الجاهلية ، وشيعة علي وبنيه في الاسلام (٣) وقيل كان في الجند دعبل الخزاعي (٤) وقيل حرفوش الخزاعي (٥)

(١) كتب مستدركا لأمل الآمل حجة الاسلام السيد حسن الصدر طاب ثراه ، وقد ذكر فيه الكثير منهم ، وما يزال مخطوطاً لم تبرزه المطابع كاكثر مؤلفاته .

(٢) معجم العمران « ٢ : ٣٦ »

(٣) ومنهم في العراق اليوم فى الفرات الاوسط خلق كثير ، وكانت لهم امارة واسعة فى القرن الماضي ، ولهم اليوم زعامة كبرى ، ومنهم فى اطراف خراسان جمع كبير والجميع شيعة .

(٤) لعله غير دعبل الشاعر المعروف لأن دعبل لم يدرك ذلك العهد .

(٥) ولعل الامراء الحرفوشيين في بعلبك ينتسبون الى حرفوش هذا .

وكان حامل الراية ، فشهدوا فتوح الشام ، واستقروا مدة في غوطتها، وانتقلوا الى بعلبك ، وكان منهم نصر الخزاعي فيها حين مرور سبايا اهل البيت من العراق الى الشام (١)

واذا لم يتحقق دخول التشيع فيها ذلك اليوم ، فلا ريب في دخوله بعد ذلك بقليل ، وهو يوم نفي ابو ذر الى الشام وصار يدعو الى التمسك بالثقلين الكتاب والعترة ، واخرج الى قراها وضواحيها ؛ فلم يثنه ذلك عن المتاف بتلك الدعوة ، ومن يوم صدوحه بولاء آل الرسول (ص) اجابه كثير من السوريين ، ومنهم بنو عاملة .

واما انتشار التشيع في سوريا واستيلاؤه على جبال عاملة وبلاد بعلبك يوم تربع على دست الامارة في سوريا بنو حمدان ، وفي مصر وافريقيا الفاطميون ، ومن تلك الايام ـ وهو القرن الرابع ـ رسخ أساسه في تلك البلاد ، ولم تنسفه معاول الايوبي التي هاجم فيها التشيع ، وقلع علاليه في مصر ، وكثيراً من حصونه في حلب وبلاد الشمال من العراق ولم ينقض عليه عدوان السلطان سليم العثماني يوم تولى عليها عام ٩٢٢ (٢) الذي كان محاربا للشيعة اينما كانوا واينما امتد اليه سلطانه ، ولأجل ذلك قد قتل جان بردي الغزالي النائب

---

(١) العرفان ج ٩ ع ٤ ص ٢٩١ من مقال الكاتب البحاثة اسكندر معلوف .

(٢) المنجم .

من قبل ملوك آل عثمان ناصر الدين بن الحنش شيخ الاعراب والبقاع ، وكان قد تحايل عليه ، وقتل شخصاً آخر من مشايخ العربان يقال له ابن حرفوش وحز رأسيهما وارسلهما الى ابن عثمان بحلب(١) إلا ان مثل ذلك لم يقلع منار التشيع من بعلبك .

ولقد نصر التشيع بل رفع كعبه في بعلبك الامراء الحرفوشيون (٢) وهم من اعظم امراء الشيعة في سوريا ، وكانوا

(١) عن مقال ـ معلوف ـ نقلا عن تأريخ مصر لابن اياس « ٣ : ١٦٢ » من طبعة مصر عام ١٣١٢ هـ ومن ذلك تعرف ان للحرفوشيين امارة من ذلك اليوم .

(٢) وهل نسبتهم الى حرفوش الخزاعي الذي قيل انه كان في جيش المسلمين الفاتح لسوريا أو ان احد اسلافهم اشتهر في بعلبك بحرفش أو حرفوش فنسبوا اليه كما زعمه اسكندر نقلا عن بعض معمريهم ، وعلى اي حال فهم من خزاعة وهم يتعارفون مع خزاعة العراق « الخزاعل » وفر بعضهم اليهم في بعض الحوادث التي هجروا فيها بلادهم . ومنهم الامير جهجاه بن الامير مصطفى ؛ فقد سار لفتنة في قومه على الحكم وعاد لقتال الوالي حاكم بعلبك ، ومن شعره الزجلي الذي ارسله الى اخيه الامير سلطان ، ومنه يعلم أنهم من خزاعة .

مقالات الخزاعي في بيوت ويجمعن بها من كان واعي

وذكر منها اسكندر عدة ابيات ، وقال : وهي طويلة ، فاجابه اخوه سلطان بقوله من قصيدة طويلة :

قال الخزاعي الذي بات ساهر ولي قلب قوى من صفا الجلمود

وذكر منها عدة ابيات ايضاً .

أهل القوة والسطوة فيها ، وكانت شيعةَ جبل عامل يستمدون منهم في وقائعهم كما سلف .

قال اسكندر معلوف « العرفان ج ٩ ع ٤ ص ٢٩١ » : واول من ذكر في التواريخ التي بايدينا هو الامير علاء الدين الحرفوشي ، الذي نال امرة الطبلخانة من الرتب العسكرية العليا في ايام ملوك الشراكسة نحو عام ٧٩٢ هـ ، وكان قائداً لعشران البقاع في موقعة منطاش المشهورة فقتله منطاش ، وكان قد قتل قبله اباه واخاه ولم نعلم اسميهما .

وكان قد نال قبله في عصره هذه الامارة من الوطنيين البعلبكيين علاء الدين بن معبد ، وابن حميد ، ولم نجد للامراء ذكراً إلا بعد الفتوح العثماني بنحو ثلاثة ارباع القرن ، والظاهر ان السلطان سليما العثماني لم يؤمر الحرافشة على بعلبك لمناهضته الشيعة .

وقال : وبدء حكم الحرافشة الذي ذكره المؤرخون كان عام ١٠٠١ هـ واول حاكم منهم في بعلبك الامير علي بن موسى الحرفوشي ، ومنه تسلسل الامراء الى اليوم ، والمشهور أن الحكومة العثمانية قرضت هذه الاسرة ، فبقي منهم اربع نساء فقط احداهن كانت حاملا فاختفت في قرية « الخريبة » قرب بعلبك ، فوضعت غلاما سمته اسماعيل ، فمن هذا الامير تسلسل عشرة ذكور ، كانوا رؤس الاسرة ، وذلك في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة ، وبقيتهم

الآن في قرى بعلبك ، مثل « سرعين » و « شمث » و « بودية » و « النبي رشاده » ولهم بقايا في الاستانة بعد نفيهم اليها وفي القطر المصري ، وكان بايديهم لوح نحاسي في انسابهم ، أخذه منهم ابراهيم باشا المصري كما يقال :

وقال : وبدء حكم الحرافشة في بلاد بعلبك تاريخيا عام ١٠٠١هـ وانتهى فيها في عام ١٢٨٢ ، فتكون مدة حكمهم بتقطع احيانا نحواً من قرنين وثلاثة ارباع القرن ، واستعمروا بعض القرى ، واتصلوا بالبقاع أيضاً فعمرت بهم البقاع البعلبكية ، مثل مدينة بعلبك ، وقرى « سرعين » و « رأس بعلبك » و « اللبوة » و « الهرمل » والقرى البقاعية مثل « كرك نوح » و « قب الياس » و « مشغرة » فحضروا بعض القبائل البدوية من عرب واكراد ، مثل بني حميدة الاكراد وغيرهم ، واتصلت بهم اسر اخرى من الشيعيين من جبل عامل ولبنان في ايام ضيقهم فاحسنوا وفادتهم .

وقال : واذابوا كل ثروتهم الواسعة بمظاهرهم وحبهم للجاه والعظمة ، وكرمهم الطبيعي ، بشأن السلائل العربية الاصل ، فكانوا اشبه بملوك مستقلين في امارتهم ، ولهم عادات في تحصيل المال المكسور ، واخذ الحق من القوي للضعيف ، ومن الظالم للمظلوم ، ومقر أمارتهم الرئيسي بعلبك .

وقال : وللحرافشة أياد جميلة في الابنية والترميمات والحصون

ونحوها، مثل تجديد الامير يونس الحرفوشي لمسجد النهر في بعلبك، وعليه تأريخ شعري لسنة ١٠٢٨ هـ وبناء قصر الامير عمر حاكم بعلبك سنة ١٠٧٧ هـ، وتشييد دار الامير اسماعيل في بعلبك عام ١١٤١ هـ.

واشتهروا بجمال الصورة والهيئة والتنافس بالجياد المطهمة والاسلحة الثمينة، وتروضوا بالفروسية والصيد، واشتهروا بالبسالة في الحروب مما هو مدون عنهم في بطون التأريخ.

وقد ضرب على ايديهم ابراهيم باشا في اواسط القرن الماضي الثالث عشر، وأوقفت تيار استبداداتهم الدولة العثمانية في الثلث الثالث من القرن المذكور، وتمكنت الدولة المصرية ايام حكمها في سوريا من نزع عقارات الامراء الحرفوشيين من أيديهم، وعينت لهم عوض ذلك رواتب، ثم تمكنت الدولة العثمانية من نفيهم الى الاستانة (١) وجزيرة كريد وغيرها، فنزعت الحكم من ايديهم، وصادرت عقاراتهم وقصورهم.

وقال: (٢) ونبغ من هذه الاسرة علماء وشعراء ومؤلفون، منهم الامير موسى بن الامير علي بن موسى الحرفوشي، ولي امارة بعلبك

(١) وقد جاء احدهم من الاستانة قبل سنتين الى النجف، أي سنتين قبل تأليف الكتاب، ومضى الى خزاعة الفرات «الخزاعل» ثم عاد.

(٢) العرفان ج ٩ ع ٥ ص ٣٩٠

بعد قتل ابيه ، وكان بطلا شجاعا جواداً مثل أسلافه ، وله وقائع في تاريخ الحرفوشيين ، وتوفي في دمشق عام ١٠١٦ هـ

ومنهم الامير محمد بن علي بن احمد الحرفوشي ، وقد ترجمه المحبي والبديعي وابن معصوم وغيرهم ، نشأ في دمشق ، وكان مولعاً بالعلم اديباً شاعراً لغويا نحويا ، يقصده كثير من الطلبة يقرأون عليه ، واخرج من دمشق فهرب الى حلب فالعجم ، فعظمه سلطانه الشاه عباس الصفوي ، واسند اليه رياسة العلماء في بلاده ، واشتهر بعلومه ومصنفاته ، وتوفي في بلاد ايران عام ١٠٥٩ هـ

ومنهم ولده الشيخ ابراهيم قرأ على أبيه وغيره ، وتوفي بطوس عام ١٠٨٠ هـ انتهى (١)

ولم يتضعضع التشيع في بعلبك لما تقلص ظل الامارة الحرفوشية منها ، وبقي فيها رصين البناء حتى اليوم ، وان اهل بعلبك ليهابهم السوريون لما يعهدونه فيهم من البسالة والشجاعة ، وهم كالعراقيين في كونهم قبائل وعشائر ، ولهم زعماء ورؤساء يوم كانوا يحملون السلاح وحتى اليوم ، وانا لنتفرس البسالة فيهم يوم يفدون الى العتبات المقدسة زائرين ، ولم تخل بعلبك اليوم من الرجال ذوي الشأن

(١) وقد ذكر هؤلاء الثلاثة الشيخ الحر في « أمل الآمل » كما ذكر السيد علي خان في السلافة محمد بن علي وذكر وفاته في في شهر ربيع الثاني من عام ١٠٥٩ ، وذكر له عدة مصنفات وشعراً رقيقا جزلا .

والشرف سوى زعماء القبائل امثال آل حيدر (١) وقـــد تخرج كثير منهم في العلوم الحديثة فمنهم الطبيب ومنهم الصحفي ، وغير ذلك ، وتولى منهم ابراهيم بك حيـــدر وزارة الزراعـة في احدى الوزارات اللبنانيـــة ، واما في الوقت الحاضر فمنهم صبحي بك حيدر مديراً للمعارف حيث لا وزارة في لبنان اليوم ، وان المدير هو القائم بوظيفة الوزير (٢) وكالسيد احمد الحسيني الجبلي الكسرواني الذي كان وزيراً للعدليه في احدى الوزارات اللبنانية

---

(١) وكان منهم في العراق رستم حيـدر جاء مع الملك فيصل وهو يعد من حاشيته ومستشاريه ، وكان رئيس ديوانه ، ثم وزيراً للمالية في الوزارة السعيدية الاولى، وللاقتصاد والمواصلات في الوزارة الكيلانية الاولى ، وفي الوزارة المدفعية الاولى ، وكان آخر أمره وزيراً للماليـة في الوزارة السعيدية الثالثة فاعتدى عليه موظف كان في الشرطة مفصولا قبل زمن ، وهو برتبة مفوض شرطة فاطلق عليه طلقات من مسدسة ، وبعد ايام فارق الحياة فكان لفقده رنة أسف وأسى في العراق ، ودفن في المقبرة الملوكية ، وكان ذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٣٥٨، وهو يعد من خير الرجال ذوي الكفاية والمقدرة والتدبير في كل وظيفة ووزارة يستلم زمامها بيده ، وشأنه في ذلك اشهر من ان يطرى ويعرف .

(٢) ذلك في عهد التأليف .

أيضاً (١) وغيرهم (٢)

ولم ينحصر التشيع في سوريا في البلاد التي جرى عليها الذكر ، بل يوجداليوم شيعة كثيرون في بيروت ولبنان الصغير وشرقي الاردن والقدس (٣) وغيرها نسأله تعالى لهم ولنا حسن التوفيق والسعادة .

---

(١) وما زال يتمتع بالحياة والصحة ويشغل الوزارة بعد الاخرى .

(٢) وما زال الشيعة مشتركين في وظائف الدولة في عهد الاستعمار الفرنسي وعهد استقلال لبنان اليوم ، وليس في لبنان استئثار في الوظائف ، بل تعطى لابنـــاء البلاد حسب النسبة والقدرة .

(٣) فقد الحقت قرى شيعيـــة من جبل عامل في القدس وما زال منهم طلاب علم في النجف .

الشيعة في مصر

لا بدع لو نقول : إن التشيع دخل مصر في اليوم الذي دخل فيه الاسلام ، لا سيما وقد ذكر المقريزي في خطط مصر (٢:٧٤-٧٥) ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شهدوا فتح مصر ، وعد منهم المقداد بن الاسود الكندي وابا ذر الغفاري ، وابا رافع مولى رسول الله « ص » وابا ايوب الانصاري ، وذكر ان عمار بن ياسر جاءها ايام عثمان ، وهؤلاء من عرفت مجاهرتهم بولاء المرتضى عليه السلام وبالدعوة له فكانت تلك الروح تنمو يوما بعد آخر ، حتى اذا اجمعت البلاد على عثمان ، وكان ممن جهز عليه أهل مصر ، ولما ولي الامر امير المؤمنين عليه السلام بايعوه بكل رغبة ، ولم يكن إلا النزر من أهلها على غير رأيه .

ومن الدلائل على شيوع التشيع لعلي عليه السلام في مصر قبل ولايته عليها ما ذكره المقريزي « ٤ : ١٤٩ » وقال : وبعث قيس بن سعد الانصاري على مصر فدخلها مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين، ومصر يومئذ من جيش علي إلا أهل خربتا الخارجين ، وما ذكره

ابن الاثير « ٣ : ٦١ » قال في بيان الاقوام الذين جاءوا لمقاومة عثمان من أهل الكوفة والبصرة ومصر : وجاءهم - أي جاء الى أهل الكوفة والبصرة النازلين بالقرب من المدينة - ناس من أهل مصر وكان هواهم في علي ، وقال « ٣ : ١٠٦ » في حوادث عام ٣٦ بعد خطبة قيس وامر الناس بالبيعة لامير المؤمنين : فقام الناس فبايعوه واستقامت مصر وبعث عليها عماله إلا قرية منها يقال لها خربتا ، الى غير ذلك من الشواهد .

فكانت تولية قيس على مصر ثم محمد بن ابي بكر وهما من علمت بولائهما لابي الحسن واهل البيت وجهادهما دونهم أحد الدعائم لارتكاز التشيع في مصر ، فخفقت لهذا وذاك بنود التشيع فيها ، وكثرت جنوده ، ولكن ما اسرع ما دالت الايام عليه ، حيث وافى مصر عمرو بن العاص - الذي كانت مصر امنيته الوحيدة ، ومن اجلها ساوم معاوية بالاغلى منها ثمنا - ففتح مصر بعد حرب طاحنة ، وقبضوا على محمد وقتلوه ، ولم يشف احقادهم ما ارتكبوه منه حتى جعلوه في جيفة حمار واحرقوه بالنار (١)

وانت على خبر بما كان عليه معاوية وابن العاص من عداء المرتضى وحربه ، وهل يتظاهر الناس بالولاء لامير المؤمنين عليه السلام وعمرو على مصر .

---

(١) الخطط « ٤ : ١٥١ » وابن الاثير وغيرهما .

نعم مع تلك المجاهرة بعداء ابي الحسن ، وهاتيك الحرب العاتية كان التشيع باقياً في مصر ، بل استمر طيلة ملك معاوية وهو رصين الاساس ، يقول المقريزي « ٤ : ١٥١ » فلما قتل علي عليه السلام واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها واهل شوكتها عثمانية ، وكثير من اهلها علوية .

ولكن لما تعاقب بنو امية على ملك مصر تغلب فيها انصارهم واهل هوائهم ، فصاروا يتظاهرون بسب امير المؤمنين عليه السلام ، وكان بدء ذلك ايام مروان ، يقول المقريزي (٤ : ١٥٢) بعد ما ذكر استيلاء مروان بن الحكم على مصر : ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي سلام الله عليه وانكفت ألسنة العلوية والخوارج .

فكيف لا ينزوي التشيع في البيوت والملوك ورجالهم تطارده وتحاربه ، فما زال امير المؤمنين عليه السلام يسب على الاعواد في مصر من ولاة الامويين واشياعهم مادامت اعلامهم خافقة في مصر ، بل وبعدها بامد بعيد في بعض كورها ـ إلا ما كان من ايام ابن عبد العزيز ـ شأن الامويين في كل بلاد لهم عليه سلطان ، فكان التشيع لعلي وبنيه عليهم السلام رهن القلوب ، وبين حنايا الضلوع ، يقول المقريزي « ٤ : ١٥٢ » فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية ببني العباس سنة ١٣٣ خمدت جمرة اصحاب المذهب المرواني وهم

الذين كانوا يسبون علي بن ابي طالب ويبرأون منه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ، ويخشون ان يطلع عليهم أحد ، إلا طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم اقاموا على مذهب المروانية دهراً حتى فنوا ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة .

الشيعة والعباسيون بمصر

لما قوضت اعلام دولة بني مروان ، ونبغت دولة بني العباس ، تطالعت الشيعة من الزوايا واظهروا ما انطوت عليه القلوب ، زعماً منهم ان بني العباس على رأيهم في الولاء لعلي وبنيه ، والذي جعلهم يحسبون ذلك في بني العباس الرحم الوشيجة بينهم وبين آل ابي طالب . وما اظهروه بدء الدعوة ومطاردة بني امية من الشعار طلبا بدم الحسين عليه السلام والانتصار لبني علي عليهم السلام واخذاً بثاراتهم من بني امية . فما نهضت دولة بني العباس إلا وجل انصارها وقوادها واهل طاعتها من العلويين رأيا ومذهبا . ولكن ما استتب للعباسية أمر الملك إلا وقلبوا لبني علي وشيعتهم ظهر المجن . فكانوا عليهم اشد من الامويين عداءاً وظلما . وقتلا وصلبا ، وتعذيبا وحبسا ، وتشريداً ونفيا . الى ما سوى ذلك من ضروب الجور والاضطهاد .

وقد اغتر الشيعة ببني العباس في اول وهلة حين اظهروا الطلب بدماء اهل البيت ولم يعلموا انهم يسرون حسواً فى ارتغاء . وليست

هذه باول مرة يغتر الشيعة بمن يظهر لهم الولاء . ويخطب منهم الود . حتى اذا عبروا بهم الى مآربهم . وصفت لهم مجاري المياه ، وقبضوا على اعنـة الحـكم . شنوا عليهم الغارة . واوردوهم مناهل العطب . بدلا من ان يقدروا لهم الايادي البيض . وحسن الصنيع . ولا ادري أ كان ذلك لسلامة فى ضمائر الشيعة . وصفاء في القلوب . أم لسذاجة فيهم . حين لا يعدون غوراً . ولا يتدرعون بالحزم للايام المقبلة . ومن الحزم مساءة الظن . كما يقول الصادق عليه السلام .

فلما رأى الشيعة ما يعمله العباسيون مع العلويين واوليائهم . صاروا ينتهزون الفرص فى الوثبة على بني العباس في كل ناحية . فما وجدوا علويا يتحفز الوثبة إلا وأخذوا بيـــده . واعطوه القيادة من انفسهم .

قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وهو اول علوي قدم مصر . فبايعه كثير من الناس . وقام بامر دعوته خالد بن سعد بن ربيعة بن حبيش الصدفي . و كان جده ربيعـة بن حبيش من خاصة علي عليه السلام وشيعته (١) ولكن القضاء والقدر حالا دون قيام دولة علوية فى ذلك العهد . فخابت نهضة هذا العلوي . كما فشلت وثبات غيره من أولاد الحسنين عليهما السلام، تلك الوثبات التي كانت لهم فى الكوفة والبصرة

---

(١) خطط المقريزي « ٤ : ١٥٣ »

والحجاز واليمن وفارس وسواها .

فكان التشيع في مصر كنور على علم الى ان جاء عهد المتوكل ، الذي عرف الواقفون على سيرته ما كان يظهره من العداء لعلي وبنيه ، ويعمله من الفظائع مع العترة الطاهرة وشيعتهم في كل مصر له عليه سلطان ، يقول ابن الاثير في حوادث عام ٢٣٦ « ٧ : ١٨ » : وكان المتوكل شديد البغض لعلي ولاهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى علياً واهله باخذ المال والدم ، وقال في فوات الوفيات « ١ : ١٣٣ » : وكان المتوكل معروفا بالنصب وهجاه الشعراء دعبل وغيره .

كتب المتوكل الى واليه بمصر يأمره باخراج آل ابي طالب من مصر الى العراق فاخرجهم امير مصر اسحاق بن يحيى الختلي لعشر خلون من رجب سنة ٢٣٦ وقدموا العراق فاخرجوا الى المدينة في شوال منه ، واستتر من كان بمصر على رأي العلوية ، حتى ان امير مصر ضرب رجلا من الجند في شيء فاقسم عليه بحق الحسن والحسين إلا عفا عنه ، فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل ، فورد الكتاب من المتوكل على امير مصر بضرب ذلك الجندي مائة فضربها ، وحمل بعد ذلك الى العراق ، وتتبع الوالي بعد ذلك الشيعة فحملهم الى العراق ، ودل على رجل يقال له : محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب انه بويع له ،

فاحرق الموضع الذي كان به ، واخذه وضرب بعض من بايعه بالسياط ، واخرج العلوي هو وجمع من آل ابي طالب الى العراق ، الخطط « ٤ : ١٥٣ و ١٥٤ »

وقال المقريزي « ٢ : ١٠٢ » عند ذكر يزيد بن عبد الله الذي ولاه المتوكل على مصر : وتتبع الشيعة وحملهم الى العراق ، وجرت على العلويين في ايام ولايته شدائد .

فكيف نرى حال الشيعة اذن والسيف على رؤسهم ، والضرب والتبعيد نصب اعينهم ، فهل يجهرون بالولاء ، وامامهم كل هـــذا الجهد والبلاء .

انقضت دولة المتوكل الذي حارب اهل البيت واولياءهم، فقضى منهم ما شاء وشاء له شنآنه وبغضه ، فحسب العلوية والشيعة بمصر ان ايام الجور والاعتساف قد تصرمت ، وانهم سوف يتنشقون نسيم الراحة ، ويبرزون من زوايا الاختفاء وحبوس البيوت ، ولكن خابت امانيهم فقد وجدوا من ابنه المنتصر ما لا يحتسبون .

قال المقريزي « ٤ : ١٥٤ » كتب المنتصر لما ولي الحكم الى عامله بمصر أن لا يقبل علوي ضيعة ، ولا يركب فرساً ، ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من اطرافها ، وان يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد، ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة ، ولم تطل أيام المنتصر .

ولكن ما يذكره المقريزي لا يتفق مع ما هو المعروف من سيرة المنتصر مع العلويين قال ابن الاثير في حوادث عام ٢٤٨ (٧: ٣٦):

وأمر المنتصر بزيارة قبر علي والحسين وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه، وأطلق وقوفهم، وأمر برد فدك الى ولد الحسن والحسين، وقال: وذكر ان المنتصر لما ولي الخلافة أول ما احدثه ان عزل صالح بن علي عن المدينة واستعمل عليها علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد، قال علي: فلما دخلت عليه اودعه قال لي: ياعلي إني أوجهك الى لحمي ودمي ومدّ ساعده، وقال: الى هذا اوجه بك، فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم يعني آل ابي طالب.

الى كثير امثال ذلك مما هو مسطور في بطون الكتب ومعروف عنه حتى اذا قام المستعين من بعده سرح في ايامه والي مصر سنة رجال من الطالبيين الى العراق في رمضان سنة ٢٥٠ ثم اخرج ثمانية منهم في رجب سنة ٢٥١

ووثب في هذه الآونة افراد من العلويين في مصر، فكان نصيبهم الفشل وانتقاض الامر عليهم؛ فمنهم عبد الله بن احمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، الذي كان يقال له ابن الارقط، وكان قد خرج جابر بن الوليد المدلجي بارض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة ٢٥٢، واجتمع اليه جمع كبير والتحق به عبد الله هذا، فقوده

أبو حرملة وضم اليه الاعراب، وولاه (بنا) و (بوصير) و (سنهود) وبعد حروب جرت بينهم و بين أمير مصر كانت الدائرة على أبي حرملة ، فاسر واستأمن ابن الارقط ، فاخذ وأخرج الى العراق في ربيع سنة ٢٥٣ ، ففر منهم ثم ظفر به وحبس ، ثم حمل الى العراق في صفر سنة ٢٥٥ (١)

ومنهم بغا الاكبر ، وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طبا طبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام ، وكان خروجه بالصعيد في إمرة ارجون التركي ، وبعد حرب نشبت بينه وبين أصحاب ارجون فر هاربا فمات (٢)

ثم خرج بغا الاصغر ، وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة في جمادى الآخرة سنة ٢٥٥ ، والامير يومئذ احمد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل بغا في الحرب وأتي برأسه الى الفسطاط في شعبان (٣)

ومنهم ابن الصوفي العلوي ابراهيم بن محمد بن يحيي بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، خرج بالصعيد

---

(١) الخطط « ٤ : ١٥٤ »

(٢) نفس المصدر .

(٣) الخطط « ٢ : ١١٣ » و « ٤ : ١٥٤ » والكامل لابن الاثير في حوادث عام ٢٥٥ « ٧ : ٧١ »

ودخل (اسنا) في ذي القعدة سنة ٢٥٥، فبعث اليه ابن طولون بجيش ظفر به ابن الصوفي ، ثم جهز له جيشاً آخر وبعد الالتقاء انهزم ابن الصوفي ، وترك جميع ما معه ، وقتلت رجاله ، فاقام ابن الصوفي بالواح سنتين ، ثم خرج الى الأشمونين في المحرم سنة ٢٥٩ ، وسار الى اسوان لمحاربة ابي عبد الرحمن العمري ، فظفر به العمري وبجميع جيشه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولحق ابن الصوفي باسوان ، فبعث اليه ابن طولون بعثاً فاضطرب امره مع اصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب ، فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها ، ثم حمل الى ابن طولون ، فسجنه ثم اطلقه فصار الى المدينة ثم مات بها (١)

اعادت هذه الوثبات من العلويين فى مصر شيئاً من الحياة الى الشيعة ، فجعلتهم يجهرون احياناً بما يعتقدون ، وينبرون المقاومة يداً ولساناً ، ففي امارة هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون انكر رجل من اهل مصر ان يكون احد خيراً من اهل البيت فوثب اليه العامة فضرب بالسياط يوم الجمعة فى جمادى الآخرة سنة ٢٨٥ ، وفي امارة

(١) الخطط « ٢ : ١١٣ » و « ٤ : ١٥٤و١٥٥ » والكامل لابن الاثير فى حوادث عام ٢٥٦ « ٧ : ٧٩ » وفى حوادث عام ٢٥٩ « ٧ : ٨٦ » غير انه ذكر فى نسبه انه ابن محمد بن علي ابن ابي طالب عليهما السلام ، ولم يذكر انه ابن محمد بن عمر بن علي عليه السلام كما ذكره المقريزي .

ذكا الاعور على مصر كتب على ابواب الجامع العتيق ذكر الصحابة، فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون ، فاجتمع الناس الى دار ذكا في رمضان سنة ٣٠٥ يتشكرونه على ما اذن لهم فيه ، فوثب الجند بالناس فنهب قوم وخرج آخرون ، ومحي ما كتب على ابواب الجامع ، ونهب الناس في المسجد والاسواق وافطر الجند يومئذ .

وما زال أمر الشيعة يقوى بمصر الى ان دخلت سنة ٣٥٠ ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر « كلثوم » (١) بسبب ذكر السلف والنوح ، قتل فيها جماعة من الفريقين ، وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحداً قالوا له من خالك، فان لم يقل معاوية والا بطشوا به ، ثم كثر القول معاوية خال علي ، وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة ينادیان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خالي وخال المؤمنين وكاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان هذا أحسن ما يقولونه ، والا فقد كانوا يقولون : معاوية خال علي من ههنا ، ويشيرون الى اصل الاذن ، ويلقون ابا جعفر مسلماً الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه ، وكان بمصر

---

(١) ذكر ابن جبير فى رحلته عند ذكر المشاهد في مصر مشهدين لعلويتين تسميان بام كلثوم احداهما ابنة القاسم بن محمد ابن جعفر الصادق عليه السلام والاخرى ابنة محمد بن جعفر عليه السلام .

اسود يصيح دائماً معاوية خال علي ، فقتل بتنيس ايام القائد جوهر .

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة وعار بتهم الحاج خرج خلق من المصريين في شوال فلقوا كافور الاخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر ، وضجوا وصاحوا معاوية خال علي ، وسألوه ان يمث لنصرة الحاج على الطالبيين .

وفى سنة ٢٥٦ كتب فى صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل فامر كافور الاخشيدي بازالته ، فحدثه جماعة فى اعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال : ما احدث في ايامي مالم يكن ، وما كان في ايام غيري فلا ازيله ، وما كتب في ايامي ازيله ، ثم أمر من طاف في المساجد وازاله من المساجد كلها (١)

فما كان ذلك التسابب والتحريش والجدال ، والنهب والقتال ، إلا لظهور التشيع وارتفاع مناره ، فكان ذلك سبباً لتمالي مناوئيه عليه ، واظهارهم الشنآن والبغض لعلي وبنيه عليهم السلام ، وكفى من ذلك البغض ان يصرخوا دائماً معاوية خال علي ، وان كافور مع تعصبه على الشيعة اضطر لمصانعتهم لتكثرهم وتقوي أمرهم ، وخاف عقبى التمالي عليهم .

(١) الخطط « ٤ : ١٥٦ »

الشيعة والفاطميون بمصر

قامت الدولة الفاطمية بافريقيا ، وبثت الدعاة بمصر ، فاجابها وكاتبها كثير من المصريين ، وهاجموا مصر عدة مرات فما استطاعوا فتحها ، حتى اذا مات كافور ولم يبق على مصر امير يدبر أمرها كاتبوا المعز لدين الله الفاطمي ، فزحف قائده جوهر على مصر فوقف دونه الاخشيدية والكافورية بعد ان اعطاهم الامان فرفضوه ، وبعد حرب طفيفة تغلب عليهم ، واعلن الامان لاهل مصر ، ففتحوا الاسواق وسكن الناس كأن لم تكن فتنة ، وكان دخوله لمصر عام ٣٥٨ ، انظر الكامل لابن الاثير في حوادث هذا العام .

دخل القائد جوهر الى مصر وبنى القاهرة ، فاعلن التشيع قبل أن يأتي اليها المعز لدين الله الفاطمي ، فمن مذهب التشيع الذي هتف به ، وآثاره التي نشرها ما امر به من الاذان في جميع الجوامع « بحي على خير العمل » (١) والاعلان بتفضيل علي عليه السلام على غيره ، والجهر في الصلوة على النبي وعلى علي وفاطمة والحسنين عليهم الصلوة والسلام .

---

(١) سبق منا البرهان على ان هذا الفصل من فصول الاذان

وامر الامام بجامع مصر ان يجهر بالبسملة في الصلوة وكانوا لا يفعلون ذلك ، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية .

واما المواريث فامر بان يعمل بها حسبما يلي ، أن لا يرث مع بنت الميت أخ له ولا اخت ولا عم ولا ابن عم ولا ابن اخ . وان لا يرث مع الولد إلا الزوج أو الزوجة والابوان أو الجدان ، وان لا يرث مع الام إلا من يرث مع الولد .

وخاطب ابو طاهر محمد بن احمد قاضي مصر : القائد جوهر في بنت وأخ كان قد حكم قديماً فيهما بالنصف للبنت وبالباقي للاخ ، فقال : لا افعل ، فلما ألح عليه قال له : ايها القاضي انما هذا عداوة لفاطمة عليها السلام ، فامسك ابو طاهر ولم يراجعه بعد في ذلك (١)

وفي ربيع الاول سنة ٣٦٢ عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة ، فشغبوا وصاحوا معاوية خال علي بن ابي طالب ، فهم جوهر أن يحرق رحبة الصيارفة ولكن خشي على الجامع (٢)

هذا كله والخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد في افريقيا ، فلما وافى مصر ونزل بقصره من القاهرية المعزية أمر في شهر رمضان

(١) الخطط « ٤ : ١٥٦ » وكامل ابن الاثير فى حوادث عام ٣٥٨ .

(٢) الخطط « ٤ : ١٥٦ »

عام ٣٦٢ (١) فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر : خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وأمر أن يملى في الجامع الازهر (٢) مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر بالاقتصار (٣) الى غير ذلك مما يطول شرحه .

وقد أمر بامور اخرى مما تشهد بتمسكه بالدين وعمله بنظام الشريعة كلبس النصارى واليهود الغيار (٤) وان يشدوا الزنار في اوساطهم ومنع من عمل الفقاع وبيعه في الاسواق ، ومن ان يدخل أحد الحمام بغير مئزر ، وان تكشف امرأة وجهها في طريق ، وان تمشي خلف جنازة ، وقبض على جماعة وجدوا في الحمام بلا مئزر فضربوا وشهروا (٥) الى غير ذلك .

فبمثل هذا استمر ، وعلى مثل ذلك جرت سيرته الى ان لحق

---

(١) وكان دخوله الى القاهرة في الخامس منه انظر الكامل في حوادث عام ٣٦٢

(٢) أسس هذه المدرسة الكبرى ووقف لها الوقوف العظيمة القائد جوهر ووسع فيها وفي وقوفها الفاطميون ؛ كل ذلك ليدرس فيها فقه آل البيت ومذهبهم .

(٣) الخطط « ٤ : ١٥٦ »

(٤) وهو علامة اهل الذمة وغيارهم السواد .

(٥) الخطط « ٤ : ١٥٧ »

بر به (١) وقد بلغ من العظمة والشأن فى ايامه أن دعي له بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض اعمال العراق .

ولما انتهت الخلافة الى الحاكم بالله كانت مظاهره فى التشيع اكثر واعماله فى سبيل اعلائه أوفر ، ومع ذلك كله فقد سمح للناس بان يجري كل على مذهبه ، ويعمل حسب اجتهاده ، وفتح دار الحكمة - كلية - بالقاهرة ورتب فيها المدرسين للفقه واللغة والطب والتنجيم والنحو والقراءة وغيرها ، وحملت اليها الكتب من خزائن القصور ، حتى حصل فيها من الكتب فى سائر العلوم مالم ير مثله مجتمعاً ، ودخلها الناس للتحصيل ، واجرى على من فيها الارزاق السنية ، وجعل فيها كلما يحتاجون اليه من الحبر والاقلام والمحابر والورق (٢)

وهذه من محاسنه التي سجلها له التاريخ ، واضف اليها ما شدد به النكير من بيع الفقاع ، ومنع النساء من اتباع الجنائز ، ومن زيارتهن للمقابر ، فلم ير في الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ، ومنع الناس

---

(١) وكانت وفاته فى القاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع الآخر عام ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية بافريقيا في ١١ رمضان عام ٣١٩ ، وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ٢٣ عاما و١٠ ايام ، الخطط « ٢ : ١٦٧ » واما قائده جوهر فقد امتدت حياته الى عام ٣٨١ وفيها كانت وفاته انظر تاريخ ابي الفداء « ٢ : ١٣٥ » .

(٢) الخطط « ٤ : ١٥٨ »

من الغناء واللهو وبيع المغنيات . ومنع النصارى من ركوب الخيل ، وان لا يستخدموا مسلماً ، ولا يشتروا عبداً ولا أمة ، وتتبعت آثارهم في ذلك فاسلم منهم عدة ، ومنع من تقبيل أحد له الارض ، وان لا يقبل ركابه ولا يده (١)

فعلى هذا ومثله انقضت ايامه وتصرمت دولته ، فكم مرة منع من سب السلف وعاقب عليه ، وكم امر بمحو ما يكتب منه على الحيطان والمساجد ، وبقلع الالواح التي ينقش عليها من ذلك .

وفي ايامه خطب له قرواش بن المقلد بن المسيب أمير بني عقيل باعماله كلها ، وهي الموصل ، والانبار ، والمدائن ، والكوفة ، وغيرها (٢)

فعلى مثل ذلك ونظائره كانت تسير أيامهم ، وعلى تلك السنن نهج جميعهم ، وبالاشارة الى تلك الشؤون غنى عن الاطناب فيها ، إذ ليس القصد ان نستقصي احوال الدولة الفاطمية ، وانما الغرض الاقصى ان نعرف سير التشيع في ايامهم ، فمن اجرائهم الكثير من

---

(١) الخطط « ٤ : ٧٣ »

(٢) كما ذكر ذلك ابو الفداء « ٢ : ١٤٧ » ؛ وقد فقد الحاكم ليلة السابع والعشرين من شوال عام ٤١١ ، وعمره ٣٦ ربيعاً واشهراً . وخلافته ٢٥ عاماً واياماً . فانه ولد عام ٣٧٥ ، وتقلد الخلافة وهو ابن ١١ عاماً و ٥ اشهر و ٦ ايام . الخطط « ٤ : ٦٨ » وتأريخ ابي الفداء « ٢ : ١٥٨ »

الاعمال التي ذكرنا شيئاً منها قوي الاشيع وتغلب على مصر ، وكاد ان يستولي عليها اجمع .

وإن اظهر مصداق لهذه الكلمة الدارجة « الناس على دين ملوكهم » هي مصر ، فانها في المذهب والرأي تقلبت مع ارباب الدولة ورجال السلطة ، فقد وافقت الاموبين ، وجارت العباسيين ، وتظاهرت مع الفاطميين ، واتفقت مع الايوبيين ، وهكذا تجاري الملوك . وتساير الامراء ، في كل آن وزمان الى الوقت الحاضر .

وإن للفاطميين مظاهر في التشيع كانت من أقوى الاسباب لنشره في مصر ، ـ منها ـ يوم عاشوراء ، وان اظهار شعائر الحزن يوم العاشر من المحرم لم يكن اول من أمر به الفاطميون في مصر ، بل ان الشيعة كانت عليه ايام الاخشيديين وكافور ، انظر الخطط « ٢ : ٢٩٠ » وانما اتسع نطاقه في ايامهم ، فكانت مصر في دولتهم في اليوم العاشر من المحرم تبطل البيع والشراء ، وتعطل الاسواق ، ويجتمع أهل النوح والنشيد ويطوفون بالازقة والاسواق ، ويأتون الى مشهد كلثوم ونفيسه (١) وغيرهما وهم نائحون باكون ،

(١) قال ابن خلكان : هي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي عليهما السلام ، زوجة اسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام ، دخلت مع زوجها الى مصر ، وقيل مع ابيها ، وكانت من النساء الصالحات التقيات ، ويروى ان الشافعي لما دخل مصر حضر اليها وسمع منها الحديث ، وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم . وهو الى الآن باق كما كان وكانت وفاتها في شهر رمضان عام ٢٠٨ . وقبرها معروف باجابة الدعاء عنده . وهو مجرب رضي الله عنها .

ويمضون الى الجامع الازهر أو الى دار الخليفة ، ولربما حضر الخليفة وهو حاف وعليه شعار الحزن ، فيقرأ مقتل الحسين عليه السلام ، ثم ينشد الشعراء ما قالوه في الحسين واهل البيت عليهم السلام الى ان ينتصف النهار فيدعى الناس الى مائدة الخليفة ، ولا تكون المائدة كموائد الاعياد ، من فرش احسن البسط واختيار انفس الاطعمة وتوفر الالوان ، وغير ذلك من مظاهر الملوكية وابهة السلطنة ، بل تفرش الحصر ، ويمد سماط الحزن ، ويغير لون الخبز عمداً ، ويجعلون على السماط الباناً ساذجة وجبناً وعسلا وأمثال ذلك ، ثم يخرجون بعد تناول الطعام على تلك الهيئة التي كانوا عليها من النوح والبكاء ، ويستمر الحال الى ما بعد العصر (١)

ومنها يوم الغدير ، وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ، الذي اقام فيه الرسول صلى الله عليه وآله علياً خليفة من بعده وإماما وهاديا ، والبويهيون في العراق قد سبقوا الفاطميين الى تأييد هذا اليوم واقامته عيداً يظهرون فيه مراسيم الزينة .

ولو اردنا ان نسطر جميع ما كان يصنعه الفاطميون في هذا اليوم لخرجنا عن خطة الكتاب غير اننا نوجز البيان عنه .

يخرج الخليفة في هذا اليوم على احسن بزة واجمل هيئة ، وقد أعدلا كابر الدولة والقضاة وعامة الناس مجالس قد فرش بافخر البسط،

(١) انظر الخطط « ٢ : ٢٨٩ - ٢٩١ »

وتصب فيه منبر فيجلس عليه القاضي والعلماء حوله ومن بعدهم الامراء والاجناد ثم عامة الناس ، ويجلس الخليفة في محل يشرف على المجلس . ثم يصعد الخطيب فيتلوا خطبة النبي (ص) التي خطبها ذلك اليوم ، ويذكر إصعاد أمير المؤمنين اليه ، ويصف تلك الحال وما قاله النبي (ص) في حقه ، فاذا نزل القاضي صلى بالناس ركعتين ، ثم يجرون مراسم التهاني من التصافح وغيره .

وفي هذا اليوم يزوجون الأيامى، وينعمون على الفقراء والمساكين، ويفرقون الهبات على كبراء الدولة والامراء والرؤساء والضيوف والاساتذة والمدرسين وغيرهم ، وينحرون ويعتقون الرقاب ، الى امثال ذلك من اعظام هذا اليوم ، واجراء مراسم التهاني ، وتوفير الصلات والهبات ، وعلى مثل ذلك يجري الوزراء واكابر الدولة (١) فينفق الخليفة في هذا اليوم ما لا يحصى من الاموال ، ومثله الوزراء وكبراء الدولة .

ومنها انهم كانوا يجعلون ايام مولد النبي وعلي والزهراء والحسنين عليهم السلام اعياداً ومواسم جليلة ، ينفقون فيها الاموال الجسيمة ، ويظهرون فيها الجذل والبشر ، ويعمل الناس مثل عملهم من الاطعام وصنع الحلوى وغير ذلك من اظهار شعائر الاعياد .

ومنها ، انهم نصبوا فقهاء يعلمون الناس فقه اهل البيت، واجروا

---

(١) الخطط « ٢ : ٢٢٢ و ٣٨٩ »

لهم رواتب ومخصصات سنية ، واتفقوا على المتعلمين والحضور لاستماع الحديث الاموال الجليلة .

فبهذا ومثله جعلوا التشيع يسير في مصر و يستولي على البلاد ، ويكون مذهب اهل البيت المذهب المعروف بين عامة الناس .

وان المشهور بين ارباب السيرة والتاريخ ـ ولم نتحققه ـ أن الفاطميين كانوا اسماعيلية في المذهب والرأي ، وصاروا على مذهب الامامية ايام الوزير ابي علي الافضل بن امير الجيوش بدر الجمالي الامامي المذهب في دولة الحافظ لدين الله ، ولما قتل الوزير عام ٥٢٦ عاد المذهب اسماعيليا ، وكيف كان فان المذهب الامامي في دولتهم كان ينتشر ويسرع في سيره ، من دون أن يجد عثرة في سبيله ، أو يشاهد حاجزاً دون قصده .

ولو اردنا أن نقيم الادلة على انتحالهم المذهب الاثني عشري لكان لنا متسع من القول ، كما أن الزعم بانهم اسماعيليون مذهبا قد يكون له وجه من التاريخ ؛ غير ان آثارهم في الامامية أظهر .

الشيعة والايوبيون بمصر

كان التشيع مخيما على القاهرة ، وضاربا اطنابه في القرى والبلدان، الى ان قوي صلاح الدين يوسف الايوبي، وبلغ من الشأن ان استوزره العاضد لدين الله الفاطمي ، فكان جزاؤه منه حينما عرف من نفسه القوة والغلبة أن حجر على العاضد ومنعه من الخروج واستلب جميع ما لديه من الصفايا والاموال حتى لم يبق عنده إلا فرساً واحداً ، وبعد ذلك استلبه منه، ثم شرع في قلب الدولة والدعوة للمستنصر بأمر الله العباسي ببغداد ، فساعده الطالع على ما اراد ، فدعا للعباسي والفاطمي مسجى على فراش المرض فلم يعلم بالحال حتى جاءه الموت(١) ولما مهدت للايوبي قواعد الدولة اوقع بالامراء والجند ، وانشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ، واخرى المالكية ، وصرف قضاة الشيعة كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارني الشافعي ، فلم يستنب عنه في اقليم مصر إلا من كان شافعي

(١) وذلك عام ٥٦٧ الخطط ج ٣ : ٣٧٩ وابن الاثير وغيرهما

المذهب (١) فتظاهر الناس من ذلك اليوم بما كان عليه هوى الملك، وكيف لا يختفي مذهب اهل البيت والايوبي يستقدم العلماء الذين على رأيه، ويبني المدارس ويخصص لها الرواتب، ويحمل الناس على عقيدة الاشعري، ومن خالف ضربت عنقه، وساعد على ذلك أن السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي تعصب فنشر مذهب ابي حنيفة في بلاد الشام، فما زال من ذلك الوقت تنتشر مذاهبهم وتقوى، وتزداد فقهاؤهم، وتكثر بمصر والشام، وجروا على ذلك في جميع البلاد، التي لهم عليها سلطان، وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليه. ولم يول قاض. ولا قبلت شهادة أحد. ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس انسان مالم يكن مقلداً لاحد المذاهب الاربعة. وافتى فقهاؤهم في طول مدة الايوبيين وبعدهم بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها (٢)

وما قنع الايوبي بما ارتكبه من الفاطميين ومذهب أهل البيت حتى ناصب العداء لأهل البيت الطاهر نفسه. فقابل الشيعة والفاطميين بالعكس مما كانوا يعملونه يوم عاشوراء. قال المقريزي «٢:٣٨٥»: كان الفاطميون يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل فيه الاسواق

---

(١) وقال ابن الاثير في حوادث عام ٥٦٦ «١١ : ١٣٧»: وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة واقام قاضياً شافعيا في مصر فاستناب الشافعية في جميع مصر في العشرين من جمادى الاخرة.

(٢) انظر الخطط «٤ : ١٦١»

ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن . وكان يصل الى الناس منه شيء كثير . فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني ايوب يوم عاشوراء يوم سرور . يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم . ويصنعون الحلاوات . ويتخذون الاواني الجديدة . ويدخلون الحمام جريا على عادة اهل الشام . التي سنها لهم الحجاج ايام عبد الملك بن مروان . ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن ابي طالب . الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي . لانه قتل فيه . وقد ادركنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط .

لا أدري اذا كان الايوبيون اعداء بني فاطمة فهل ساغ لهم ان يعادوا الرسول واهل بيته ولماذا صنعوا يوم مقتل الحسين عيداً وقد بكاه الرسول وحزن عليه قبل ذلك اليوم بعشرات السنين والحسين في الاحياء . وان الاغرب ان يطرى الايوبي ويكال له المدح جزافا وهو صاحب يوم عاشوراء . فانا لله وانا اليه راجعون .

مصر والتشيع اليوم

بتلك الاعمال القاسية ودوامها عهداً طويلا نسي التشيع من مصر . وانمحى اثره . غير ان فيها اليوم ثلة من الشيعة . وهم بين مهاجر اليها وحديث عهد بالتشيع . وان عامة المصريين يميلون لاهل

البيت . غير انهم لا يجدون من يعرفهم حقيقة هـذا البيت الطاهر .
ويفصح لهم عن منازلهم من الله ورسوله صلى الله عليـه وآله . ولهم
مظاهر بالحب والميـل كتشييد المشاهـــد المنسوبة لاهل البيت
كمشهد رأس الحسين عليـــه السلام (١) ومشهد السيـــدة

(١) قال المقريزي « ٢: ٤٨٣ »: إن الافضل بن امير الجيوش
لما ملك القدس ودخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس
الحسين بن علي فاخرجه وعطره وحمل في سفط الى اجل دار بها
وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره
وسعى به ماشيا الى ان احله في مقره ، وكان حمل الرأس من عسقلان
الى القاهرة يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ ، ويذكر
ان هذا الرأس الشريف لما اخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه
لم يجف ، وله ريح كريح المسك ، وقال : وكانوا ينحرون يوم
عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم . ويكثرون النوح
والبكاء ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت
دولتهم ، ثم ذكر له بعض البركات المشاهدة المرئية .

وقال ابن بطوطة في رحلته « ١ : ٢١ » : ومن المزارات
الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي
عليهما السلام وعليـه رباط ضخم عجيب البناء ، على ابوابه حلق
الفضة وصفائحها ايضا كذلك ، وهو موفى الحق من الاجلال
والتعظيم ، وقال ص ٣٤ عند ذكر القدس الشريف : وبها المشهد
الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليهما السلام قبل ان ينقل
الى القاهرة . –

زينب(١) وغيرها. وكانقبالهم على التقبيل والابتهال والتضرع الى الله تعالى في قضاء الحوائج عند تلك المشاهد. ولربما يخرجون في ليالي الجمع وهم يحملون الاعلام السود وبايديهم السلاسل الحديدية يضربون بها ظهورهم كما تصنع الشيعة عند اظهار شعائر الحزن على اهل البيت . ويذهبون على هاتيك الحال التي هي مظهر الشجى والحزن الى قبر السيدة زينب . الى ما سوى ذلك من امثال هذه الشعائر والمظاهر التي تدلنا على شدة ميلهم الى العترة الطاهرة (٢)

ولكن هذك اليوم فئة من ارباب الاقلام وحملة الثقافة الحديثة تنقم على هؤلاء المساكين هذا الولاء لآل الرسول «ص» وهذه المظاهر التي ترشد الى الحب والتوجع على ما اصابهم . جريا على ما جبلت عليه غرائزهم . فكأنما ولاء آل الله والحزن على ما نابهم

- اقول وهو الى اليوم عظيم البناء لا يقصر عن كثير من مشاهد اهل البيت في العراق عدا مشاهد الائمة المعصومين عليهم السلام .

(١) ذكر ابن جبير في رحلته مشاهد كثيرة في مصر لاهل البيت ، ومنها مشهد زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليها السلام ، وقد بلغني ان له كرامات باهرة مشهورة .

(٢) حكى لي من شاهد واعظا في احد المشهدين رأس الحسين أو السيدة زينب وحوله جماعة صاغين لحديثه مرتاحين به وهو يسرد عليهم الاحاديث في المهدي وظهوره عجل الله فرجه وسهل مخرجه .

من الوحشية النافرة والشناعة الممقوتة .

وهذه الفئة هي التي تحمل رايات العداء للشيعة . وتلصق بهم كل عيب وتنسب لهم ما ليس من مذهبهم ولا من عقيدتهم البتة . من دون ان تستند في ذلك الى ركن وثيق من كتب الشيعة الامامية التي دخلت كل مصر وانتشرت في كل قطر . وانما تعتمد على كتب السلف ممن جاهر بعداء الشيعة . وهل يصلح ذلك عذراً لها وكتب الشيعة منشورة بين الناس عامة ، ولو كانت تلك الفئة تخلص للمجتمع وتكتب بحسن نية لرجع احمد أمين عما سوده من صحائف في نبز الشيعة في كتابه « فجر الاسلام » وقد وعد بان يبيض ما سود يوم زار النجف الاشرف واعترف بذنبه ، وكنا ننتظر بفارغ الصبر ان يقرن بعين القول والعمل ، فلما مثل للطبع الجزء الاول من كتابه « ضحى الاسلام » وحمله البريد الى العراق ووقفنا على ما حرره فيه وجدناه قد ذر الملح على الجرح ، وزاد في تسويد صحائفه الاول التي جاء بها كتابه فجر الاسلام ، فكأنما لم يزده الوقوف على الحق إلا بعداً عنه ، والاعتراف بالخطأ إلا إصراراً عليه .

نسأله تعالى ان يوفق للهدى من أحب الهداية وآثر البصر على العمى انه سميع مجيب .

الشيعة في ايران

كانت فارس بعدما فتحها المسلمون تتهافت على اعتناق الاسلام؛ فما تم فتحها إلا واصبحت من الاقطار الاسلامية، وكانت بدء اسلامها لا تعرف التشيع بل حتى ايام امير المؤمنين عليه السلام ، فان التأريخ لم يذكر انهم اشتركوا في حروبه الثلاثة ، على انه دعا عماله لنصرته، كما لم يذكر انهم اظهروا ولاءه في عهده ، وهكذا الحال ايام نهضة الحسن عليه السلام وامارته تلك الاميال القليلة ، بل لم يذكر ان أحداً منهم كان مع الحسين عليه السلام يوم الطف سوى غلام تركي، وهذا كان غلاما للحسين عليه السلام ولم يكن جاء لنصرته ، على انهم ذلك العهد كانوا متبثين في الحجاز والعراق .

نعم ان التشيع كان يساير الاسلام كتفاً لكتف ، ويدخل معه. حيث دخل جنباً لجنب ، غير انه ربما أبطأ سيره في بعض البلاد ، كما هو في فارس أول عهده ، وانما ظهر التشيع فيها بعد القرن الاول من الهجرة ، ايام الباقر والصادق عليهما السلام ودولة بني امية فقد كان

لها شيعة في فارس يكتبون اليها بالمسائل ، ويحملون اليها حقوق الاموال ، واول ما ظهر بخراسان ، وهم الحجر الاساسي لصرح الملك العباسي ؛ وبعد ان تغلب بنو العباس على البلاد كان اكثرهم شيعة لهم ، فان التشيع أول بزوغه لم يكن إلا موالاة علي واهل البيت ، وكانوا لا يرون اهل البيت إلا بني هاشم ، فلا يعرفون فرقا بين علوي وعباسي ، وما اتضح الفرق ، وعرف الناس من هو المقصود من اهل البيت « الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » والذين هم أحد الثقلين ، ومن امر النبي «ص» بوجوب التمسك بعروتهم والركوب في سفينتهم ، إلا بعد زمان مضى من دولة بني العباس ، ولا يعرف يومئذ حقيقة الموالاة ومن هم اهل البيت الا اهل البصائر والخواص من ارباب الولاء .

نعم ان هناك فرقا جليا بين فريقين - اشياع بني امية - و - اشياع بني هاشم - فكان جل فارس تبغض الامويين وتوالي الهاشميين ؛ بعد ما لمسوا من بني امية وولاتهم سوء السيرة والسريرة ، وشاهدوا الاعمال المنكرة التي بعث الرسول «ص» لازالتها من على البسيطة ، واستئصال شأفتها من جسم المجتمع البشري ، وما كانت نهضتهم مع يحيى بن زيد لانه حسيني علوي فحسب ، بل لانه هاشمي يناهض البيت الاموي . اللهم إلا عند نفر قلائل . لان عامة فارس يوم ذاك تجهل معرفة أهل البيت على الوجه الاكمل . وما ظهر التشيع

بمعناه الخاص إلا بعد مجيء ابي الحسن الرضا عليه السلام الى ايران .
وكان المأمون غير مدافع لارباب اولاء عن حضورهم لديه وتهافتهم عليه . فكان الوصول اليه والاجتماع به ومناظرة العلماء له في فنون العلم بامر المأمون وفلج المناظرين وانقطاع حججهم ، وظهور كراماته، ومشاهدة فضائله ، يلفت ذوي البصائر الى احقيته بالامر، وانه وآبائه معدن العلم النبوي ، وخزان الوحي ، والائمة حقاً ، ففي ايامه ارتفع منار التشيع في قم ، وقضت دوراً مهماً وهي تحتوي على جهابذة العلماء وثقات الرواة .

على ان الامام عليه السلام لم تزد اقامته في خراسان على السنتين فظهرت له مع قصر المدة من الفضائل ما ارغمت الناس على الاعتقاد بامامته ، فلما وقف المأمون على ماعرفه الناس من فضل ابي الحسن عليه السلام خشي ان يظهر امره فيصبح والناس من حوله هاتفة بامامته، فدبر الامر باغتياله بالسم ، فكان مادبر واراد .

فمن ذلك اليوم اخذ التشيع يسير وينتشر ، ولكنك خبير بما كان عليه العباسيون من الحرب لبني علي عليهم السلام وشيعتهم ، فكانت سيرتهم تلك حجر عثرة في طريقه احياناً .

وقد تكونت من الشيعة دول وامارات في فارس أخذت بيده وعاضدته ، وبنت على اسسه الثابتة . واقامت اركانه . امثال الامارة الطاهرية . والدولة العلوية . والسلطنة البويهية . والحكومة المغولية . وغيرها .

الامارة الطاهرية فى هرات

مؤسس هذه الامارة ، ورأس هذه الاسرة ، واليه تنتسب ، هو القائد طاهر بن الحسين الخزاعي ، ولاه المأمون هرات وقاعدتها خراسان عام ٢٠٥ ، وكان ذلك بعد ما فتح له بغداد، وقتل الامين، واستقرت البلاد المأمون ، ورجع الى عاصمة ملكهم بغداد .

وتولى هرات من الطاهرية عدة أمراء ، وهم طلحة وعبد الله ابنا طاهر ، وطاهر بن عبد الله بن طاهر ، ومحمد بن طاهر ، وفى أيامه ضعفت إمارتهم ، فاستولى عليه يعقوب بن ليث الصفار حين حاربه ، فقبض عليه وعلى اهل بيته ، وانقرضت امارتهم بقبضه عام ٢٥٩ ، وكان يتولى بعض اعمال هذه الولاية منهم بعض الامراء كعبد الله ابن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وسليمان بن عبد الله وغيرهما .

قال ابن الاثير فى حوادث عام ٢٥٠ « ٧ : ٤٠ » فى الحرب التي وقعت بين الحسن بن زيد العلوي الذي ظهر بالديلم ، وبين سليمان بن عبد الله الطاهري : ولما نشبت الحرب بينهم سار بعض قواد الحسن نحو سارية فدخلها ، فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن معه ، وترك اهله وعياله وثقله وكل ماله بسارية ، واستولى الحسن واصحابه على ذلك جميعه ، الى ان قال : وقيل ان سليمان انهزم اختياراً ، لان الطاهرية كلها كانت تتشيع ، فلما اقبل الحسن بن زيد

الى طبرستان تأثم سليمان من قتاله لشدته في التشيع ، وقال :

نبئت خيل ابن زيد اقبلت حينا	تريدنا لتحسينا الامرينا
يا قوم ان كانت الانباء صادقة	فالويل لي وجميع الطاهريينا
اما انا فاذا اصطفت كتائبنا	اكون من بينهم رأس الموليينا
فالعذر عند رسول الله منبسط	اذا احتسبت دماء الفاطميينا

واخبار الطاهرية ملء كتب التاريخ ، وشأنهم في البسالة والفتوح لا يجهل ، ويسير التشيع في ركابهم اينما ساروا .

الدولة العلوية في الديلم

الحسن بن زيد

ولي الامر في الديلم اربعة من العلويين ، اولهم الحسن بن زيد ، وكان بالري فشخص الى الديلم بدعوة من اهلها . فاتفقت كلمة الديلم واهل كلار وشالوس والرويان على بيعته ، فبايعوه كلهم ، وطردوا عمال ابن اوس ، فلحقوا بسليمان بن عبد الله الطاهري ، وانضم الى الحسن جبال طبرستان كاصمغان وقادشان ، وانضم اليه ايضاً ليث بن قتادة وجماعة من اهل السفح ، ثم استولى على آمد وكثر جمعه بعد استيلائه عليها ، وكانت له مع الطاهريين عدة حروب ، فتارة تكون له الغلبة عليهم ، واخرى لهم عليه ، ومرة يتغلبون على طبرستان ، واخرى يسلبها منهم ، ولقد استفحل امره حتى ملك الري

وجرجان (١)

ولما ضعفت امارة محمد بن طاهر الطاهري وتغلب عليه يعقوب ابن ليث الصفار قويت شوكة العلوي ، ولكن يعقوب لم يشأ ان يقر العلوي على ما تحت يده من البلاد ، فجهز جيشاً لقتال العلوي عام ٢٦٠ فانهزم العلوي ولحق بالديلم واستولى يعقوب على آمد وسارية ، وسار لطلب العلوي فتعلق بجبال طبرستان ، واعترضت يعقوب الامطار والاوحال فلم يخلص إلا بمشقة وفي عام ٢٦١ رجع العلوي واستولى على طبرستان ، واستمر مستوليا على هذه البلاد الى ان وافاه الاجل المحتوم في رجب عام ٢٧٠ ، وكانت ولايته ١٩عاما وثمانية أشهر وستة أيام (٢)

محمد بن زيد العلوى

ولما قضي الحسن قام من بعده اخوه محمد ، وكانت ايامه كلها حروبا ووقائع ، فتارة مع الصفارية ، واخرى مع اسماعيل بن احمد الساماني ، فاصابته جراحات فى معركة هائلة كانت بينه وبين محمد بن هرون الذي تولى حربه من قبل اسماعيل ، وأسر ابنه زيد ، ثم مات

---

(١) انظر كامل ابن الاثير فى حوادث عام ٢٥٠ « ٧ : ٤٠ » وحوادث عام ٢٥١ ص ٥٣ ، وعام ٢٥٢ ص ٥٧ وعام ٢٥٥ ص ٦٦ وعام ٢٥٧ ص ٨٢

(٢) ابن الاثير « ٧ : ١٣٦ »

محمد بن زيد بعد ايام من جراحاته عام ٢٨٧ (١)

ومحمد هذا وقيل اخوه الحسن هو الذي بعث بالاموال الكثيرة لتشييد المرقدين الطاهرين العلوي والحسيني ، كما اشرنا الى ذلك في الكلام على النجف وكربلاء .

الحسن بن علي الاطروش

ولما توفي محمد بن زيد دخل الديلم الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين عليهما السلام ، المعروف بالاطروش ، واقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام فاسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه ، وبنى في بلادهم المساجد ، واسلم على يده من الديلم الذين هم وراء سعيد روز الى ناحية آمد . وهم يذهبون بمذهب الشيعة.

وكان سبب صممه انه ضرب على رأسه بسيف في حرب محمد بن زيد فطرش (٢)

---

(١) ابن الاثير « ٧ : ١٦٦ » وقال : وقيل حضر عنده خصمان احدهما اسمه معاوية والآخر اسمه علي ؛ فقال : الحكم بينكما ظاهر ، فقال معاوية : ان تحت هذين الاسمين خبراً فقال محمد : وما هو ؛ قال : إن ابي كان من صادقي الشيعة فسماني معاوية ليكفيني شر النواصب ، وان ابا هذا كان ناصبياً فسماه علياً خوفاً من العلوية الشيعة ؛ فتبسم اليه محمد واحسن اليه وقربه .

(٢) ابن الاثير « ٨ : ٢٦-٢٧ »

وكانت طبرستان يومئذ تحت سلطة الساماني فاراد العلوي الاستيلاء عليها . وبعد حرب جرت بينه وبين واليها من قبل الساماني ظفر العلوي بالجند واستولى على طبرستان . وتسمى بالناصر . ثم زحفت اليه جنود الساماني من خراسان عام ٣٠٤ فقتلوه .

الحسن بن القاسم الداعي

ثم قام من بعده صهره الحسن بن القاسم العلوي ويعرف بالداعي ، فاستولى على الري واخرج منها اصحاب الساماني . ثم استولى على قزوين وزنجان وابهر وقم . وظهر في ايامه اسفار بن شيرويه الديلمي وعظم امره وقويت شوكته . فاستولى على طبرستان . وكان الداعي بالري . فلما بلغه خبر اسفار عاد ووقعت بينهما حرب دامية قتل فيها العلوي الداعي . وذلك عام ٣١٦ وكان انهزام معظم اصحابه على تعمد منهم الهزيمة ، وسبب ذلك انه كان يأمر اصحابه بالاستقامة ومنعهم من ظلم الرعية ! وشرب الخمور ! وكانوا يبغضونه لذلك ! وكان عزمهم ان يقبضوا على الحسن الداعي وينصبوا ابا الحسين ابن الاطروش ويخطبوا له ! ولما علم بذلك قتل من اراد هذه الوقيعة منهم .

وأحس اسفار بان عامله هرون بن بهرام يريد الدعوة لابي جعفر العلوي ، فدعاه اليه وامره ان يتزوج الى احد اعيان آمد ، ويحضر

عرسه ابا جعفر وغيره من رؤساء العلويين ، وضرب له يوما خاصاً ، ففعل ذلك ، فوافى اسفار الى آمد وقت الموعد وهجم على حين غفلة على دار هرون وقبض على ابي جعفر وغيره من اعيان العلويين وحملهم الى بخاري واعتقلهم بها ، الى ان خلصوا ايام فتنة ابي زكريا(١) وتلاشى امر العلوية بالديلم وطبرستان .

فكان بهذه الدولة العلوية للتشيع سمو ورفعة ، ونمو وانتشار .

الشيعة والبويهيون (٢) في ايران (٣)

كان ابتداء سلطان آل بويه في شيراز ثم سرى نفوذهم الى

(١) ابن الاثير « ٨ : ٥٩ »

(٢) آل بويه من الديلم وتنتهي سلسلتهم النسبية الى الملوك الكسروية ، وكان ابتداء ملكهم في شيراز عام ٣٢١ وانتهاؤه عام ٤٤٧ ؛ واول من ملك منهم الاخوة الثلاثة ، عماد الدولة علي ابن بويه ، وكانت وفاته عام ٣٣٨ ، ومعز الدولة احمد بن بويه وكانت وفاته عام ٣٥٦ ، وركن الدولة الحسن بن بويه ، وكانت وفاته عام ٣٦٦ ؛ وآخر ملوكهم الملك الرحيم ، ويقال : إن قبيلة « خافان » في العراق تنتمي اليهم .

(٣) قد يحسب القارى انا نريد البحث عن حال البويهيين والشيعة في ايران خاصة كما يقتضيه العنوان ، ولكننا عممنا البحث وذكرنا العراق وغيره لعموم سلطان آل بويه ، وماخصصنا العنوان في ايران إلا لان البحث عنها .

ايران والعراق ، بل والى جميع بلاد بني العباس، و كانوا ارباب التدبير في جميع المملكة على عهد دولتهم ، وليس للخليفة العباسي إلا مراسيم الخلافة ، وهذا معلوم الشأن ، لا يجهله من سبر شيئاً من التاريخ .

وكان التسنن في عهدهم يغلب على اكثر البلاد من فارس والعراق ، ومع ذلك ظهورهم في التشيع لم يحاربوا التسنن ، كما فعل الكثير من ملوك اهل السنة مع الشيعة ، ومع قوة شوكتهم وغلبتهم على الخلافة والبلاد أحسنوا السيرة مع الرعية ، ولم يتعصبوا للشيعة على السنة ، بل وقعت في ايامهم حوادث بين الشيعة والسنة كان التحريش فيها من السنة ولم يراعوا في ذلك السلطان، ولم يعبأوا بسطوته، ولكنهم لم يوقعوا باهل السنة انتصاراً للشيعة .

ولو سبرت تاريخ ابن الاثير والمنتظم ما بعد عام ٤٤٠ لعرفت تأثير تلك الحوادث على راحة البلاد والسلطان يومئذ لآل بويه، وهم أهل الحول والطول .

طبع آل بويه على خدمة المذهب، شأن الملوك والامراء ذلك العهد اذا تمذهبوا بمذهب ، فإنهم ينتصرون لما انتحلوه جهدهم ، وقدر ماتصل اليه معارفهم ومداركهم ، فكانت ايام آل بويه كلها ايام سعي وترويج لمذهب اهل البيت ، فتجدهم يسلكون كل سبيل لنصرته ، واعلاء شأن العترة النبوية .

كانوا في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم غدير خم ، الذي رقى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله منبراً صنعه المسلمون له من حدوج الابل ، وخطب عليه مبيناً فضل اهل بيته وفضل المرتضى الى آخر ما قاله وهو يخطب : الست أولى بكم من انفسكم ، فقال المسلمون : بلى ، فلما اخذ الاقرار منهم بذلك ، قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

هذا بعض ماقاله الرسول (ص) في شأن ابي الحسن عليه السلام ، فكانت الشيعة ترى هذا اليوم عيداً من أجل الاعياد ، لأن الرسول (ص) نصب فيه المرتضى للناس من بعده اماما وخليفة وأولى بالناس من انفسهم ، فكان ملوك الشيعة أجدر باحترام هذا اليوم واعظامه ، فالبويهيون اعظموا هذا اليوم مجاهرين في تقديسه ، وصنعوا فيه مالا يصنعون في عيد سواه ، من اظهار الفرح والجذل ، ولبس افخر الثياب ، والتأنق في المطاعم ، وبسط الموائد وعليها اطيب الاطعمة الرائحة والغاد ، واكثار الانفاق والاعطاء ، الى ما سوى ذلك مايدعو اليه ولاؤهم المرتضى وتبجيل هذا اليوم واعزازه . وتبعهم على ذلك ملوك الشيعة وامراؤهم في كل قطر ، ومنهم الفاطميون في مصر .

وبشهدلنا كان عليه الشيعة من تظاهرهم بالجذل هذا اليوم واتخاذه عيداً ما قاله ابن الاثير في حوادث عام ٣٠٨ « ٩ : ٥٤ » وفيها عمل اهل باب البصرة - محلة ببغداد - يوم السادس والعشرين من

ذي الحجة زينة عظيمة وفرحا كثيراً ، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثلما يعمل الشيعة عاشوراء ، وسبب ذلك ان الشيعة بالكرخ(١) كانوا ينصبون القباب ، وتعلق الثياب للزينة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجـة وهو يوم الغدير ، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المـآتم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور ، فعمل اهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية ايام مثلهم ، وقالوا : هو يوم دخل النبي صلى الله عليه وآله وابو بكر الغار ، وعملوا بعد عاشوراء بثمانية ايام مثلما يعملون يوم عاشوراء ، وقالوا : هو يوم قتل مصعب ابن الزبير (٢)

---

(١) كانت الكرخ محلة واسعة ببغداد في الجانب الغربي عاطلة بسور واهلها كلهم شيعة ليس فيها من غيرهم احد البته ، كما يقوله ياقوت في المعجم ، وسمي الجانب كله بعد ذلك باسمها .

(٢) أي بأس على الشيعة اذا كان يوم الغار يوم عيد ؛ ويوم قتل مصعب يوم حزن ، وكيف يكون ذلك مقابلا ليوم عاشوراء ، اليس يوم الغدير يوما شهده من المسلمين ما يزيد على مائة الف وهنأوا عليا بذلك الولاية حتى ابو بكر وعمر فقالا له بخ بخ لك اصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، فوجب ان يشترك المسلمون كلهم في سرور هذا اليوم ، واما يوم الحسين فحقيق ان يحزن له المسلمون اجمع ، اليس الحسين سبط الرسول وريحانته وخامس اصحاب الكساء ومن اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وسيد شباب اهل الجنة ، وكانت حادثته حادثة

وكان الشيعة كما يقول ابن الاثير : يعملون يوم عاشوراء من المآتم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور ، ولكن آل بويه عمموه على البلاد كلها وما قصروه على الشيعة فحسب ، فان معز الدولة احمد بن بويه امر الناس في العاشر من المحرم ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء ، وان يظهروا النياحة ويلبسوا ثياباً عملوها بالمسوح ، ففعل الناس ذلك ، انظر ابن الاثير في حوادث عام ٣٥٢ .

فكيف ترى شأن هذا اليوم والملوك من آل بويه تتخذه يوم حزن ونياحة وتأمر الناس بذلك ، وكيف لا تقوى الشيعة على الاستمرار على تلك الشعائر والملوك تأخذ بايديهم .

وكان هذان اليومان مظهراً شيعياً ومن ثم قويدهما ملوك الشيعة ، ويخالفهما اهل السنة وجعلوا يومين يحاولون ان يقابلوا الشيعة فيهما ، وان حق ان لا يخالفوا الشيعة فيهما ، كما ان يومي الخلاف لا يصلحان الخلاف ، ولذا نجد السنة اليوم يشتركون في كثير من مظاهر الحزن في اليوم العاشر مع الشيعة ، بعد نسيان تلك المقابلات الذميمة المسببة عن التعصب الاعمى .

- موجعة لم يقع مثلها في الدهر ، وكفى باعثا على الحزن والبكاء عليه ان نواسي الرسول «ص» ونمتثل امره ، فقد بكاه وحزن عليه ، وامر بذلك قبل ان يقع رزؤه بعشرات السنين .

— وما اقتصر آل بويه على خدمة المذهب بمظاهر السرور يوم الغدير وشعائر الحزن يوم العاشر من المحرم فحسب، بل كانوا يبذلون جهدهم في خدمة اهل البيت من شتى الوسائل ، فكانوا يحترمون علماء الشيعة بجميع طرق الاحترام من التبجيل والعناية وبذل الاموال الكثيرة ، حتى ان عضد الدولة كان يركب في موكبه المعظم لزيارة الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان طاب ثراه ، وحتى قال ابن الاثير في حوادث عام ٣٧٢ « ٩ : ٨ » : وكان – أي عضد الدولة – محبا للعلوم واهلها ، مقربا لهم ، محسناً اليهم ، وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل (١) فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ، ومنها الايضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ ، الى غير ذلك .

وكلام ابن الاثير هذا يشهد بحبه لعامة أهل العلم لا الشيعة خاصة ، وهذا يرشدنا الى ما قلناه عن آل بويه اولا من انهم لم

---

(١) ولعل قصده وهو الالمعي تنشيط الحركة العلمية ، وحمل طلبة العلوم على الجد والتحصيل ، وتكثير اربابها ، ومن ثم كان مقصداً لرجال العلم ، واهلا لان تؤلف باسمه الكتب، وفي ذيل كتاب التمهيد للباقلاني في ترجمته ص ٢٤٦ قال ابو عبد الله وغيره كان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي يحب العلم والعلماء، وكان مجلسه يحتوي منهم على عدد عظيم في كل فن واكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد لهم مجالس للمناظرة .

يعارضوا مذاهب اهل السنة ، بل انه دليل على تأييده العلم من كل مذهب .

واسكنوا الشيعة في المشاهد المقدسة وخصصوا لهم الرواتب ، واجزلوا لهم العطاء ، فان تلك المشاهد اذا سكنت خف لها القاصدون ، وسهل على الزائرين الاقامة فيها .

واقاموا الابنية الضخمة وعليها القباب الرفيعة لتلك الضرائح الكريمة ، حتى ان عضد الدولة استقام في المشهد العلوي لتعمير المرقد الشريف هو وجنده قريباً من سنة ، فعمره عمارة كانت الغاية في العظمة والفخامة ، والاتمام في ذلك العهد ، وبنى الدور والرباطات ، واجزل العطاء للعلويين والعلماء والمجاورين وسدنة المرقد وقوامه ، واصلح القناة التي اوجدها آل أعين فاشتهرت بقناة آل بويه ، وعلى مثل ذلك جرت اعماله في المشهد الحسيني على من شرفه وآله وصحابه ازكى التحيات .

وما زالوا يقصدون هذه المراقد الكريمة زائرين وهم احياء ، وتنقل اجسامهم اليها وهم اموات ، وقد وجدت لهم قبور في صحن المرقد العلوي خلف المرقد مما يلي باب الصحن المعروف بباب الطوسي .

وجملة القول انهم اجتهدوا في خدمة المذهب ما استطاعوا ، واحيوا التشيع ما اقدروا ، حتى ان بعض المؤرخين اعترف بانتشار التشيع في عهدهم ، وتكثر الشيعة في دولتهم ، وآثارهم في ايران

والعراق شاهدة عليه ، وقد خلدها التأريخ لو اندرست ، ومن وقف

على تاريخ ايران قبل دولتهم وفي ايامهم عرف ما كان لهم من الاثر

الجليل في حفظ التشيع نشره وكفى لاستقامة التشيع وانتشاره استيزارهم

لمثل الصاحب بن عباد(١) الصارح في التشيع والمتفاني في سبيله، ولو اردنا

بسط القول في خدماتهم الدينية والمذهبيـــة ومناصرتهم للتشيع

لا تسع المجال ، وخرجنا عن الصدد فان البيان عن آثارهم تقصر عنه

مثل هذه الصحائف النزر .

---

(١) كان وزيراً لفخر الدولة آل بويه ، وكان عالما اديبا متكلما شاعراً جليل القدر فى العلم والادب والدين والدنيا ، اجتمع حوله من العلماء والشعراء ما لم يجتمع حول سواه اللهم إلا سيف الدولة آل حمدان ، ولاجله الف ابن بابويه طاب ثراه عيون الاخبار، والثعالبي يتيمة الدهر فى احواله واحوال شعرائه، وذكر ابن خلكان من مصنفاته كتاب الامامة ذكر فيه تفضيل علي بن ابي طالب واثبات امامته ، وكتاب المحيط في اللغـة ، وقد رأيت انا نسخة منه فى مكتبة الشيخ محمد السماوي فى النجف نسخها بقلمه ، وهو تلخيص كتاب العين للخليل قد حذف منه الشواهد الشعرية واحسن ترتيبه وتبويبه ، وقد بلغ من شأن الصاحب ان مدحه الشريف الرضي فى حياته ورثاه بعد وفاته ، وكانت ولادته عام ٣٢٦ ووفاته عام ٣٨٥ .

الشيعة والمغوليون (١) في ايران

لم تقم دولة ذات شأن بين الدولتين البويهية والمغولية – على بعد العهد بينهما – تناصر التشيع، وتأخذ بيده، بل ربما قامت بعض الدول ذات الحول والطول فحاربت الشيعة وناصبتهم العداء، كالدولة السلجوقية، واعمالها في محاربة الشيعة ببغداد وغيرها مسطورة في كتب التاريخ (٢)

نبغت الدولة المغولية واستولى هولاكو على ايران، وحمل على العراق في المرة الثانية، وقضى على بني العباس، فاعطى الحرية للمذاهب ومنها مذهب اهل البيت في البلاد التي تحت نفوذه كلها، كان هولاكو يحترم الاديان وارباها، ويعظم اهل العلم والصلاح، وان كانوا من غير اهل ملته، ومن ثم جمع بين علماء الفريقين الشيعة

---

(١) كان ابتداء دولة هولاكو في ايران عام ٦٥٠. وانتهاء دولة سلالته بموت ابي سعيد عام ٧٣٦.

(٢) في تاريخ الحضارة الاسلامية تأليف (فه بارتولد) نقله من التركية حمزة طاهر ص ٨٥: ضمن السلاجقة تفوق اهل السنة في ايران ولكنهم لم يقدروا على ازالة الشيعية منها ازالة تامة فالحقبة بين القرنين الخامس والسادس الهجريين كانت عهد جدال ديني عنيف في ايران.

والسنة يوم جاء فاتحاً العراق ، وما اباح بغداد لانها بلد اسلامي ، فكانت فعلته عداءاً للاسلام ؛ بل لانها حاربته وقاومته ، وهو سفاك فتاك ، يفتك في كل بلد يحاربه ويتغلب عليه وان كانوا من اهل دينه ، فكانت الاديان في عهده كلها حرة ، وبنهجه سار الملوك من سلالته (١) ، وان الشيعة ليكفيها في حياتها وحياة مذهب اهل البيت اطلاق الحرية لها فحسب ، واما المعاضدة والمناصرة من أمير أو وزير فذاك فوق المرغوب فيه والمطلوب .

ولما اطلق هولاكو للاديان والمذاهب الحرية ، ومنها مذهب أهل البيت ، ولم يتعرض بسوء لاهل الحلة والمشهدين الشريفين العلوي والحسيني وكلهم شيعة ، حسب البعض انه اسلم واعتنق مذهب التشيع ، إلا ان ذلك وهم ، لأن ما سبق وحده لا يصلح برهانا ، لاسيما والحرية عامة ، واما سلامة هذه البلاد الشيعية فكانت

---

(١) ومن اطلاقهم الحرية للاديان ان الصاحب عطاءالملك الجويني صاحب ديوان الدولة الايلخانية المغولية ايام السلطان اباقا بن هولاكو قام بحفر نهر من الفرات الى النجف ، وحيث لا يصل النهر الى ارض النجف لارتفاعها عن مجرى الفرات مما يلي الكوفة حفر قناة من النهر الى النجف واجرى الماء الى النجف في رجب عام ٦٧٢ ، وقد عمل رباطا في النجف ، ووضع اساسه في هذه السنة كما في فرحة الغري لابن طاووس طاب ثراه مع ان اباقا يومئذ لم يكن على مذهب الجويني

بتدبير علمائها واهل الرأي منها ، فانهم اخذوا منه الامان لها قبل فتحه لبغداد ، وانما جلب هذا الوهم هو ان السلف اعتادوا على اضطهاد الشيعة ، والشيعة اذا رفع عنهم الحجر اطلعوا رؤسهم وظهر أمرهم ، وهذا أحد الاسباب لتضييق مناوئيهم عليهم ، وسد ابواب الهواء عنهم ، وجهلوا ان مثل هولاكو ان سلب الحرية من مذهب فلا وجه لسلبه من الشيعة خاصة لانه ـ ان بقي على الكفر ـ كان عدواً لمذاهب الاسلام كلها .

أسلم من ملوك المغول اربعة ، تكودار بن هولاكو وتسمى باحمد ، وغازان بن ارغون بن بغا بن هولاكو وتسمى بمحمود ، ونيقولاوس اخو غازان وتسمى بمحمد خدابنده ، والقاآن بها درخان ابو سعيد بن محمد خدابنده .

فاما أحمد فلم تطل مدتـــه ، فانه لما مات اخوه ابا قاخان بن هولاكوخان استولى على العرش ، ولكن تغلب عليه ابن اخيه ارغون ابن ابا قاخان بعد حرب ومقاومة .

واما غازان فانه لما تغلب على بايدو واستتبت له الامور اسلم وأسلم معه من الجند مائة الف أو اكثر وهل تشيع بعدما أسلم ، ذلك ما لا يمكن البت به ، غير ان هناك امارات دالة على تشيعه منها انه لما جاء الى العراق في عام ٦٩٦ توجه الى الحلة وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فزار ضريحه المقدس وامر للعلويين بشيء كثير . ثم

قصد مشهد الحسين وفعل مثل ذلك ، وهكذا فعل يوم جاء العراق عام ٦٩٨ (١)

ومنها انه بنى ببغداد عام ٦٩٦ دوراً لضيافة العلويين الذين ينزلونها ، وسماها دور السيادة ، وانفق عليها اموالا طائلة ، ووقف عليها الاملاك والضياع .

ومنها انه حفر ثلاثة انهر من الفرات كان احدها لمدينة كربلاء (٢) الى امثال ذلك فغلب على الظن تشيعه ، لأن امثال هذه الامور لا يصنعها غالباً إلا من جرى دم التشيع في عروقه .

واما نيقولاوس محمد خدابنده فكان بدء اسلامه على مذهب ابي حنيفة ولما وفد عليه نظام الدين عبد الملك الشافعي ، وهو اعلم وقته من اهل السنة ، جعله قاضي القضاة في جميع ممالكه ، وكان يناظر علماء الحنفية بحضر السلطان فيفلجهم ، ولما ظهرت له الغلبة وحسن للسلطان مذهب الشافعي عدل عن الحنفي اليه ، غير انه عند ما كثرت المناظرات بين عبد الملك نظام الدين وبين علماء الحنفية ، وكان ينسب كل منهم الى مذهب الآخر من الرأي والفتوى ما لا يستحسن في الدين مثله ، ظهر عليه الملل والضجر ، وسأم الحال ، بل قيل : عدل برهة عن دين الاسلام ، وكان احد امرائه المقربين

(١) انظر الحوادث الجامعة في حوادث هذين العامين .

(٢) مختصر تاريخ بغداد ص ١٤١

من الشيعة وهو الامير طرمطار بن نجوبخشي ، فاخذ يطلعه على محاسن مذهب اهل البيت ويدعوه اليه ، فمايل له ، وفي هذه الآونة ورد على السلطان السيد تاج الآوي الامامي مع جماعة من الشيعة فوقعت بينه وبين نظام الدين مناظرات بحضر السلطان ، ثم جاء بعد ذلك الى العراق وزار مرقد امير المؤمنين عليه السلام ، فرأى ما تقوى به مذهب الامامية عنده ، فعرض ما شاهده على امرائه ، فحرضه على اعتناق مذهب اهل البيت من كان منهم شيعياً ، فامر باحضار العلماء من الشيعة ، فاحضر له العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر ، فامر السلطان قاضي القضاة نظام الدين بمناظرة العلامة ، واعد لهم مجلساً حافلا بالعلماء واهل الفضل ، فوقعت المناظرة بينهما في الخلافة - والسلطان يسمع تلك المناظرة - فظهر الفلج على قاضي القضاة ، وانتصر العلامة عليه ، فاظهر السلطان التشيع من حينه ، وامر به الجند واهل المملكة ، واجرى في جميع بلاده مراسيم المذهب الامامي ، وجعل السيد تاج الدين محمد الآوي نقيب الممالك .

فكانت هذه المناظرة سبباً لانتشار مذهب آل محمد (ص) في ايران حتى مد أروقته على جميع بلادها .

واما ابنه بها درخان ابو سعيد فانه من يوم امتلاكه ناصية الحكم كان على مذهب اهل البيت ، وبموته كان انقطاع دولة المغول .

وجملة القول إن من ازهى عصور التشيع كان عصر المغولية ،
لان الشيعة انتشقت طلق النسيم في عهدهم ، وظهر علماؤهم مناظرين
ومحاججين ، وكان ذلك العصر يفخر بعلماء جهابذة قلما يجتمع علماء
كثر في عصر مثله ، وهم امثال آل سعيد ومنهم المحقق صاحب
الشرائع والعلامة وابوه وابنه ، وآل طاووس ومنهم العالم البر مجد الدين
والسيدان الشريفان رضي الدين وغياث الدين ، وكانا نقيبي الطالبيين
في العراق في عهد المغوليه ، وكالخاجا نصير الدين الطوسي إمام الفلسفة
والكلام ، والذي تولى وزارة الاوقاف في الممالك المغولية في عهد
هولاكو ، الى كثير سواهم .

الشيعة والصفوية (١) في ايران

لما ان قرضت دولة المغول انقسمت بلادهم الى دول صغيرة شيعية ، احتلت كل دولة قسما من المملكة المغولية كالدولة الجويانية، التي امتلكت آذر بيجان والعراق العجمي وديار بكر وبعض حدود الروم ، والدولة الايلخانية ، التي امتلكت قسما من ايران من حدود آذر بيجان الى العراق العربي والفرات العربي ، وبعد حين استقر ملكها في العراق فقط ، والسربدارية التي تغلبت على خراسان وسبزوار وغيرها ، والمرعشية ، التي استولت على آمد ومازندان ، الى غيرها من الدول ، وما قامت دولة تحكم بلاد ايران كلها بعد

(١) كان بدء الدولة الصفوية عام ٩٠٥ وانتهاؤها عام ١١٤٨ حين قبض نادر شاه على زمام الحكم ، وقطع الخطبة عن الشاه عباس الثالث ، وكان نادر يومئذ القائد الوحيد ، والصفوية علوية موسوية ، وزعم بعض المؤرخين الذين يميلون عن الصفوية بل عليهم ان آباء الشاه اسماعيل كانوا من الصوفية اهل الطرائق وزعمائها ، وكانوا من السنة ، وان اول من اظهر التشيع وجاهر به الشاه اسماعيل ولو سردنا عليك بعض تلك الكلمات لعرفت كيف تشوه النزعات المذهبية اوجه الحقائق ، وكيف يضيع الحق من جراء ارضاء النفس بالقذع الشائن ، والسباب القبيح .

المغول الى ان نهض الشاه اسماعيل (١) واخذ بتلك البلاد من فارس كلا ، واسترجع العراق واستولى عليه .

وللشاه اسماعيل في العتبات المقدسة في العراق آثار جليلة ، منها بناء حرم الكاظمين عليهما السلام والمسجد الكبير الذي خلف الحرم ، وهو اليوم معروف بمسجد الصفوية .

وهو اول سلطان من الصفوية ، واول همه من ترويج مذهب الامامية في جميع البلاد التي امتد اليها سلطانه ، وقوي فيها نفوذه ، وكان يرسل الدعاة والمبشرين الى البلاد التي يريد احتلالها فيدعوهم الى اعتناق مذهب اجداده أهل البيت قبل فتحها ، وكان يفتخر بهذا الشأن ترويج مذهب آل محمد (ص)

وكان محباً للعلماء والعلويين حسن السيرة معهم ، واتخذ منهم النقباء والصدور ، فكانت دولته جامعة بين السلطة الزمنية والروحية ، واستعان بالعلماء في نشر الوية المذهب ، وتشييد اركانه ، وخطب باسماء الائمة الاثني عشر عليهم السلام على المنابر ، وتم له ما اراد

---

(١) كان نهوضه عام ٩٠٥ ووفاته في اربيل عام ٩٣٠ وبها دفن ، ولقد اعتمدنا كثيراً فيما نكتبه عن الصفوية والافشارية والقاجارية على كتاب « آثار الشيعة الامامية » الجزء الثالث الذي هو في ملوك الشيعة لحضرة الفاضل البحاثة المعاصر الشيخ عبدالعزيز الجواهري كما اعتمدنا عليه في موارد اخرى من هذا الكتاب.

من نشر المذهب الجعفري على جميع ربوع ايران ، فلم تعترض في طريقه عقبات كأداء تحول دون ما اراد .

وعلى نهجه سار الملوك من سلالته ، فان نهر الطهماسية حوالي الحلة من آثار الشاه طهماسب (١) بن الشاه اسماعيل ، وقد امر بحفره ليجري الماء الى النجف ، ولكن بالرغم من تلك الجهود العظيمة لم يصل الماء الى النجف لارتفاع ارضها عن مجرى النهر .

بل خطا الشاه عباس الاول (٢) خطوات كانت اوسع من خطوات الشاه اسماعيل في نشر اعلام مذهب اهل البيت ، فله آثار مهمة ، وخدمات جليلة ، تشهد بما كانت له من مساع ونصرة ، ولا غرابة فقد كان المرشد الى تلك الحسنات الجميلة العلامتان الجليلان الشيخ محمد بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي والسيد مير محمد باقر الداماد .

وبلغ من اعظامه للائمة من اهل البيت انه في احدى زياراته العديدة لمرقد الامام الرضا عليه السلام مشي راجلا من قاعدة ملكه اصفهان الى مرقد الامام في خراسان ، ومعه اكابر الدولة ، والمسافة

(١) ولد في ٢٨ من ذي الحجة عام ٩١٩ ، وملك عام ٩٣٠ وتوفي فى صفر عام ٩٨٤ .

(٢) ولد عام ٩٧٩ وجلس على عرش الملك رسما عام ٩٩٦ وقبض فى عام ١٠٣٧

تقدر بـ ١٩٩ فرسخاً ، وفي زيارة اخرى كانت عام ١٠٢١ وسع الصحن الشريف ، واحدث فيه عمارات سامية ، وقنوات مهمة ، واما آثاره القيمة التي اودعها خزانة الامام الرضا عليه السلام من الجواهر والتحف الثمينة والفرش والمصاحف والكتب الى ما سواها فما اكثرها ، وهكذا كانت هداياه لخزائن الائمة في العراق وضرائحهم .

ومن حسناته الخالدة في ايران الى اليوم المساجد والمآذن في اصفهان وغيرها والقنوات والابنية في طرق العابرين للمشاهد المقدسة في العراق . وان من آثاره الحميدة بناء الصحن العلوي القائم اليوم . وكان بناؤه بنظر وهندسة الشيخ البهائي المذكور . كما هو معروف بين الناس . وتتناقله الالسن . وعليه شواهد (١) كما ان من آثاره

---

(١) إلا ان حجة الاسلام السيد حسن الصدر ادعى في كتابه الوجيز ـ نزهة اهل الحرمين في عمارة المشهدين ـ ان بناء الصحن الشريف كان من آثار الشاه عباس الثاني وان اباه الشاه صفي هو الذي اشتغل ببنائه وعاجله القدر قبل ان يتم ، فاتمه الشاه عباس الثاني ؛ وعلى اي حال فان الظاهر ان النهر المعروف بالمكرية وبنهر الشاه هو من آثار الشاه صفي لا الشاه عباس الاول ؛ لان الماء جرى من قناته الى النجف عام ١٠٤٢ ؛ والشاه عباس الاول قبض عام ١٠٣٧

في النجف آباراً واسعة كثيرة وهي الى اليوم تسمى (الشاه عباسيات)

واما اعزازه لاهل العلم وتقديره للعلماء . ورواج سوق العلم في اوانه . وما وقفه على العلماء والعلويين فهو معروف لا يجهله أحد .

وجملة القول ان الدولة الصفوية لم تكن دولة سياسية فحسب . بل كانت دولة تهتم لخدمة الدين وترويج الشريعة . لاسيما اول ملوكها الشاه اسماعيل وحفيده الشاه عباس الاول . وآثارهم في ذلك ماثلة للعيان . وكان ذلك دأبهم الى آخر عهدهم وتغلب السلطان نادر شاه الافشاري على دولتهم .

وكانت تلك العصور وما قبلها عصوراً تفتخر فيها الملوك بترويج الشريعة . لعل سبب ذلك هو ان الروح السائدة في الناس تلك العهود هي الروح الدينية . أو لان الملوك تحترم العلماء وتدنيهم وتتبرك بآرائهم . وهل يهم العلماء بغير تنفيذ نظام الدين ونواميس الشريعة . واذا كان لرأي العالم وقوله أثر في سير الدولة تغلب على البلاد نظام الشرع وراجت قوانين الدين . ومها خالف الملك في نفسه احكام الشريعة فهو يحافظ على الظاهر الدينية وانتمائه للشريعة .

وكان قوام نشر الاديان ذلك لزمن الغابر بتعاضد الملوك والعلماء . ولا نجد عهداً تروج فيه الخلاعة ومنابذة انظمة الشريعة الا والملوك فيه تبتعد عن العلماء ولا تصغي لنصائحهم ولا تستمد بارائهم ودعواتهم الصالحة .

الشيعة ونادر شاه (1) في ايران

انك خبير بما تم لنادر شاه من الفتوح ، واستيلائه على ايران والهند والعراق والبحرين والافغان وبخارى وغيرها بمدة وجيزة ، ولم يكن نادر كالصفوية في اهتمامه بشؤن الدين وترويجه للعلم وتقديره للعلماء ، ولم يسمح لهم في التداخل بشؤن الدولة ، كما سمحت الصفوية من قبله ، نعم لم يقصر عن الصفوية في خدمة المراقد الشريفه لائمة اهل البيت ، فان ايهان القبة والخزانة العلويتين ، اللتين طلى الاولى منهما بالذهب الابريز ، وملأ الثانية بنفائس العقود والجواهر وغيرها يوم عاد من الهند فاتحاً . ليفصح ناطقاً عما صنعه نادر شاه من الحسنات المشكورة والخدمات الجليلة ، كما يشهد لولائه واخلاصه ماصنعه من العمارة في المشهد الرضوي بطوس ، وقد جاب له الحجر الرخامي من آذربجان ، وما عقده من الصلح مع العثمانيين على شروط منها ، اعلان الدولة رسمية المذهب الجعفري كالمذاهب الاربعة ، ومنها بناء ركن خاص له في مكة المكرمة ، ومنها حماية الحاج الفارسي في طريق مكة ولكن آل عثمان ماوفوا له بعهد ولا شرط خصوصاً رسمية المذهب وبناء الركن .

ولما جاء إلى العراق جمع بين علماء الفريقين ـ الشيعة والسنة ـ

---

(1) ولد نادر عام ١١٠٠ وتسنم عرش السلطنة عام ١١٤٨ وقتل في جمادى الاولى عام ١١٦٠

وامرهم بالمناظرة وتوحيــــد المذهب ، وتم له ماأراد من الاجتماع والمحاججة ، ولم يفلح في الثانية وان اظهروا الوحدة زمناً قديراً حذراً من بطشه .

ثم مازالت ايران بعده ذات حروب وفتن ، وما استمرت سلالته في الحكم الا سنين قلائل ، قضوها بالحرب والجلاد ، الى ان قامت الدولة الزندية ، وليس لها شأن كبير يعرف في خدمة المذهب والشيعة لأن سلطانها لم يعم ايران ولان ايامها انقضت بالحروب مع اول ملوك القاجاريين اغا محمد خان .

الشيعة والقاجارية (١) في ايران

كان ابتداء نبوغ القاجارية أيام الشاه نادر ، وما تم لهم ملك ايران الا بعد تقويض الدولة الزندية على يد اغا محمد خان عام ١٢٠٢ ولما اعتلت القاجارية أسرة الحكم اعادت النفوذ الروحاني ، وخدمت العلم والعلماء بشتى السبل ، وقد انقاد بعضهم للعلماء كفتح علي شاه(٢)

---

(١) اول من ملك منهم جميع البلاد الايرانية هو السلطان محمد خان ، وقد ملك زهاء ٢١ عاما ، وقتل عام ١٢١١ ، وآخر ملوكهم احمد شاه ؛ وكان سقوطه عن العرش بتدبير رضا شاه عليه عام ١٣٤٤ .

(٢) جلس على العرش عام ١٢١٢ وتوفى عام ١٢٥٠ ، وفي ايامه زار الصدر الاعظم امين السلطنة العتبات المقدسة في العراق وحفر نهر الشاه واوصله الى خندق الكوفة واجرى منه قناة محكمة البناء تشق وادي السلام ؛ وتنتهي الى النجف .

حتى كاد ان يخلع نفسه ويقلد الحكم ذلك العالم الزعيم لو اراده، وشأنه في اعزاز اكابر العلماء واعلاء شأنهم معروف لا يجهل .

ومن جراء تمسكه بالدين واهتمامه برجاله الف له العلماء الكتب العديدة ، ومنهم العلامة الاكبر الشيخ جعفر ، وقد الف له كتاب « كشف الغطاء » .

وكفاك شاهداً على علو مقام هذا الشاه عند اهل الدين ، واكباره رجال العلم واعتنائه بأمر الشريعة ما اطراه به الشيخ المزبور في ديباجة الكتاب ، وقد احتفى الشاه بالشيخ الاكبر يوم زار ايران واكبره اكباراً لا مزيد عليه .

وقد الف له ايضاً الميرزا محمد جعفر الاسترابادي « قده » (كتابه نجم الهداية) والمولى علي اكبر الايجي الاصفهاني كتاب « زبدة المعارف » في اصول الدين والاخلاق والمعارف ، الى غيرهم .

ومن حسناته - وما اكثرها - طلي القبة الحسينية والايوان بالذهب ونصب شباك من الفضة على الضريح الاقدس، وبناء قبة على مرقد العباس عليه السلام ، وطلي قبة السيدة فاطمة بنت الامام موسى بن جعفر عليها السلام المدفونة بقم بالذهب ، وبناء صحن وسيع لها ، وبناء صحن الرضا عليه السلام ، واهداء عدة قناديل ذهبية لحرمه المقدس ، ونصب ضريحين فضيين على مرقد السيد عبد العظيم (١)

(١) هو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام ؛ وعن ثواب الاعمال ان رجلا من

المدفون بالقرب من ـ طهران ـ ومرقد السيد احمد (١) بشيراز الى ماسوى ذلك من بناء المدارس والمساجد وغيرها مما ينبينا عن شدة تمسكه بعرى الدين ، وتوفقه لخدمات اهل البيت الطاهر ونصرة مذهبهم .

ولم يقتصر على ترويج الدين والعلم فحسب ، بل روج الادب ايضاً ، فانه كان يجزل العطاء للشعراء والادباء ، فذاع عنه ذلك حتى قصده أرباب الادب من الفرس والعرب فمدحوه ، والفت فى نشر احواله الكتب المفصلة . ولهم معه فى ناديه الادبي مطارحات ونوادر وظرائف ونبغ فى أيامه من الفرس شعراء مجيدون .

ولا تنس ماقام به حفيده ناصرالدين شاه (٢) من الخدمات الكبيرة للمذهب والعناية بشأن العلم وذويه ، فهو حقيق بان يسمى « ناصرالدين » .

اهل الري دخل على الهادي عليه السلام فقال له : اين كنت ؟ قال : زرت الحسين عليه السلام ، قال : اما انك لو زرت قبر عبدالعظيم عندكم كنت كمن زار الحسين عليه السلام

(١) وهو المعروف اليوم بشاه جراغ وهو ابن الامام موسى الكاظم عليه السلام وكان ابوه ابو الحسن موسى يحبه ويقدمه ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة ، ويقال انه اعتق الف مملوك ، الى غير ذلك مما هو مذكور في كتب الرجال من فضله ورعاية الامام الكاظم له .

(٢) ولد فى صفر عام ١٢٤٧ ، واعتلى العرش عام ١٢٦٤ وقتل عام ١٣١٣ .

وقد عرف الناس كبير عنايته بالروحانيين يوم زار المراقد المقدسة في العراق عام ١٢٨٧ ، وما اظهره من الاحتفاء بهم واهتمامه بالاجتماع بهم ، واجزال العطاء لهم .

وهو الذي طلى بالذهب قبة الامامين العسكريين عليهما السلام في سامراء يوم زار العتبات ، وايوان المشهد الرضوي ، وقبة السيد عبد العظيم .

وكان من رجال الادب والشعر والظرف ، وله ديوان شعر ، وقد الف له كتاب مرآة البلدان ، وكتاب ناسخ التواريخ وغيرهما من الكتب .

وجملة القول ان القاجاريين كانوا من مروجي مذهب اهل البيت وناصريهم ، ومعاضدي العلم والعلماء ، وفي أيامهم كانت ايران زاهرة بالعلماء لكثرة من فيها منهم .

واما المهاجرون منها الى النجف الاشرف فلربما ناهزوا العشرة آلاف ، فكانت روضة العلم في ايران والعراق بفضل اهتمامهم بشأن اهل العلم زاهية المنظر ، طيبة المجتنى الى ان حدثت الفتن في ايران بسبب الانقلاب الدستوري ، في عهد الشاه محمد علي وعمت الفوضى فيها ، وعطلت فنكب فيها اهل العلم ، وانقطعت الصلات من ايران عن المهاجرين منهم الى العراق ، فاضطر كثير منهم الى العودة الى اوطانهم .

وفي ايامهم انتشرت المطابع الحجرية في ايران ونشرت بفضلها كتب الفقه والدين وسائر فنون العلم وما زال النفوذ الروحاني مخيما على ربوع ايران سهلها وجبلها، الى ان انقرضت دولتهم، وزالت شوكتهم.

وصفوة البيان أن فارس في القرن الاول بعد الفتح كانت لا تعرف الولاء لاهل البيت (ع).

وانما نبع فيها التشيع وعرف فيها الولاء في القرن الثاني في عهد الامويين، وظهر في اخريات الثاني، وفي الثالث في الثلث الاول من دولة بني العباس.

وبعد حلول الامام الرضا عليه الصلاة والسلام في خراسان، وما بعد ذلك لاوان.

وانتشر في الرابع والخامس ايام آل بويه، وتراجع القهقرى اياما في عهد السلاجقة، واتسع نطاقه في عهد المغول وما بعده من القرن السابع من الهجرة النبوية (ص) الى ان وثب الشاه

اسماعيل فى اوائل القرن العاشر ، وما عم التشيع بلاد فارس إلا فى هذا القرن ، وما زال فيها حتى اليوم من السنة قوم من الاكراد فى سنة ومن العرب فى عربستان ، وقد يوجد فى غيرها .

واذا تجلت لك هذه الحقيقة مدعومة بالبرهان والوجدان ، عرفت ان الفرس هي التي اعتنقت التشيع ، وما عم بلادها إلا بعد قرون جمة ، لا ان التشيع اخذ عن فارس ، اترى يصح ان يكون ما نبغ فى عهد الرسالة وجرى في عروق صفوة الصحابة يكون مستقاه مني القهقرى من القرن العاشر ، رحماك ربي ما هذا الخطل والبهتان، بلى، ان العناد والاصرار على الخلاف ليوقعان المرء من حيث يدري ولا يدري فى انكار الشمس وهي ضاحية ، والعمى عن نور القمر ليلة البدر ، وما نقصد من هـذا القول إلا تنبيه اهل البصائر ورواد الحق الى التماس الحقائق من جدد السبيل دون ملتويات المفاوز ، التي تبعد بك عن القصد ، بل توقعك فى الطوى البعيدة ، وهل هو إلا العطب.

التشيع في الهند (١)

كان الهند يغزى ايام الخليفة الثاني ، وكان غزوه من قبل بلاد الافغان وفارس ، وهاجمت جنود المسلمين السند ايام امير المؤمنين علي عليه السلام ، وعادوا ظافرين ، وقد اسروا الالوف منهم ، ثم توالت الغزوات على السند والهند أيام الامويين ، فتمكنوا من اخضاع جملة

---

(١) لم تحضرني الوسائل الكافية للكتابة عن التشيع فى الهند ، ولا سيما وانا اجهل اللغة الاوردية ولا احسن الفارسية ، فلذلك كلفت حضرة الفاضل المهذب السيد محسن النواب اللكهنوى صاحب مجلة « الاديب » العربية بالامس يوم كان فى لكهنو ، واحد طلبة الفقه الجعفري اليوم في النجف(*) بتعريب مايدخل فى المطلوب من هذا الكتاب عن بعض المصادر الفارسية والهندية فقام احسن قيام ، فانا اشكره حقا على هذه المساعدة ، وقد اعتمدت فى هذا الموضوع على ما عربه حضرته وعلى بعض المصادر العربية .

(*) وقد رجع بعد ذلك الى الهند فهو اليوم فيها حفظه الله وزاد توفيقه .

من البلاد، وفي ايامهم اسلم بعض ملوكها ، ولما انتهت الدولة للعباسيين استتب لهم الامر في هاتيك البلاد ، وانت جد خبير بان شطراً من الولاة والامراء والقواد والجنود كان يحمل بين اضلاعه ولاء اهل البيت الطاهر ، وهذا من الاسباب لبث روح التشيع في الهند .

قال ابن الاثير في الكامل « ٥ : ٢٢٠ » : ثم دخلت سنة ١٥١، وفيها عزل المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة عن السند، واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي ، واستعمل عمر بن حفص على افريقية ، وكان سبب عزله عن السند انه كان عليها لما ظهر محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن ، فوجه محمد ابنه عبد الله المعروف بالاشتر الى البصرة فاشترى منها خيلا عتاقا ليكون سبب وصولهم الى عمر بن حفص ، لانه كان ممن بايعه من قواد المنصور ، وكان يتشيع ، وساروا في البحر الى السند ، فامرهم عمر أن يحضروا خيلهم ، فقال له بعضهم : انا جئناك بما هو خير من الخيل ، وبما لك فيه خير الدنيا والآخرة ، فاعطنا الامان اما قبلت منا واما سترت وامسكت عن اذانا ، حتى نخرج عن بلادك راجعين ، فآمنه فذكر له حالهم وحال عبد الله بن محمد بن عبد الله ، وانه أرسله ابوه اليه ، فرحب بهم وبايعهم ، وانزل الاشتر عنده مختفيا ، ودعا كبراء اهل البلد وقواده وأهل بيته الى البيعة فاجابوه ، فقطع ألويتهم البيض وهيأ لبسه من البياض ليخطب فيه ، وتهيأ لذلك يوم الخميس ، فوصله مركب فيه رسول من إمرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن

عبد الله ، فدخل على الاشتر فاخبره وعزاه ، فقال له الاشتر : امري قد ظهر ودمي في عنقك ، قال عمر : قد رأيت رأيا ، ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كبير المملكة ، وهو على شوكته أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو وفيّ . ارسل اليه فاعقد بينك وبينه عقداً فاوجهك اليه فلست ترام معه . ففعل ذلك وسار اليه الاشتر فاكرمه واظهر بره . وتسللت اليه الزيدية حتى اجتمعت معه اربعمائة انسان من اهل البصائر .

ثم ذكر ابن الاثير ان آخر أمره ان قتل وقتل معه الملك السندي . وبعث بسراري الاشتر وولده الى المنصور . فسيرهم الى المدينة . وكان المتولى للفتك بهما اسفنج اخو هشام بن عمر وعامل المنصور .

وهذا مما يرشدك الى وجدان الروح الولائية لآل محمد « ص » ذلك الأوان . بين ابناء هاتيك البقاع وبين المهاجرين اليها والذي ينبيك عن صدق هذا الشأن . هو ان بعض ملوك الهند كتب الى الصادق عليه السلام يعلمه بالهداية على يديه . وارسال بعض الهدايا اليه (١)

---

(١) كانت تلك الهدايا تحتوي على جارية وعطر وحلل وحلي فأبى الصادق « ع » من قبولها ، لان الرسول قد خان الجارية وقد اعلم الصادق الرسول بالخيانة ؛ وقد اعترف الرسول بالخيانة بعد الانكار الشديد وهذه من كرامات الصادق .

غير ان التشيع لم يلاق رواجاً في ذلك الحين . ولعل وقوفه من الظهور والانتشار اقلة دعاته وانصاره في بلاد الهند يومئذ.

نعم إن الذي اتفقت عليه كلمة المؤرخين هو أن ظهور التشيع جليا في الهند كان من بلدة ـ كجرات ـ وسببه الروابط التجارية التي كانت بين العرب والهنود ايام الجاهلية ، ولما بزغ بدر الاسلام في جزيرة العرب كانت تلك الروابط باقية ، ولم تنقطع لهذا الحادث الفجائي الذي أدهش الجزيرة ، وجلى غياهب الشرك عن سمائها ، وكان حبل تلك المواصلة رابطة متينة لنشر لواء التشيع في الهند ، بعد ان كان ابتدأ ودب

قال المستر « آرنولد » في كتابه « بريجنك آف اسلام » :

إن راجات الوثنيين في شمال كجرات كانوا يحسنون المعاملة مع وعاظ الشيعة وتجارهم ، ويحسنون اليهم ، وقد اعتنق التشيع جماعة كبيرة من الوثنيين بمساعي هؤلاء الوعاظ .

وقال بعض افاضل البواهر في كتابه « المجالس السيفية » إن المستنصر بالله الفاطمي (١) خليفة مصر ارسل الواعظ عبدالله الى

ـ عليه السلام واعلام امامته ، راجع المناقب لابن شهراشوب في احوال الصادق في باب اتيانه بخوارق العادة .

(١) ولي الامر وهو ابن ثمان سنين واستقام فيه ستين عاما ومات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة عام ٤٨٧ ، وكان امير جيوشه بدر الجمالي اماميا ولما عم الجدب بلاد مصر ايام المستنصر استوزر بدراً ، فمهد له البلاد وجلب لها الاقوات من ـ

دعاة اليمن ليتعلم عندهم اللغة الهندية ، ثم يسافر الى الهند للتبليغ ، فلما ورد عبدالله الهند اتفق ان وروده الى كجرات ايام الراجه جي سنگيه وكان متعصبا جداً على الاسلام ، وشديد الفساد للمسلمين ، بخلاف من مضى قبله من الراجات ،فلم يقدر عبدالله على بث الدعوة ونشرها جهاراً ، بل ادرع بالتقية ، وقد مر يوما اثناء اقامته على بئر جف ماؤه منذ امد غير قصير ، فانبع الماء بدعائه ، فاعتنق التشيع لذلك رجلان ممن شاهد الحال من قاطني كجرات المسلمين ، وهما « كا كا كيلا » و « كا كي كيلى » ولكن مع ذلك كان عبدالله لايخلع لباس التقية ويخشى من الجهر بالدعوة للتشيم حقنا لدمه ، فسافر الى العاصمة رفق اشارة ذينك الشيعيين الجديدين يرشد « المهنت » (١) عابد الصنم الكبير ، فلما وصل الى « المهنت » المشار اليه وجده يعلم الاطفال حروف الهجاء ، فكلمه باحاديث اعجبته جداً ، ثم استأذنه بالحديث سراً ، فلما خلا الواعظ عبدالله بالمهنت صار يناظره في مباحث عرفانية فما زال به حتى اسلم وتشيع ، وكان « بها رمل » الوزير الاعظم للراجه سنگيه يتبع المهنت ويصغي الى قوله ، فادخله المهنت في ربقة

ـ الاماكن النائية ، وكان ابنه ابو علي الافضل وزيراً للحافظ لدين الله ، ولما كان ابو علي صاحب السيطرة والتدبير اعلن المذهب الامامي الاثني عشري ، وجعله المذهب الرسمي في مصر وقتل عام ٥٢٦ .

(١) المهنت لقب زعيم المذهب عندالوثنيين .

الاسلام والولاء بعد مواعظ بليغة مؤثرة ، وحجج بالغة ، اخذها المهنت عن الواعظ ووعاها منه ، وما اكتفى عبدالله الواعظ بتشيع هذين العظيمين ، بل كان مطمح نظره نفس الراجه جي سنكيه ، وقد علم ان الراجه شديد الاخلاص والارادة للصنم الكبير ، وكان الصنم معلقاً في وسط القاعة في الهواء بغير دعامة ولا عمد ، فاتضح لديه بعد التروي والامعان ان هناك جواذب مغناطيسية بتوازنها في الجذب قد اوقفته ومنعته من السقوط . واقـــدم يوماً بجرأة على تلك الاحجار المغناطيسية فانتزعها من الجدران ، فخر الصنم الكبير ساقطا على الارض . وما كان الراجة على حسن ظنه السابق بالمهنت والوزير بها رمل ، فزاد سقوط الصنم في الطين بلة ، واشتد غضبه ، وحاصر المعبد بعسكر كثير ، فنظر عبدالله الى الراجة وتلا عليه آيات من الكتاب وادعيه فصار جسمه يلتهب ألماً فتألم عما قصده ، ثم صار ذلك سببا لان يسلم ويتشيع .

وفي ص ٨٤٢ من كتاب « جرنل ايشيائك سوسائتي بنگال » ان المستنصر بالله ارسل واعظ الى الهند وتشيع بمساعيه الراجي جي سنكيه ابير كجرات .

ثم رحل عبدالله الى « بتن » و « سدهه پور » وهما بلدان من بلاد « دكن » وادخل بسبب دعوته الالوف من الوثنيين في الاسلام ثم علم يعقوب بن بها رمل الوزير العلوم الدينية ، وانابه في الدعوة والتعليم ، وارسل يعقوب ابن عمه فخرالدين الى « راجبوتانه » بلدة

في الهند . ولكنه لم ينجح نجاحاً يذكر . واستشهد بعد سنتين . وبعد وفاة يعقوب قام ابنه علي مقامه في الدعوة والارشاد ؛ ثم بعده ابنه اسحاق . والذي يظهر ان اسحاق أو الذين خلفوه كانت لهم مساع جليلة في الدعوة والتبليغ في شمال الهند ؛ وذلك لان سلطان تغلق الذي كان في القرن الثامن من الهجرة ملكاً على « دهلي » عاصمة الهند اليوم وعاصمة الدولة المغولية بالامس يكتب في مذكراته اليومية ان بدعة الرفض في هذه الايام اخذت ترتقي يوماً . وصار مخلصو الدولة يتشيعون سراً . فارتأيت أن اقطع هذه الشجرة من اصلها ، فأمرت بقتل دعاة الروافض وحرق كتبهم . وهدرت دم كل من يتوهم فيه انه شيعي . بمن ظلم هذا السفاك الفتاك وقف انتشار التشيع في شمال الهند الى قرون .

التشيع فى الازمنة الوسطى

والدولة البهمنية

زعم الشاه عبدالعزيز صاحب كتاب « التحفة الاثنى عشريه » ان الملوك البهمنية كانوا كلهم من الشيعة الغلاة . ولكن محمد بن القاسم الملقب بفرشته المؤرخ الشهير صرح بان حسن كانكو مؤسس الدولة البهمنية كان من الموالين لنظام الدين العالم الشهير في اهل السنة ومن المعتقدين به الاعتقاد الخالص . واين هذا من نسبتهم الى التشيع .

فالحق ان قول فرشته اقرب الى الصواب لانه ورد الهند بعد انقراض دولتهم بقرن والشاه عبدالعزيز من بعدهم باربعة قرون . ففرشته اقرب لزمانهم ومن ذلك تعرف انه اقرب لمعرفة احوالهم . وكانت الدولة البهمنية قد استقام سلطانها اكثر من قرنين . ولما تصرم من عمر هذه الدولة قرنان مالت الى الزوال تدريجاً . لان آخر خلفاء حسن كانكو قد غمرهم الجهل . ولم يثقفوا الثقافة الضرورية للملوك

ولما اثلت عروش دولتهم انقسمت بلادهم الى امارات خمس العادل شاهية . والنظام شاهية والقطب شاهية . وهذه الدويلات الثلاث شيعية والبريد شاهية . والعماد شاهية . وهاتان سنيتان .

العادل شاهية والتشيع

كانت عاصمة هذه الدولة (بيجابور) ومؤسسها يوسف عادل شاه . وقد دخل عاصمة البهمنية وافداً من ايران وهو شاب ، وكان من مخاطي السلطان حيدر الصفوي ، والد الشاه اسماعيل رأس الدولة الصفوية . فتقرب بحذقه وحسن رأيه من الملك نظام شاه البهمني . حتى ارتفع عنده وعز لديه . بل وبلغ من الجلالة والشرف ان احد اولاد الملوك البهمنية تزوج ابنته الصغيرة (ستي بي بي) ولما اخذت تستقل عمال البهمنية فيما تحت ايديهم من البلاد نشر يوسف لواء الاستقلال على (بيجابور) وكان قائده العزم والثبات والنشاط . وفي بدء استقلاله وافته الانباء بان الشاه اسماعيل الصفوي خطب في

ايران باسماء الائمة الاثني عشر عليهم السلام. واعلن بان المذهب الرسمي في ايران هو المذهب الجعفري . وسعى حثيثاً لترويجه . فارتاح لذلك يوسف عادل شاه وقوت عزيمته على الخطبة يوم الجمعة باسماء الائمة الاثنى عشر . واضاف الى الاذان الشهادة لعلي بالولاية . وذلك عام ٩٠٤ هـ ، وهو أول من اقترح الخطبة باسماء الاثني عشر عليهم السلام في الهند ، وسعى لترويج التشيع فيها (١)

ثم ارسل العالم الجليل السيد احمد الهروي الى الشاه اسماعيل مستنجداً به فوعده النصر ، فكان هذا الوعد امضاءاً لعزيمته ، وتعزيزاً لقواه ، وإماتة لقوى اعدائه ، فكانت اعماله متوالية في خدمة مذهب أهل البيت ، وترويج معارفهم الى ان اتي ربه .

ثم ملك من بعده ابنه الشاه اسماعيل عادل شاه ، وكان ارسخ قدماً في التشيع من ابيه ، ولقد قهر جنده على لبس القلانس الاثني عشرية وهي تحتوي على اثنتي عشرة زاوية ، وكان ذلك شعار الصفوية في التشيع ، رمزاً الى انهم ينتمون الى الأئمة الاثني عشر في المذهب ، وامر باعلان البراءة من اعداء آل محمد صلى الله عليه وعليهم في جميع شوارع

---

(١) تاريخ فرشته [٢ : ١١] وقد سبق ان ابتداء الدولة الصفوية عام ٩٠٥ فلا يتفق ذلك مع ما سبق في الاصل الا ان يكون امتلاك الصفوية جميع بلاد ايران كان عام ٩٠٥ ، واتباع يوسف عادل شاه للشاه اسماعيل في الخطبة قبل ان يستولي الشاه اسماعيل على ايران كلها .

العاصمة (بيجابور دكن) وسككها .

ثم قام من بعده ابنه ابراهيم عادل شاه ولكنه اظهر التسنن فاسقط من الاذان الشهادة لعلي بالولاية ، ومن الخطبة اسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ومات وبه عاهات عديدة .

ثم ملك من بعده ابنه علي عادل شاه وقبل ان يقبض على ازمة الحكم حيث كان ابوه على فراش المرض اذن على طريقة الشيعة ، وكان هذا بفضل العالمين الجليلين الشهيدين الخواجه عناية الله الشيرازي والملا فتح الله الشيرازي ، لانهما كانا القائمين بتربيته ، الغارسين في قلبه حب أهل البيت والولاء لهم ، وهذا هو السبب لقتل ابراهيم أبوه عادل شاه لهذين العلمين ، وقتله لهما لم يثن ولده علياً عما حمله بين اضلاعه من ولاء آل محمد (ص) ، وكان ابوه قد ابعده الى قلعة مرج بعد قتل ذينك المجاهدين ، وجعل عليه الحرس والعيون ، ولما بلغ اباه اذانه بالشهادة لعلي بالولاية حاول ان يعهد لابنه الاصغر طهماسب بولاية الامر ، ولكنه علم ايضا انه يوالي أهل البيت .

ولما قبض علي عادل شاه على اعنة الامر اعاد الصلات الودية مع الدولة الصفوية ، وقد استرجع ما اغتصب من ممالك العادل شاهية ، بعد حروب كان المظفر الموفق فيها ، فكان هذا نهجه في التشيع ، وتلك انتصاراته وهاتيك شوكته وقوته ، الى ان قتل عام ٩٧٤

فقام من بعده ابنه ابراهيم عادل شاه الثاني وكان غلاما حدث

السن ، فقضت عليه واستولت على بلاده الملوك المغولية في دهلي ، وبه انقرضت الدولة العادل شاهية مأسوفا عليها .

القطب شاهية والتشيع

كانت هذه الحكومة في كولكندة دكن وحيدر باد ، ومؤسسها السلطان قلي قطب شاه ، وهو ايراني ايضا ، وكانت ولادته في قرية اسعد آباد من قرى همدان ، وورد الهند أيام ملكها محمود البهمني فاكرمه وجعله من امرائه ، ولقبه بقطب الملك ، ثم صار قائده العام، ولما تضعضعت اركان دولة محمود نهض فيمن نهض للاستقلال ، وسمى نفسه بقطب شاه ، وبنى قلعة كولكندة واعتصم بها ، وكان ايضاً من مخلصي السلطان حيدر الصفوي ، ولما رفع الشاه اسماعيل راية التشيع ، وروج مذهب اهل البيت ، واتبعه في ذلك يوسف عادل شاه ، اعلن به ايضا السلطان قلي قطب شاه ، وسار عليه وهو هادىء البال مطمئن الخاطر ، وجرى على مذهب اهل البيت مجداً ، وجاهرت الشيعة في بلاده بما تعتقده ، وهكذا انسجت على هذا المنوال سلالته، ولم تختلف أو تخالف أسرته المالكة في ذلك (١)

وحدثت له مع ملوك عصره وقائع كان النصر فيها حليفه .وقد قتل عام ٩٥٠ وكان قد ناهز التسعين . وكانت مدة حكمه ٦٠ عاما

---

[١] ملخصا عن تاريخ فرشتة « ٢ : ١٦٨ »

فقضى منها ١٦ عاما في نيابة محمود البهمني . و ٤٤ مستقلا بالحكم.

فتربع من بعده على دست الحكم ابنه جمشيد قطب شاه . واستقامت ايامه سبع سنين ومات بمرض الدق عام ٩٥٧ . وليس له في التشيع آثار مسطورة .

ثم ولي الامر من بعده ابنه ابراهيم قطب شاه . وكان ذا تدبير وعقل . وطالت أيام دولته فكانت ٣١ عاما . وتوفي عام ٩٨٨ عن ٥١ عاما .

ثم قبض على ناصية الحكم من بعده ابنه محمد قلي قطب شاه . وكان عاقلا حليما وبلغ من الشهرة في الحلم انه يعرف حتى اليوم بالسلطان الحليم وكان شجاعا مقداما فتح عدة بلاد . وبنى بلدة حيدر آباد . واوجد كثيراً من المدارس والمستشفيات في مملكته ، وفي ايامه انتشر مذهب الامامية في الهند ، وكان مجاهداً في اعلاء شعائر المذهب ، وكان يأمر بعقد المآتم الحسينية في جميع بلاده ايام عاشوراء .

واحكم روابطه الودية مع الشاه عباس الصفوي حتى ارسل اليه الشاه عباس خاطباً منه ابنته لاحد اولاده فاجابه الى ماطلب وسيرها اليه (١) وكانت وفاته عام ١٠٢٠ هـ

ثم استلم ازمة البلاد نجله محمد قطب شاه . وكان معروفا بالبر والصلاح . ومن آثاره الجليلة المسجد الجامع في حيدر آباد المعروف

---

(١) عن تاريخ فرشته « ٢ : ١٧٤ »

بمكة مسجداً . ولم يتم بناؤه على عهده . وله كان مجلس يحضره العلماء والادباء . وكان شديد التمسك بولاء أهل البيت . مناصراً لمذهبهم مات عام ١٠٣٥ هـ

ثم تسنم عرش الملك ابنه عبد الله قطب شاه . وسار على نهج آبائه من اعلاء كلمة التشيع ونصرته لمذهب اهل البيت . وكان محبا لاهل العلم والادب . مكرما لهم . وقد وفد عليه الكثير منهم وألفوا باسمه عدة كتب وأمر ببناء عدة مدارس . وفي عصره انتشرت المآتم الحسينية في عاشوراء وكانت وفاته في الثالث من المحرم عام ١٠٨٣ هـ

ثم علا اريكة الحكم من بعده ابنه ابو الحسن قطب شاه . المعروف بتانا شاه ، وقد حدثت له حروب مع « اورنك زيب عالم كير » احد ملوك المغول في دهلي كان في آخرها النصر حليف عالم كير فقبض على « ابو الحسن » وسجنه . واستولى على مملكة القطب شاهية وذلك في عام ١١٥ هـ

النظام شاهية والتشيع

كانت عاصمة هذه المملكة احمد نكر ، ومؤسس هذه الدولة الملك حسن ، وكان على مذهب أهل السنة ، واستمر عليه الى ان مات .

ثم استقل بالحكم من بعده برهان نظام الشاه ، وهو اول من

اختار مذهب آل محمد صلى الله عليه وعليهم ، وجاهر بالتشيع ، بعد ان كان شديد التعصب للتسنن ، وسبب ذلك ان الشاه اسماعيل الصفوي كان قد ارسل العالم الجليل شاه الطاهر الى دكن يدعوهم الى ولاء اهل البيت واعتناق مذهبهم ، ولما ورد الى دكن ورأى شدة التعصب من ملوك احمد نكر للتسنن ، اتقى من الاعلان بمهمته فاتفق ان مرض عبدالقادر ابن الملك برهان نظام شاه مرضا شديداً ، وعجزت الاطباء عن شفائه ، ولما أيسوا واظهروا العجز عن علاجه طلب العالم الشريف جليل شاه الطاهر مواجهة الملك ، وبعد ان اجتمع به قال له : إني ادعو بشفاء ولدك على ان تعتنق مذهب آل الرسول « ص » اذا عوفي ، فاجابه الى ذلك ، ولما نام الملك مساء ذلك اليوم رأى في منامه محمداً وخلفاؤه الائمة الاثني عشر عليه وعليهم السلام ، وهم يقولون : اللهم بحق علي واولاده اشف عبدالقادر ابن الملك ، ولا تخلف ميعاد ولدنا الطاهر ، فلما انتبه الملك مضى الى ام عبدالقادر فرآها في دهشة وعجب فسألها عما اعتراها من الاستغراب فاجابته بان الغطاء الذي على عبدالقادر تحرك من دون محرك وانبسط عليه ، وقد كان من شدة المرض لا يستطيع ان يحرك يداً ولا رجلا ، وهذا هو السبب لاندهاشي فجاؤوا اليه ورفعوا الغطاء عنه فوجدوه صحيحا سويا كأن لم تكن فيه علة ولا مرض ، وكأنه لم يمر عليه ذلك الداء العضال الذي اعيى الاطباء ، فمن ذلك اليوم اختار برهان شاه مذهب اهل البيت واعتقد ولاءهم ، وذلك عام ٩٤٤ ، واخذ من يومه يجهر بالتشيع .

ويجري عليه في عامة شؤونه . حتى في توظيف ارباب الدولة . وحتى في البراءة من اعداء آل محمد (ص) بكل صراحة وظهور . وامر بذلك في الشوارع والاسواق والمعابد والمساجد (١) وكانت وفاته في عنه عام ٩٦١ .

ثم قبض على صولجان الحكم ولده حسين شاه ، واستمر في الامر احد عشر عاما فمات عام ٩٧٢ .

ثم ملك ابنه مرتضى نظام شاه . وكان شجاعا ذا رأي سديد في تدبير الملك . وبصيرة في الحروب وخبرة بالسياسة . اتفق مع سلاطين بيجابور . وگولكنده على حرب راجات جنوب الهند الوثنيين فهزمهم مراراً . وفي ايامه اتسع نطاق ملكه . وكان مؤيداً لمذهب اهل البيت . وقتل عام ٩٩٦ وحمل جثمانه الى الحائر الحسيني بعد استيداعه في الارض زمانا .

ثم ارتقت الى عرش البلاد زوجته (جاندبي بي) وكانت مثقفة سائسة قوية القلب . قادت الجنود بنفسها بعد وفاة زوجها . وهزمت مراراً جيوش الشهنشاه اكبر . اعظم ملوك المغول في دهلي . واختل نظام احمد نكر بعد وفاتها للمنازعات داخلية . وتولى الحكم من بعدها خمسة من النظام شاهية . ولكن لم تقم لهم شوكة . ولم تطل مدتهم . وانقرضت دولتهم باستيلاء شاهجان احد ملوك المغول على احمد نكر

---

(١) عن تاريخ فرشته « ٢ : ١٠٩ - ١١٣ »

ولم يلاق في فتح بلادهم صعوبة تذكر . وكان زوال ملكهم في عام ١٠١٦ هـ فسبحان الدائم الذي لا انقضاء لملكه ولا زوال.

الشيعة والتشيع فى الهند

ان الصفوية القدح المعلى ف بث روح التشيع في الهند . واعلاء . مذهب اهل البيت . وفيما مضى اكبر شاهد على ذالك . فانه لم تعتنق النظام شاهية مذهب اهل البيت . ولم تجاهر به العادل شاهية والقطب شاهية . الا بفضل مساعيهم الجيلة .

يقول (المستر راس) في كتابه (ايران وايرانيان) : ان الملوك الصفوية لم يدعوا الخلافة كملوك الروم . لكونهم شيعيين . ولكنهم تمكنوا من بث روح الدين الاسلامي اكثر من سلاطين آل عثمان بحذقهم واستقلالهم . وكانوا - لانهم ساة شيعيون - محترمين عند ملوك دكن . وبلغ من احترامهم لهم ان يرسلوا بناتهم الى ايران لمصاهرتهم . وقد ادخلوا (بابر) (وهمايون) ملكي المغول الشهيرين تحت سيطرتهم . لنصرهم لها . وجعلوهما كعبدين بلا ثمن . الى ان مالا الى التشيع . ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يرسلون من وقت لآخر الشعراء والعلماء للدعوة الى التشيع في الهند . من مثل عرفي ونظيري الشاعرين الشهيرين . والحكيم فتح الله . والقاضي نور الله التستري . العالم الشهير . والحق انه لولم تجن الاقدار على الدولة الصفوية لكانت اليوم في الهند سلطة شيعية وحيدة . انتهى .

وفي الحقيقة اننا لانستطيع ان نحكم حكما باتا بتشيع (بابر) و «همايون» ملكي المغول. ولكن دب التشيع الى المغول من (ممتاز محل) (١) وهي ابنة ميرزا غياث وزير الشاه طهماسب الصفوي) فانه تزوجها الشاه جهان احد ملوك المغول فاولدها مراد وشاه شجاع وكانا مجاهرين بالتشيع (٢)

نعم يمكن ان يقال بتشيع «اورنكزيب عالم كير» احد ملوك المغول . وفاتح بلاد دكن . لانه اوصى ان توضع التربة الحسينية في كفنه . ومنع ان يشترى كفنه من اجرة كتابة القرآن ـ فانه كان يكتب المصاحف ويعيش بها ـ لانه زعم ان الشيعة تقول بحرمتها

وقد ظهر ولده الاكبر على علماء السنة في مناظرة مهمة وادرج في الاذان الشهادة لعلي عليه السلام بولاية الله (٣)

ولما كان هذا الزمن تقريبا زمن اضمحلال الدولة الصفوية لم يتظاهر غير هؤلاء من ملوك المغول بالتشيع . فكان من معز الدين جهاندارشاه الى اكبر شاه الثاني كلهم من السنة نعم مال الى التشيع اخر ملوكهم (بهادر شاه الظفر) بفضل مساعي العلامة المفتي السيد

(١) وهي التي تأثرت بدم القتيل غيلة ظلما وعدوانا العالم الشهير القاضي نور الله التستري، وقتلت به الجم الغفير ممن سبب قتله

(٢) اكسفورد تاريخ الهند

(٣) تاريخ الهند ص ٩ لمؤلفه شمس العلماء ذكاء الله

محمد عباس التستري المجتهد الشهير . ونجم الدولة دبير الملك اسد الله خان الغالب الشاعر الشهير

دولة اوده والتشيع

لم تنحصر آثار الدولة الصفوية في نشر لواء التشيع على ربوع الهند فى الملوك المغولية فحسب ، بل استقلت بمساعيهم فى الهند دويلات شيعية اخرى ، ارسل الشاه (طهماسب) ١٢٠٠٠ فارساً من جنوده لنصر همايون الملك المغولي والد « اكبر » اشهر ملوك المغول في تحصيل عرشه المغتصب ، وانسلكت جماعة كبيرة من الفرس في بطانة همايون لما وجدوه منه من الاكرام والاعزاز ، واقامت هذه الجماعة ـ بعد تقلص ظل دولة المغول ـ دويلات شيعية فى عرض الهند وطولها .

واول بطل نشر لواء الاستقلال ، وناهض المغول ، هو ابو المنصور صفدر جنك ، وما كان ملك وقته احمد شاه يقوى على مقاومته ورد جماحه حين اخذ يتدرج فى الاستقلال ، فما زالت تقوى شوكته الى ان ارتقى على كرسي الامارة المستقلة فى « اوده » (١)

إن امارة اوده لم تنشر لواء التشيع فى الهند فقط ، بل كانت باعثاً قويا على بقائه فيها ، واعلاء كلمته ، ونشر معارفه ، واقامة مآتم الحسينية ،

---

(١) ما يأتي قد ترجم عن قيصر التواريخ ، وعن سير المتأخرين ملخصا .

ومجالس الوعظ، وبناء الحسينيات والمساجد والمدارس العربية، واشباه مشاهد الائمة عليهم السلام، وهذه الاشباه تصنع في الهند تذكراً لمراقدهم ومايجري عليهم وطبعت الكتب العلمية، وردت هجمات أعداء التشيع عنه، وكافحت الدعايات التي تبث ضده من مناوئيه، واكرمت العلماء واعانت منازلهم ورتبت لهم الرواتب، ومنحتهم المراتب، ولقبتهم بالقاب جليلة، امثال سلطان العلماء، وتاج العلماء، وغير ذلك، حتى ان بعض الملوك منهم القى مقاليد الامر الى عالم عصره، وانعزل جانباً عن الادارة والتدبير، فلولا مساعي هذه الامارة لما بقي المذهب الشيعي باسم في الهند، لكثرة من يسعى من الفرق ويجد ويجتهد القضاء عليه وجملة القول ان هذه الامارة اسالت الذهب والفضة جداول في سبيل الدين ونشر معارفه واعلاء مذهب آل الرسول « ص »

ولم تنحصر الآثار الجميلة بهذه الامارة في الهند فحسب، وانما يصل من وقفيتها خيرية اوده الكل من النجف وكربلاء في كل شهر حتى اليوم ٣٧٥ ديناراً عراقية عن خمسة الآف روبية توزع على اهل العلم والفقراء، وهذا جزء من تلك الخيرية، وهي خيرية واسعة، ولها موارد الصرف في الهند اكثر بكثير مما يرد الى العراق.

وما كان ملوك اوده اشياعاً للشيعة وانصاراً لمذهب اهل البيت فقط، بل كانوا كلهم عدولا منصفين اسخياء، اولى شفقة على الفقراء فما اقل أمثالهم من الملوك في التاريخ.

ولما توفي ابو المنصور صفدرجنك خلفه ابنه شجاع الدولة ، ولقد حارب الانكليز مع شاه عالم ملك دهلي ، ومير قاسم والي بنغالي ، ولكنه انهزم ، فاسفر عن جعل امارته تحت نظارة الانكليز .

ثم استلم من بعده زمام الامر ابنه آصف الدولة ، وكان عادلا كريما يضرب المثل بسخائه ، وجعل عاصمة حكومته « لكهنور » بعد ما كانت « فيض آباد » وتوفي ولم يترك عقبا ، لانه لم يتزوج مدة حياته ، وترك آثاراً جليلة سجلها التأريخ في صحائفه البيض ، وهو الذي بذل مبالغا جسيما لحفر نهر من الفرات ، ليجري الماء الى النجف فاجراه واوصله الى الكوفة ، ومنه اليوم ري النجف ، بواسطة المضخات والانابيب ، ويعرف هذا النهر اليوم بنهر الهندية . واصبح بعد زمن مورد نهر الفرات ، ومنه تشق الجداول (١)

وبنى في لكهنور حسينية فخمة البناء ، تعرف اليوم بحسينية آصف الدولة وتعد من اكبر عجائب العالم، تزورها الناس من شاسع الامصار ومن مختلف النحل والاديان ، وحسينية في كور كهپور ، وهما معا موجودان حتى اليوم ، ولهما وقفيتان واسعتان ، الا ان الحسينية التي في كور كهپور وقفيتها قد استولت عليها السنة .

ثم ملك من بعده اخوه سعادة علي خان ، المدبر الضابط ، ولكن قضت عليه سياسة الغرب بكأس من السم القاتل .

---

(١) وكان تاريخ اجرائه «صدقة جارية» اي عام ١٢٠٨

فقام مقامه ابنه غازي الدين حيدر (١) واستقل بلقب الملك، باشارة من الانكليز ، وكان متصلبا في الدين ، شديد التمسك بالتشيع .

ثم ولي الامر بعده نصير الدين حيدر ، وكان قوي التمسك باهل البيت ، متناصراً للشيعة ، وله في نشر التشيع مساع كبرى ، ولقد اسس صروح الخيرات ، وبذل مبالغ طائلة في عزاء سيد الشهداء عليه السلام ، وبنى شبيهاً لضريحه .

ثم قبض على مقاليد الامور ابنه محمدشاه ، وكان ملكا عابداً ورعاً ، القى ازمة الملك الى مجتهد عصره سلطان العلماء السيد محمد بن العلامة ولدار علي غفران مآب (٢) وهو يعد من مجددي المذهب الجعفري في الهند على رأس القرن الثالث عشر من الهجرة .

واسس محمد علي شاه مباني الخيرات ، ومنها وقفه الكبير الشهير باسم وقف «حسيناباد مبارك» وعليه اليوم اعاشة اكثر سكان البلد وجزء منه ينفق على جامعة عربية هي اليوم وحيدة في شأنها في الهند تسمى بالجامعة السلطانية ، تدرس فيها العلوم الدينية ومبادؤها ،

(١) وزوجته هي صاحبة خيرية اوده وكانت نصرانية فاسلمت متشيعة .

(٢) وهذا اللقب لقب به بعد الموت ، وهو الى اليوم يعرف به .

فالدراسة فيها من النحو الى الفقه وأصوله ، وما في اقطار الهند من مبلغ أو واعظ او عالم له حظ من العلوم الدينية الا وينتسب اليها .

ثم تولى ابنه امجد علي شاه وحكم في الناس مدة وكان على وتيرة اباته السالفين ثم استلم اعنة الحكم واجد علي شاه آخر ملوك اوده ، وكان جامعاً بين العلم والمال ، شاعراً ذا قريحة حسنة ، وطبع جيد في الشعر ، وله مصنفات مطبوعة ، بعضها بالهندية ، وبعضها بالفارسية وديوان شعر مطبوع ايضاً وهو ما بين هندي وفارسي ؛ وكان يحب العلماء الشيعيين حباً جماً .

ومن المؤسف جداً ان مخالب الانكليز نشبت في جسم هذه الامة ، ورفعوا على بلادها لواء الاستعمار ، وتسلطوا عليها تماماً ، بعد ان كانت تحت نظارتهم ، وذلك بعد منازعات وحوادث جرت بينه وبين الانكليز ، بل وبينهم وبين ابيه من قبل ، وتلك سنة القوي مع الضعيف في ميدان النضال ، وعند نهمة الاستعمار ، فعزلوا واجد علي شاه بعد الشجار ، وكان ذلك بدسيسة من وزيره الخائن علي نقي خان ، في زمن امارة « دلهوزي » نائب الدولة البريطانية في عام ١٢٧٤ هـ

وتوفي الملك واجد علي شاه بعد ما غرس في قلوب الناس حبه ، وإن اهل الهند الى اليوم تلهج السنتهم بالثناء عليه ، وتفيض في بيان مآثره ، فانه كان شديد الرأفة برعيته .

دولة تالبور ودولة ميربور

تأسست في الهند هاتان الدولتان (تالبور) و (ميربور) بعد مدة من استقلال صفدرجنك مؤسس دولة أوده. ولكن قضى عليها الجشع الانكليزي بعد ما نصبوا الى اميريها امدائا لا صحة لها.

دولة بنغال وهارواريست

بعد وفاة «اورنكك زيب عالم كير» بقليل انحرف أمير ايراني اسمه (الله ورديي خان) عن الملوك المغولية وأسس - وهو شاب نبيه دائس - في مدة قليلة دولة مستقلة في هذه البلدان. وبقي مدة ملكا عليها.

ثم خلفه على العرش سبطه سراج الدولة. ولكن هزمته جنود الانكليز. على اثر شجار اهلي. وغدر من جنوده به.

فاقاموا مقامه صغير جعفر وكان قائد العسكر قبل ذلك. ولكنه ابى من تحمل ضيم الانكليز. فاقاموا محله صهره مير قاسم. ولما أحس ببعض الظلم اتفق مع شجاع الدولة امير اوده. وشاه عالم ملك دهلي على حرب الانكليز. غير ان الانكليز رشوا قواد الجيوش

فانهزم مير قاسم انهزاماً فاحشاً . فارجع الانكليز مير جعفر الى هذه الامارة ثانياً . إلا انهم لم يتركوا له نفوذاً في البلاد . وإنما كان ملكا في الصورة والسلطة بايديهم . وبعد مدة اضمحل امره . وان أولاد مير جعفر اليوم يعيشون كغيرهم من الرؤساء . يتقاضون مرتبات شهرية من الانكليز .

دولة ترجنابلي

ودولة اركات ، ودولة ميسور

تأسست في جنوب الهند الدولتان الاوليان لاميريها محمد علي وجندا صاحب . وكان محمد علي تحت نفوذ الانكليز . وجندا تحت نفوذ فرنسا . ولكن الانكليز سعوا بخدعهم بتفرقة الاهلين . واستعانوا باقترافهم على القضاء على دولتي صديقهم وعدوهم معاً . واستولوا على هاتين الدولتين تدريجاً .

وتأسست في جنوب الهند أيضا دولة ثالثة تعرف بدولة ميسور ، أسسها الامير الشجاع الذكي النبيه حيدر علي ، بعد ما قتل راجتها ، وقوي امره في مدة وجيزة في جنوب الهند كله .

ثم قام من بعده ابنه السلطان « تيبو » ولم يكن كأبيه فطنة وحذقا . وإن ماثله شجاعة وبسالة . ومن ثم لم يقدر على مقاومة انكلترا ، وان هزمهم مراراً ، وكان في آخر حروبهما ان الانكليز

حاصروا عاصمة ملكه ، باعانة نظام حيدر اباد ، وصراهت ، قوم من الوثنيين ، ثم قتلوه .

ومن غريب ما يحكى عن قوته انهم قتلوه وهو قابض على سيفه ، فارادوا انتزاعه من يده بعد القتل فلم يستطيعوا على ذلك ، لشدة امساكه عليه ساعة حياته ، فدفنوه والسيف بيده ، و بعد قتله استولى الانكليز على بلاده .

وتأسست في الهند بعد اضمحلال الدولة المغولية دول عديدة عظيمة متعاقبة ، ولكن اصطادها أجمع ، الانكليز بحبائل خداعهم باسرع وقت .

الدول الشيعية الحاضرة

الدول الشيعية الحاضرة هي . رامبور . بيكن بلي ، خير پورسكند وهذه الدويلات الثلاث كدول مستقلة ، لها انظمة خاصة ، غير أنها تحت نظارة الانكليز ، وحاصل كل دويلة منهن يربو على ملايين الروبيات .

واما حيدر آباد دكن فهي اكبر دولة مستقلة في الهند ، وقد نسب التشيع الى ملكها الحاضر « عثمان علي » وعلى ذلك دلائل وامارات ، امثال تظاهره في عاشورا بالبكاء وتقمص الحزن ، وعقده

لمآتم العزاء ، وجلوسه فيها ، وجعله يوم الغدير عيداً رسمياً كما عليه عامة الشيعة ، الى غير ذلك ، ولكن لما سألته رعيته رسمياً عن هذه النسبة لم يسجل على نفسه الاعتراف بها . وانما اجاب بانه من المفضلة، يعني بذلك من الذين يفضلون علياً امير المؤمنين على من تقدم عليه من الخلفاء .

البلاد الشيعية فى الهند

توجد الشيعة اليوم فى جميع اقطار الهند ، وليس في الهند بلد إلا وفيه ناس من الشيعة ، وهناك بلاد تختص بهم ، واخرى يكونون الا كثرية بها ، واليك اسماء البعض من هذه البلاد .

(الكنهور) وهي المركز الوحيد للشيعة الاثني عشرية فى الهند، وعاصمة مملكة اوده الفانية ، ومنبع علمائها قديماً وحديثاً ، ولها تقدم على جميع البلاد الهندية في الحضارة ، وتعد اليوم من اكبر البلاد العلمية ، وفيها مدارس عربية ، اهمها الجامعة السلطانية ، التي اشرنا اليها عند ترجمة محمد علي شاه أحد ملوك اوده ، ومنها مدرسة الواعظين وهي تختص بالتبليغ ، والمدرسة الناظمية ، وقد أسسها العلامة السيد ابو الحسن ، كما أسس الجامعة السلطانية ، وكان من اكبر علماء الهند فضلاً وورعاً ، ومادة الجامعة السلطانية من وقف حسينباد مبارك كما أسلفناه ، واما الناظمية فمن وقفه ناظم صاحب ، فسميت

باسمه ، والناظر عليها اليوم العلامة السيد نجم الحسن ، وهو ناظر أيضاً على مدرسة الواعظين . ولما اشتغل السيد نجم الحسن عن الناظمية بمدرسة الواعظين آلت الناظمية الى الانحطاط ، ومالت عمارتها الى الانهدام ، فانتقل التدريس منها الى الحسينية الناظمية .

وفي لكنهور الشيء الكثير من آثار الشيعة كالمساجد والحسينيات واشباه المشاهد المقدسة ما لو شرحناه لخرجنا عن الصدد .

واليها يرجع الشيعة في الهند من كل قطر ومصر في امهات المسائل الدينية والعلمية ، بل والسياسية وما سواها ، وفيها تقام اليوم المآتم الحسينية من هلال المحرم الى الثامن من شهر ربيع الاول كما تقام في عاشوراء من البلاد الشيعية . هذا مع ما تقام فيها جميع ايام السنة على النحو المألوف في غيرها من بلاد الشيعة ، وان كثرة هاتيك المآتم ومظاهر الحزن فيها تفوق على المآتم العراقية .

ومن البلدان ، جانبور ، امروها ـ وفيها مدرسة عربية ـ بتنا ، ـ وفيها مدرستان عربيتان ـ آله باد ، ظفر پور ، لاهور ، پنجاب ، بنارس ـ وبها مدرستان عربيتان ـ الايمانية ، الجامعة الجوادية ، فيض آباد ـ وبها مدرسة عربية ومديرها العلامة السيد شير حسن ، وهو ممن تلقى علومه الدينية في النجف الاشرف ـ سهارن پور ، ميرت ـ وفيها مدرسة عربية ـ حسين آباد مونگير . خير پور سند . بيكن پلي . سيال كوت . كويته . بمبي . حيدر آباد . جونپور .

كهجوه . نوگانوان . وبها مدرسة عربية . الى ما عداها من البلاد الكثيرة .

الراجات الشيعة في الهند

الراجة لقب للرئيس الذي هو ادنى مقاما من الامير ، واعلى مرتبة من الزعيم العام ، ووارد اكثر بلاد الراجات يربو على الملايين من الروبيات ، واليك اسماء بعض البلدان التي يملك امرها الراجات ، وهي :

محمود آباد ، سليم پور ، متوپور ، بير پور ، ديو كارن ، حسن پور ، اصغر آباد ، كشن كنج ، بهتومئو ، بلهرا ، الى ما سواها .

نفوس الشيعة في الهند

لم تحص نفوس الشيعة في الهنـــد احصاءاً مستقلا ، حتى يعلم عددها بالضبط ، وانما هي محصاة ضمن نفوس المسلمين عامة ، غير ان المعروف على السنة الخبراء ان نفوس الشيعـة ٣٥ـ٠٠٠ـ٠٠٠ خمسة وثلاثون مليونا .

فرق الشيعة في الهند

ان جمهرة الشيعة في الهند من الامامية الاثنى عشرية وفيها قليل من الاسماعيلية (١) والاسماعيلية على فرق والبهرة من فرق الاسماعيلية وربما يوجد غير الامامية والاسماعيلية من فرق الشيعة في الهند كالزيدية ولكن ليس لهم شأن وذكر.

مهن الشيعة وحرفهم في الهند

يوجد اليوم في شيعة الهند العالم الكبير، المرجع في التقليد، والشاعر النابغ، والكاتب القدير، والصحافي الذائع الصيت، والاديب البارع، والمحامي الشهير والطبيب النطاسي، والموظف الكبير في دوائر الحكومة، وذو الشخصية البارزة، والضليع بالسياسة والادارة الى غير ذلك من ولاة وراجات ونواب.

وهم يترفعون عن المهن الدنية، والحرف الوضيعة، كالكناسة والحلاقة، والسقاية، والحجامة واشباه ذلك، وانما مطمح انظارهم ومحط هممهم، المهن الحرة، والمكاسب الراقية، كالتجارة، والمحاماة والتدريس، والطبابة وما ضارع ذلك، وفقنا الله واياهم الى مافيه صالح الدارين.

---

(١) الأسماعيلية هم الذين يزعمون ان الامامة انتقلت من الصادق عليه السلام الى ابنه اسماعيل دون الامام موسى الكاظم (ع)

الشيعة في البحرين (١)

كانت البحرين من اعمال الفرس ، وكان اهل البادية منهم عربا ، واهل البلاد بين نصارى ويهود ومجوس وفرس ، وكان الوالي عليها عن ملوك فارس المنذر بن ساوى . فبعث النبي (ص) اليه والى

---

(١) تطلق البحرين قديما على مابين البصرة وعمان من ساحل بحر الهند مما يلي الجزيرة ، فكان يدخل فيها الكويت وقطر والقطيف والاحساء وغيرها من بلاد الخليج ، ولكن بعد ذلك تشعبت وصارت امارات عديدة ، واذا اطلقت اليوم يراد منها امارة آل خليفة ، واهم بلدانها المنامة والمحرق والرفاع والحد والبديع .

وكان النبي (ص) قد بعث العلاء اليها عام ثمان وقيل ست من الهجرة ، وتعاقبت عليها عدة امارات بعد الخلفاء كبني امية وبني عباس ، وفي ايامهم استولى عليها صاحب الزنج ثم القرامطة ثم الامارة العيونية ، وهي التي استلبته من القرامطة ، واستمر حكمها نحواً من ٢٥٠ عاما، ثم امتلكها الفرس الزنجيون ، ثم المغول ثم تيمور ؛ ثم تغلب البرتغاليون عليها وعلى القطيف ومسقط ؛ ولم يدم حكمها اكثر من اربعين عاما ، وجلاهم عن تلك البلاد السلطان سليمان العانوني بمساعدة انكلترا، ثم اختلف امراء جزيرة البحرين -

سيبخت مرزبان هجر (١) والى اهل البحرين العلاء بن الحضرمي يدعوهم الى الاسلام او الجزية ، فاسلم المنذر وسيبخت والعرب كلهم وبعض الفرس ، وصالح العلاء اليهود والنصارى والمجوس على جزية وهي نصف غلاتها ، وقيل عن كل حالم دينار ، ورجع العلاء بمال

ـ وكان اكثرهم من الشيعة فرفعوا شكواهم الى الشاه عباس الاول الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعا ومذهبا ، فلبى الشاه طلبهم وخلصهم من سلطة الاجانب ، وبسط الاجانب ؛ وبسط عليهم حمايته الشاهانية ، وما زال علم الحماية الفارسية خافقا عليها الى ان انتاب الانكليز ، وصار صاحب الحماية بعد وقائع وحروب كان أميرها العام منصور آل مذكور ، فاغتصبها منه آل خليفة بعد حروب ومعارك ، واستصرخ بحكومة فارس فلم تغثه وكان آل خليفة امراء « الزبارة » وهي بلدة في قطر على شاطىء البحر قبالة جزيرة البحرين ، ثم جاءها امير مسقط السيد سلطان عنوة يريد الاستيلاء عليها بعد ان أحس من اميرها الشيخ سلمان آل خليفة الضعف ، فصالحه الشيخ سلمان وجعل عنده رهينة احد اخوانه ، فارتحل به وبالغنائم الى مسقط ، وجعل عليها ولده السيد سعيد اميراً ، ثم استغاث آل خليفة بابن السعود بعد موت الرهينة ، فاستنقذها ابن السعود ولكن طمع فيها فاستولى عليها وبعد حين استرجعها آل خليفة بمساعدة امير مسقط ماليا وشغلت السعودي حادثة والي مصر معه عن البحرين وغيرها ، وهي اليوم بايدي آل خليفة تحت حماية الانكليز.

(١) المرزبان الرئيس والزعيم بعد الملك .

المجزية الى النبي (ص) وهو مال عظيم جداً، قيل إن النبي (ص) ماقبض قبله ولا بعده بقدره، ثم بعث اليها والياً ابان بن سعيد بن العاص الاموي، وكان من اولياء علي عليه السلام وشيعته والمتخلفين معه عن بيعة ابي بكر، ولما قبض النبي (ص) فارق ابان البحرين، ولعله اول غارس لشجرة الولاء فيها.

ثم لما رجع الامر لامير المؤمنين عليه السلام وامتد اليها سلطانه استولى عليها التشيع، ومن ثم لم يستطع معاويه ـ لما ولي الامر ـ ان يعزل عنها ولاة امير المؤمنين والحسن عليهما السلام.

وهكذا دامت محافظة على الانتساب لاهل البيت مذهبا، فلما ولي عبدالملك وفتح الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير فر بعض الشيعه الى البحرين خوفا من سطوته، فاقام واليها، فوجه عبدالملك اليها الجيوش فلم يستطع ان يفتحها حربا، فخدع بالمال اهل الشر والجهل منهم فجذبهم اليه، وبهم تمكن من اخضاع البلاد، وقتل اولئك النفر من مشاهير الشيعة وخيار اهل البلد، وحمل الباقين على مفارقة التشيع فابوا عليه، وندموا على مافرط منهم، وخاف بأسهم فصالحهم على نزع السلاح على ان يرفع الخراج عنهم، ثم دفن عين الحجور، وكانت اقوى عين في البحرين ودفن عين عيونا كثيرة فيها، يريد بذلك اضعافهم (١)

---

(١) عن كشكول العلامـــة الشيخ يوسف البحراني بايجاز وتصرف.

فدامت على التشيع لاتخشى من اعتناقه سلطة حاكم، ولا رهب من التصريح به سطوة ظالم، وتمثل الشيعة فيها اليوم اكثرية البلاد الا البادية.

وكان فيها كثير من العلماء والافاضل والشعراء، ولكن احرجتهم المواقف الفوضوية فاخرجتهم الى العراق وايران؛ كان التشاجر زمنا طويلا بين بعض الامراء عليها سببا للفوضى، والخطر على النفوس والنفائس، لهجوم الاعراب عليها في كثير من تلك الحوادث، وانت خبير بما عليه عرب تلك البوادي وعرب نجد من الوحشية وغلظ الطباع وحب الغارة والنهب والسلب، فكانت تلك الحوادث العديدة التي تقع مرة بين منصور آل مذكور وبين آل الخليفة، واخرى بين آل خليفة وبين صاحب مسقط، وتارة بينهم وبين آل السعود الى غيرها هي السبب لسلب الامن داخل البلاد، ومغادرة اهل العلم لاوطانهم، متشتتين لاجئين الى العراق وايران.

وفيها اليوم كثير من ابناء العلم، وفي كل زمن يوجد منهم جماعة في النجف الاشرف لطلب العلم وفقه آل محمد

الشيعة في القطيف والاحساء وقطر

اما القطيف وقراها فهي شيعية خالصة، واما الاحساء وقاعدتها - هفوف - فالشيعة فيها يشاطرون غيرهم، كما ان في قطر كثير من الشيعة، ولا يزال من هذه البلاد في النجف الاشرف مهاجرون

لتحصيل علم أهل البيت عليهم السلام . وفيها اليوم جماعة من أهل الفضل .

وكانت هذه البلاد ممتحنة بسلطة آل عثمان . ولما انتزعها منهم ابن السعود كانت محنتهم أشد وانكى فان ولاة ابن السعود وجنوده يتصرفون في هذه البلاد باسم الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ما شاءت لهم نفوسهم وشاء لها الهوى غير انها في هذه الايام أخذت سلطة ابن السعود تخف تلك الوطأة التي كانوا عليها من الشدة والضغط على الحرية المذهبية . فصاروا اليوم لا يلزمونهم بحضور الجمعة والجماعة . ويسمحون لهم بقصد المشاهد المقدسة . ولكن لا يرخصونهم في التظاهر بشعائر المذهب . لا سيما في عقد المآتم الحسينية والبكاء على قتلى الطف .

الشيعة في الكويت

وبلاد الساحل

اما الكويت فالشيعة داخل البلد يشاطرون غيرهم دون اهل البادية ، وهم يتمتعون بالحرية المذهبية كاملة ، ولا يجد امراؤهم آل الصباح وهم من اهل السنة فرقا في المعاملة بينهم وبين غيرهم وان شاركوهم في النحلة ، وفي شيعة الكويت اليوم كثير من أهل الثروة لسعة تجارتهم ،

وجلبها (وهي ساحلية) من الهند وأوربا ما يحتاجه أهل البادية بل وأهل العراق ، كما ان ذلك سبب اثراء امرائها ، ومنها اليوم تتسرب الى العراق أموال طائلة من طريق البادية والبصرة .

واما البلاد الساحلية كعمان ومسقط ودبي وغيرها فالكثير من أهلها شيعة وهم أيضاً يرفلون بابراد الحرية المذهبية ويقيمون الشعائر الدينية من غير معارضة من ارباب السلطات وان خالفوهم في النحلة، ولا يزال بين ظهرانيهم ناس من ابناء العلم للارشاد وتعليمهم احكام الدين « كما هو الشأن في الكويت أيضاً » ويفد عليهم كثير من رجال العلم وارباب المنابر الحسينية سوى المقيمين عندهم والجميع يقضون الزمن الكثير في ساحاتهم وهم في دعة وامان .

الشيعة في الافغان

إن دخول التشيع في الافغان كان من يوم دخوله في ايران ، غير انه لم يجد أنصاراً ونجدة كما وجدها في ايران ، بل ربما ناهضته السلطات وأهل البلاد واشتدت في مقاومته ، وان احسن يوم مر عليه يوم كانت الصفوية صاحبة السيادة على هذه البلاد ، واما حاله في هذه الازمان فيختلف حسب اختلاف ارباب السلطة ونزعاتها ، فلربما شاهد الضيق والضنك ، وأخرى الراحة والحرية ، وان أرغد عيش مر على الشيعة في هذه الآونة يوم كان ملك البلاد « امان الله

خان » فانه كان أوسع حرية لهم من سواه ، كما انه وجد منهم نصرة ونجدة لأنهم بواسل وفرسان جرب وطعان - يوم حار به (باچه سقا) واستولى عليهم الاسف يوم انتصر ابن السقا عليه ، بل شاهدوا من ابن السقا الشدة والخسف حينما قبض على ازمة الامور ، ولكن ايامه لم تطل ، حيث توفق نادر خان ملكها بالامس للانتصار على ذلك الفاتك الفاتح ، وقد قبض عليه واعدمه ، وان نادر خان - كما اخبرت عنه الوفاد من أهل تلك البلاد لزيارة المشاهد المقدسة - خبير بسياسة البلاد ، حسن السيرة مع الرعية . وهو من عائلة الملك المغلوب امان الله خان . واما الملك الجديد خلف نادر خان وهو ولده (ظاهر خان) فهو شاب جديد عهد بالامرة . فلا تسترق حاله مع الشيعة إلا بعد ان قبض على الحكم بيد من حديد (١)

وإن التشيع في الافغان في هذه السنين - وان كانت السادة من غيره - ينتشر ويسير . ويعتنقه الناس الذين من غيره . بل حتى من أهل العلم والعرفان . وان اهل العلم والمعرفة أجدر باتباع طريقة أهل البيت اذا اتضح لهم السبيل .

وشيعة الافغان اليوم مع شيعة تركيا و بلاد التتر المستقلة تقدر بعشرة ملايين من النفوس .

---

(١) والى اليوم لم يظهر لنا حاله جليا مع الشيعة ، واجتمعت عام ذهابي الى الحج بشخصيات محترمة من الافغان فوجدت منه غلظة على الشيعة .

الشيعة في افريقيا

فلنا ونقول : إن التشيع بوافق الاسلام كما دخل مصراً أرخيم على قارة ، غير ان انتشاره في افريقيا بعد ان دعا اليه ابو عبد الله الشيعي يوم جاء داعياً الى عبيد الله المهدي الفاطمي ، وابن عبد الله السبب الوحيد لتمهيد الدولة الفاطمية بافريقيا ، وفيها استفحل امرها ، ومنها تغلبت على مصر .

وصرى التشيع في افريقيا منتشراً الى ان قاومته السلطة وأهل البلاد يوم كان أمير افريقيا وصاحب الامر فيها المعز بن باديس ؛ بل حاربته وفتكت به الفتك الذريع ، قال ابن الاثير في حوادث عام ٤٠٧ (٩ : ١١٠) : وفي هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد افريقيا ، ثم ذكر ان السبب في ذلك هو ما ينسب اليهم من سب الشيخين ؛ وكان المعز بن باديس قد مر على جماعة منهم في القيروان وقد سأل عنهم ، فلما أحس الناس من المعز الميل عنهم انصرفت العامة من فورها الى درب المقلى من القيروان وهو مجتمع الشيعة فقتلوا منهم ؛ وذلك كان شهوة العسكر واتباعهم طمعاً في النهب ، وانبسطت ايدي العامة في الشيعة ، واغراهم عامل القيروان وحرضهم ، فقتل من الشيعة خلق كثير ، وأحرقوا بالنار ، ونهبت ديارهم ، وقتلوا في جميع افريقيا ؛ واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور

قريب القيروان فتحصنوا به ، فحصرهم العامة وضيقوا عليهم ، فاشتد عليهم الجوع ، فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ منهم بالمهدية الى الجامع فقتلوا كلهم ، وكانت تسمى بالمغرب « المشارقة » نسبة الى ابي عبد الله الشيعي وكان من المشرق ، واكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ، ومن باك حزين ، انتهى .

وهذه احدى النكبات الفظيعة التي لاقاها التشيع في حياته وما اكثرها .

ويظهر من ابن الاثير ان هذه الحادثة استأصلت الشيعة في جميع بلاد افريقيا ؛ ولكن من يقف على كثرة الشيعة اليوم في بلاد افريقيا يتجلى له ان روح التشيع مازالت باقية بعد ذلك الحدث المؤلم ، ولعلها دخلت هذه القارة مرة ثانية بعد فنائها في حادثة المعز .

وتقدر الشيعة اليوم في افريقيا بمليون ونصف مليون من الفرس ويشهد لكثرتهم في الوقت الحاضر ان بعض ذوي العلم من النجف يقصدون قسما من افريقيا كزنجبار (١) وغيرها بين وقت وآخر ، ولو لم يكن فيها من الشيعة نحو هذا القدر لما شد اليها الرحال من

---

(١) قد يجيء منهم اناس لزيارة العتبات المقدسة كل عام واجتمعت بجماعة منهم فى منى في الحج فوجدتهم جمعوا بين الثروة والعقل والصلاح والآداب .

فريق من اهل العلم على بعد المسافة بين البلدين ، وعلى ما في طريق البحر من الاهوال والمخاوف .

الشيعة في امريكا

اكثر السوريون ومن بينهم جبال عاملة بالهجرة الى الولايات المتحدة والارجنتين والبرازيل وغيرها من بلاد امريكا للعمل والتجارة وقليل منهم للزارعة ، وكان بدء هجرتهم من قبل نصف قرن تقريباً والشيعة فيها اليوم ما ينوف على الخمسين الفاً ، وهم فيها ذوو شأن وعزة ويقيمون شعائر الاسلام علناً . واسسوا مسجداً فخماً في الولايات المتحدة في « ديترويت مشكن » القريبة من العاصمة « نيويورك » وبه تقام لهم الصلاة جماعة . وبين اظهرهم من به السكن لهم في معرفة احكام الدين وهو حضرة العلامـــة الشيخ خليل بزي ولا تزال مواصلاتهم مراسلاتهم جارية مع اخوانهم العامليين في لبنان والنجف .

وفي امريكا ايضاً من الشيعة غير العامليين قوم من الفرس والهنود وقليل من العراقيين .

وللامريكانيين ميل الى الاسلام ورغبة فيه بل وتهافت عليه . واهم الاسباب التي تدفع بهم لاعتناق الاسلام هو البحث والتنقيب عن الاديان . والا فليس هناك دعاة من بني الاسلام ذوو كفـــاية ومقدرة وقوة حجة وعارضة وبصيرة في الاديان لتقوم بهم الحجة . على ان امريكا هي منبع الدعوة لمذهب « البرتستان » وهذه دعاتهم

لاتدع بلداً الا وولجته . ولاتترك مسلكاً الا ونهجته . تقتحم المخاوف ولا تهاب الاخطار . وهذا العراق العربي تنبيك بلدانه وقراه عمن كان يطرقها في كل عام من المبشرين وما ينشرونه من الكتب ويتفننون به من اساليب الدعوة . بل وتعرفك فيه مستشفياتهم والملاجئ . ومكتباتهم ومكاتبهم ومدارسهم وقسسهم عما اقوله واذعيه . وهم حتى اليوم مثابرون على الدعوة وان اخفقوا . ومجدون نحو الغاية وان لم يصلوا . وان تعجب من هذه المثابرة مع الاخفاق . وذلك الجد مع الفشل . فان الأعجب منه اننا بنو الاسلام مع مانراه من النجاح ملموساً في تهافتهم على الاسلام قد اخذتنا سنة الغفلة عن اليقظة للدعوة . وخامرنا داء الكسل عن النشاط للارشاد . تركناه وحده سائراً في طريقه يقطع المفاوز والقفار . ويتنقل من بلد لاخر . لانشد عضده . ولا نأوي وافده . وليتنا تركناه وشأنه لاله ولا عليه دون ان نألو جهداً في نقض شامخ بنائه . وقلع ثابت آساسه . بما عكفنا عليه من مخالفة احكامه . وفرطنا فيه من نبذ شرائعه وقوانينه .

نعم نحن اجرى من ليث في قتل بعضنا لبعض . واقوى ساعداً في دك حصون قوم لاخرين . وأسد أقلاماً لنبش الدفائن من ابناء ملتنا واشحذ صوارم افكار للحملة على ابناء ديننا . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وما هذه الا نفثة مصدور . ورنة آسف ! لايبلغ صداها سقف البيت . ولو نجد آذاناً صاغية . وقلوباً واعية . لما

يقف مداد القلم عند هذه الكلمات العزز وهو مليء الجوف أو يقف عن الجري في هذا المضمار وهو واسع الحلبة

الشيعة في الصين

دخل الاسلام الصين ايام العباسيين او من قبل · ولا يزال ينتشر ويسير · شأنه اذا خيم على قارة. غير ان التبشير النصراني اليوم يقاومه ويعترض في طريقه . ولكن ذلك لا يصد أبناء الاسلام عن جهادهم في سبيل بث الدعاية له · وترويج مبادئه الحقة ·

وللمسلمين في الصين جرائد ومجلات ومساجد وعلماء فلهم في «بكين» عاصمة الصين ثلاث جرائد . واحداهن تصدر في الاسبوع ثلاث مرات. ولهم جرائد اخرى في «تنستن» وفي (يونن) ومجلة شهرية في بلدة (ككدن) ويصدر المسجد في بلد «كانتن» مجلة شهرية اسلامية محضة · تصدر كل شهر الف نسخة · وترسل مجانا الى كبار كتاب المسلمين وعلمائهم وزعمائهم في انحاء البلاد. ولهم في (كانتن) ايضاً خمسة مساجد من قديم الزمان . وثلاثة منها جوامع عظيمة الشأن واما العلماء في الصين فحالهم من جهة المعاش ضيقة (١)

واما التشيع فهو يساير الاسلام ويرافقه . فما زال كالاسلام

---

(١) راجع العرفان ج ١٩ ع ٤ و ٥ ص ٥٤٠ المقال المعنون (الاسلام في الصين امس واليوم).

يسير في بقاعه . ويتسرب الى جماعاته ومجتمعاته . حتى كثر في هذه الآونة . وانتشر في هذه الازمات . فتقدر الشيعة اليوم في الصين . بأحد عشر مليونا من النفوس ولعلها كذلك في باقي السنين. ولا نعرف أن لهم صلة مع العواصم الشيعية والبلاد الموالية لاهل البيت . ولم نطلع حتى اليوم على مواصلة او مراسلة لهم مع اهل الدين والعلم في النجف .

ولما كان المسلمون بفريقيهم في الصين كثيرين . وهم اكثر من غيرهم معارفا وعلوما فقد يتقلدون المناصب العالية في الدولة الصينية كالوزارات والقيادات وغيرها . واحسب ان ليس هناك من فرق بين الشيعة والسنة في اقامة الشعائر الاسلامية ومظاهر الوحدة والاتفاق فاننا حتى اليوم لم نسمع ولم نقرء على كثرة نفوس الفرقتين بالشجار والشغب بينهما . يداً اوقلما أو لسانا . كما يقع في سائر البلاد التي تجمع هاتين الطائفتين . نسأله تعالى ان يمن على فرق المسلمين بالتكاتف والتعاضد وجمع الشتات وتوحيد الكلمة . انه خير موفق ومعين.

الشيعة في جاوى

إن في جاوى اليوم كثيراً من الشيعة . ويقدرون مع شيعة مالاقا وجزائر المحيط الهندي بمليون نسمة . ولبعدهم عنا لانعرف عن حالهم الا النزر القليل. ولبعض العلويين الحضرميين الذين في جاوى مراسلة مع بعض علماء النجف الاعلام . وللعلويين اليد الطولى في

نشر مذهب اهل البيت هناك . وكان منهم العلامة السيد محمد
السيد عقيل طاب رمسه من المجاهدين في خدمة مذهب آبائه وله
مؤلفات عديدة منها ، النصائح الكافية ، والعتب الجميل على اهل
الجرح والتعديل (١) وتقوية الايمان ، والقول الفصل ، وكان يقيم
فى « سنقافورا » من توابع الهند .

وكانت جريدة لعلوية الحضرميين اسمها « حضرموت » ترد
لبعض النجفيين ، وكنت اطلع عليها احيانا ، ولهم جمعيات ونواد
ادبية علمية تربط اواصر بعضهم مع بعض ، غير ان بعض اهل مصر
بل وبعض المناوئين لهم مذهبا من اهل البلاد لا يزالون يعارضونهم
فى نشر مذهب اهل البيت ، بل ربما سعوا بهم عند « هولانده » وهي
الدولة المستعمرة لهم ، زاعمين انهم يسعون لبث روح الاستقلال فى
الجاويين ، ليحملوها بتلك السعاية على النكاية والفتك بهم ، ولكن
« هولاندة » لم تعر صمما لتلك الوشاية الكاذبة ، والسعاية
الضالة ، كما كانت تفصح بذلك جريدة حضرموت (٢)

---

(١) قرظت هذا السفر النفيس بعد وروده الى النجف
ووقوفي عليه باشارة من ذلك العالم الذي كانوا يراسلونه، بقصيدة
نشرت فى بعض الصحف المحلية مطلعها :

هداة الحق اهدى للسبيل ونورهم كفاك عن الدليل

(٢) ولا نعرف عنهم شيئاً بعد هذه الحرب الثانية ، وماذا
حل بهم بعد مطالبة الجاويين بحقوقهم من الاستقلال ،

الشيعة في روسيا

كان الشيعة في البلاد التي تحت الحماية والسلطة الروسية حرية واسعة في الشعائر الدينية ، كبلاد بخارى والقوقاس وغيرها ، وكانوا قبل الحرب العالمية عام ١٣٣٢ هـ يتواردون بكثرة لزيارة المشاهد المقدسة ، ويفدون مهاجرين لطلب العلم الديني ، والى اليوم منهم جماعة في النجف الاشرف ،حالت دون وصولهم لاوطانهم ، ودون الصلات لهم من بلادهم ، هذه السلطة الحاضرة .

ولما دالت الايام - والايام دول - بامبراطورية الروس وجبابرتها المالكين ، وعاد الحكم فيها للشيوعيين ، ضيقوا عليهم أشد التضييق ،ولم يسمحوا لهم بالخروج من البلاد لزيارة بل ولا للتجارة ، والمعروف عن هذه السلطة انها منعت المسلمين عامة من التظاهر بشعائر الاسلام وربت الناشئة على المبادىء الشيوعية جبراً ولئن دامت الحال على ما نسمع فلا نسمع ولا نرى - لا سمح الله - للاسلام في البلاد التي تحت سيطرة روسيا أثراً ولا نحس له بحركة .

وتقدر الشيعة قبل اليوم في روسيا بعشرة ملايين ، ولا نعلم قدرهم اليوم ، نفس الله عنهم هذا الكرب ، وخلصهم من نير الظلم ، انه سميع مجيب .

الشيعة في سائر البلاد

لا اريد ان استعرض حال كل شيعي تظله السماء ، او كل بلد يقطن فيه شيعة من كل قارة في المعمورة ، وانما اريد تنبيه المشاعر الى كثرتهم في الوجود ، وانتشارهم في البلاد كافه ، حتى ان بلاد اوربا وعواصمها لاتخلو من هذه الامة ، امثال لندن ، وباريس ، ونيويورك وبرلين ، وغيرها ، وبالاشارة الى ذلك دون بسط القول وسعة البيان عن احوالهم منهم .

الخاتمة

لتعلم - هديت الى الرشد - ان ليس من قصدنا احصاء الشيعة واستقصاء البحث عن تطوراتها اجمع ، من يوم بزوغها في افق الوجود الى اليوم في هذا الكتيب الصغير الحجم ، فان ذلك الاحصاء وهذا الاستقصاء يكلفان الباحث ان ينفق زمناً طويلا من عمره في البحث والتنقيب ، وتأليف عدة كتب ضخمة الحجم ، وانما الغرض الاقصى الالمام بتأريخ الشيعة وبلاد الشيعة ليقف القارىء على انتشارهم في العالم ، وكثرتهم في البلاد ، وان بزوغ بدرهم كان في عهد الرسول صاحب الدعوة صلى الله عليه وآله ، وتكوينهم بدعوته ، وفي عهده وجدوا ، وفي ايامه تسمت جماعة بالشيعة وان ذلك التشيع

هو الذي سار وانتشر في البلاد وان التشيع الى الائمة من العترة ينتسب ، وعنهم يأخذ وما كان هذا شأنه كان جديراً بالعناية ، حقيقا بالتقدير ، لاسيما والقائلون به اليوم هم ثلث المسلمين عدداً .

ولئن دعت السياسة في العصور الاول لمنابذته ومحاربته بشتى الاساليب ونسبة مالا يصح نسبته اليه من العقيدة ، فلا يجوز مثله اليوم ، وقد تقلص ظل تلك السياسة وذهب امس بما فيه ، وتجلت حقيقة هذا المذهب علما وعملا وادبا وخلقا من ممارسة ابنائه ، واستقراء تاليفه ، وكيف يصح ان يقال عنه انه نبغ من فارس ، أو انه فرقة هدامة ، اوما شابه هذه النسب الباطلة وما اصله الذي تفرع عنه واليه انتسب الا علي امير المؤمنين واولاده الاحد عشر ، الذي يقر بفضلهم حتى اعداؤهم ، ويعترف بعلمهم وسموهم بالفضائل حتى من لم يستمسك بحبل ولائهم .

ودونك أيها المنصف البصير كتب الشيعة فاستقرها ، وتبحر في اسانيدها ، وافحص عن مداركها ، لتعرف انها لم تؤخذ إلا عن النبي الاطهر وعترته عدل القرآن ، وسفينة نوح ، وباب حطة ، وامان الارض ، الذي امرنا ذلك المنقذ الاعظم بالتمسك بهم ، والاخذ عنهم والركوب في سفينتهم .

وما الغاية من هذه الكلمة ان ارشد الى فضل الشيعة وميزتهم على الفرق ، وانما اقصد تحذير أرباب الاقلام والبصائر من ان يقعوا

نهج الاوائل الذين سخرتهم السياسة لقذف الشيعة بالاباطيل ، من دون حجة ودليل ، سوى انهم شيعة ، وان من يريد ان يكتب عن فرقة لها وجود منبسط فى الامم ، ولها كتب وعلماء وادباء وشعراء ، تناهز اكبر فرقة مسلمة فى التآليف والعلم ان لم تربو عليها لا يسوغ له ان يعتمد على أقوال سلفه وادعاء خصوم تلك الفرقـة ، فان ذلك ليس من الامانة والنصف ، وانما الجدير به ان يستند به الى اقوال هاتيك الفرقة نفسها ، والى كتبها المؤلفة في كل علم وفن ، المنتشرة فى كل بلد ومصر ، وبعد ذلك فليكتب ما شاء بعد اطلاعه على ما تحرره واستناده الى ما تؤلفه ، مستنبطاً ذلك من اقوالهم ، ذاكراً لمدركه من محاريرهم.

نسأله تعالى ان يرشدنا وقومنا الى الحق ويلهمنا قول الصدق ، ويميط عن اعيننا غشاء العصبية ، وعن صدورنا إحن الجاهليـة ، انه سميـع مجيب .

وكان العزم يوم شرعت فى تأليف هذا الكتاب ان اجعله عدة كتب فى عدة مواضيع ، فمن الشيعة في التأريخ ، الى الشيعة فى المذهب الى الشيعة في الاخلاق ، الى الشيعة فى الادب ، الى الشيعة فى الرجال الى غير ذلك ، ولكن الحيلولة دون طبع هذا الكتاب يوم تأليفه نقض عزيمتي ، وفتر من همتي ، وقـد عرفت الله بنقض العزائم ، ولو تم ما عزمت عليه لعرفت الشيعة من كل ناحية ، وان لم تكن مجهولة عند أهل الخبرة والاطلاع ، ولئن تجاهل أحد في عرفانها كان له من

ولفاتها أفضل معرف ، ومنه نستمد التوفيق والتسديد .

وأستميح العذر اخواني الكرام عن هفوات اليراع ، راجياً ان يسدلوا عليها حجاب الصفح والعفو ، فان العصمة لله وحده ، ولمن اختاره من عباده ، واشكرهم على ما يلفتوني اليه من سقطة ، ويرشدوني اليه من اصلاح ، لنتدارك ما فات في طبعة اخرى . واسأله تعالى ان يعصم الجميع من الهفوات والعثرات ، ويوفقهم للصواب والصلاح ، انه ولي الاجابة والتوفيق .

والحمد لله وحده ، وصلاته وسلامه على خاتم انبيائه ، وخيرة أوصيائه ، أولا وآخراً .

